إعجاز القرآن

الفواصل

تأليف

دكتور حسين نصّار

العميد السابق لكلية الآداب

جامعة القاهرة

الطبعة الأولى ـ ١٩٩٩

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي ـ الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

ما يطالع فيه القارئ الآن واحد من عدة كتب ، أتمنى أن يتيح لى الله أن أصدرها عن « وجوه إعجاز القرآن » ، فينفرد كل واحد منها بأحد الوجوه ، ويستقل عن بقية الكتب ، غير أنها تتآلف عندما تتجمع وتكتمل ، فتؤلف « إعجاز القرآن : نشأته وتطوره » .

وإذا كان كل كتاب يحتاج إلى مقدمة ، فإن هذه الكتب – الموجود والمؤمل منها – أشد افتقارا إلى مقدمة تلقى الضوء عليها ، وتزيح عنها ما قد يلتبس بها ، ويعطيها صورة غير التى أريدها .

يحسن أن يعرف القارئ – منذ البداية – أننى لست من علماء الدين . حقا إننى مسلم ، تلقيت ما كان يتلقاه أبناء جيلى من تلاميذ التعليم العام فى المدارس المصرية . ثم تلقيت ما كان يتلقاه طالب قسم اللغة العربية واللغات الشرقية فى كلية الآداب من جامعة الملك فؤاد « القاهرة الآن » . ثم حصّلت أشياء عن طريق القراءة الخاصة . ولكننى أومن أن كل هذا – مهما اتسع – لا يجعلنى من العلماء بالدين . قد يجعلنى من العارفين – ربما أكثر من غيرى – ولكن العلم بالمعنى الحق لهذه الكلمة غير المعرفة العامة . ومن ثم فإنى أقول : إن هذا الكتاب بحث يقوم به دارس للأدب لا دارس للدين . ويجب أن تؤخذ المعلومات المدونة فيه هذا المأخذ .

ويحسن أن يعرف القارئ – وبادئ ذى بدء أيضًا – أننى لست من علماء التاريخ الذى شاع لدينا ، وسمى فى فترة من الفترات باسم التاريخ السياسى ، على الرغم أننى قصدت أن يكون هذا الكتاب تاريخا ، ولكنه تاريخ خاص . فإننى سعيت – وما زلت أسعى – إلى أن أؤرخ للتفكير العربى الذى دار حول قضية « إعجاز القرآن » .

وأقصد بعبارة « التفكير العربى » ما أُنتج باللغة العربية حول هذه القضية ، ولو كان من أنتجوه يرجعون إلى أصول غير عربية ، مثل كثير من علماء الكلام والتفسير .

وقد جعلنى هذا التصور أهمل ما أصدره المسلمون بلغة غير العربية – مثل الفارسية والتركية والأردية – عن الإعجاز ، وجعلنى أهمل ما أصدره غير المسلمين من أبناء القارات الستة بلغاتهم الخاصة ، تأييدا أو رفضا .

وأوضَح أسباب هذا التّرك العجز عن تتبع كل ما كتب عن الإعجاز فى جميع اللغات ، بل العجز عن تتبع ما أصدره المسلمون وحدهم باللغات التى يتحدثون بها ، والإيمان بأن القدر الذى أعرفه من بعضها لا يؤهلنى للاضطلاع بالدراسة الجديرة بهذا الاسم .

فإذا ما تُرجم شىء من هذا الإنتاج إلى اللغة العربية ، برز من ظلام التّرْك ، ووجب الاهتمام به مثله مثل الإنتاج العربى الأصيل ، لأنه – بهذه الترجمة – صار أحد عناصر الفكر العربى .

والأمر الذى يختص به الإنتاج المترجم أننى لم أعتد بتاريخ تأليفه ، وإنما عددت مبدأه تاريخ ترجمته ، لأنه هو التاريخ الذى ولج فيه إلى حقل التفكير العربى .

ويجدر بى – منذ الآن – أن أقر بأننى لست على يقين بأننى حصلت جميع الإنتاج العلمى ، على الرغم مما بذلت من جهود فى البحث والتفتيش ، وإنما الشىء الذى أرجوه ألا أكون قد أهملت شيئًا من الإنتاج المهم .

ولما أوغلت فى البحث ، وسبرت أغواره ، ووجدته بحرا محيطا يتعذر – فى كثير من الأحيان – بلوغ سواحله ، آثرت أن أركز عنايتى على المفسرين والكاتبين فى علوم القرآن ، وألا أجرى وراء علماء الكلام بل أقتصر – أو أكاد – على ما انتقل من أقوالهم من علم الكلام إلى حقول التفسير وعلوم القرآن ، لدخولها فى

مجال التفكير العام ، وتعرض كثير من العلماء والمفكرين والكتاب لها ، وبُعدها – غالبها – عن الغموض الفلسفى .

وأقصد بعبارة « تفكير التاريخ » أننى بذلت كل جهد ممكن لرصد ما قاله المفكرون أو دونوه – باللغة العربية – فى كل واحد من العناصر التى تحتوى عليها قضية الإعجاز ، منذ النص الأول ، ثم تتبع ما أصابه من قبول أو رفض ، وما طرأ عليه من تحوير أو تجزئة أو تكملة ، إلى أن وصل إلى شكله الأخير فى منتهى الحديث عنه .

وقد حدانى هذا القصد إلى أن :

١ – أعدّ مبدأ الحديث « البشرى » عن الفكرة مبدأ لظهورها . أعنى بذلك أن كثيرا من الأفكار التى تكلم عنها العلماء أخذوها من القرآن أو الحديث أو وقائع التاريخ . فتاريخها – إذن – يرجع إلى تاريخ نزول الآيات التى تعرضت لها ، أو تاريخ صدورها من فم الرسول صلى الله عليه وسلم أو تاريخ حدوثها . ولكننى لم أردّها إلى تلك التواريخ ، لأن الذى يعنينى تاريخ الفطنة بها ، والتنبه إليها ، والتعامل الذهنى معها .

وأقرب الأمثلة على ذلك ألوان المقاومة التى أبداها الكفار للإسلام . فإننى شرعت أتحدث عنها منذ وجدت علماء يذكرونها ، على الرغم من ذكر الآيات والأحاديث والسير لها قبل ذلك بزمن قد يكون بالغ الطول .

٢ – أن أرتب فصول الكتاب ، وموضوعات الفصول ، وعناصر الموضوعات ، ترتيبا تاريخيا ، ليكون كل شىء فى الكتاب كاشفا لتطور التفكير ، مبرزا لكل واحدة من مراحله . وقد أدى هذا إلى أن يتصف الكتاب ببعض الغرابة فى تنسيقه لمخالفته الأعراف السائدة الآن فى التبويب والتفصيل .

وقد اتخذت من تاريخ وفيات الأعلام القدامى مقياسا للترتيب ،على الرغم من علمى بما فيه من جور ، لأن المتأخر فى الوفاة قد يكون متقدما فى الميلاد ، ولأن المتأخر وفاة من المتعاصرين قد يكون السابق فى إصدار كتابه .

أما المحدثون فقد اتخذت من تاريخ طبع الكتاب لأول مرة مقياسا للترتيب . ولكن الأمر لم يسلم بين يدى كل السلامة . فما أكثر ما عجزت عن العثور على تاريخ الطبعة ، بل على الطبعة الأولى نفسها والاضطرار إلى الاعتماد على طبعات تالية متأخرة كل التأخر ، مع علمى بأن كثيرا من المؤلفين – وبخاصة مؤلفى الكتب الدراسية – ينقحون ويزيدون وقد يحذفون فى مثل هذه الطبعات .

والمنهج الأمثل يوجب الحصول على جميع طبعات كل واحد من هذه المصادر ، واستقصاء الإضافات والتغييرات التى أُجريت عليها ، والبحث عن مصادرها ، ليسلم الرصد التاريخى . ولكن ذلك لم يتم لى . ولعل من يقوم – بعدى – بالتاريخ لواحد من الرجال الذين تعرضت لهم ، أو واحدة من الجزئيات التى تناولتها ، يوفق إلى ما لم أستطع .

وراعيت – فى التعليقات التى أوردتها أسفل الصفحات – الأمور التالية :

١ – بدأت بذكر أقدم المصادر التى أوردت المعلومة التى أخذتها منها .

٢ – عدلت عن المصدر الأقدم – أحيانا – إلى مصدر متأخر لأنه نسب المعلومة – إن كانت قولا أو رأيا – إلى صاحبها ، وابتدأت بهذا المصدر المتأخر .

٣ – إن أوردتُ مصادر أخرى بعد النوعين السابقين من المصادر مباشرة ، وفى سطرها نفسه ، وتحت أرقامها عينها ، كان فى ذلك إشارة إلى أن هذه المصادر أخذت المعلومة من المصدر الأصلى ، واتفاقها معه فى صيغة القول أو الرأى ، وفى نسبته إلى صاحبه . ومعنى ذلك أننى لم أذكر فى المتن المصادر التى اتفقت مع المصدر الأصلى ، ولا أشرت إليها ، اكتفاء بإيرادها فى التعليقات .

٤ – إن أوردتُ مصادر أخرى ، فى الرقم نفسه ، وبعد كلمة « انظر » فمعنى ذلك أن هذه المصادر لم تنسب القول إلى صاحبه أو تصرفت فى صياغته أو اكتفت بالإشارة إليه .

٥ – أوردت أسماء أصحاب هذه المصادر وعناوينها على ما يسمى فى النحو بـ « الحكاية » أى دون أن أخضعه لقواعد الإعراب فقلت مثلا : انظر أبو موسى ... وأمثاله .

٦ – اضطررت أحيانا قليلة – إلى أخذ معلومات من مصادر حديثة ، لأننى عجزت عن الوصول إلى المصادر الأصلية ، على الرغم من البحث المتواصل عنها .

٧ – لم أورد النصوص التى أخذتها من المصادر برمتها ، وإنما تصرفت فيها بالاختصار أو الإضافة للتوضيح وإلا صار الكتاب كله نصوصا منقولة نقلا كاملا ؛ كما ضممت إليها الكلمات التى أيقنت أن خطأ مطبعيا أو تحريفا لحقها .

ودراسة إعجاز القرآن من أهم الدراسات الدينية والأدبية وأثراها ، فطن إلى ذلك المفكرون واعتقدوه منذ عصر مبكر ، وما زالوا على هذا الاعتقاد إلى اليوم .

الفصل الأول

الفواصل وما تراعى فيه
طرق معرفتها

أقدم كلام عثرت عليه عن الفواصل هو حديث أم سلمة هند بنت سهيل المخزومية « ٢٨ ق.هـ-٦٢/٥٩٦-٦٨١ » الذي يكشف أن المسلمين وقعوا فى شيء من الحيرة عندما تصدوا لإبانة مواضع انتهاء الآيات ، بسبب أنواع الوقف المتعددة . فقد روى أنها سئلت عن قراءة رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فقالت : كان يقطع قراءته آية آية[١] .

وعقب إبراهيم بن عمر الجعبرى « ٦٤٠-٧٣٢/١٢٤٢-١٣٣٢» على هذا الحديث فقال : ما وقف عليه السلام عليه دائما تحققنا أنه فاصلة . وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة . وما وقف عليه مرة ووصله أخرى : احتمل الوقف أن يكون لتعريفها ، أو لتعريف الوقف التام ، أو للاستراحة ؛ واحتمل الوصل أن يكون غير فاصلة ، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها .

ووصف الجعبرى هذا الطريق لمعرفة الآيات بالتوقيفى .

وذكر أن هناك طريقا آخر ، وصفه بالقياسى ، وهو ما أُلحق من المحتمل غير المنصوص عليه بالمنصوص ، لمناسب . وقال : ولا محذور فى ذلك ، لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان ، وإنما غايته أنه محل فَصْل أو وصل. والوقف على كل كلمة جائز ، ووصل القرآن كله جائز[٢] .

---

(١) الزركشى [١/٩٨] . الحسناوى [١٣١،١٧٩] . رمضان [٤٥] .

(٢) الزركشى [١/٩٨] . الإتقان [٢/١١٠] . معترك [١/٢٩] . الجندى [٢/١٦٨] . العانى [١٢١] . الحسناوى [١٣٢] .

وذكر عبد الفتاح بن عبد الغنى القاضى أن طرق معرفة الفواصل أربعة :

١ – مساواة الآية لما قبلها وما بعدها طولا وقصرا .

٢ – مشاكلة الفاصلة لغيرها مما هو معها فى السورة فى الحرف الأخير منها أو فيما قبله .

٣ – الاتفاق على عد نظائرها فى القرآن .

٤ – انقطاع الكلام عندها[١] .

تسميتها

أقدم نص جاء فيه ذكر الفواصل قول الخليل بن أحمد الفراهيدى « ١٠٠–١٧٠/٧١٨–٧٨٦ » : « سَجَع الرجلُ : إذا نطق بكلام له فواصل كقوافى الشعر من غير وزن ، كما قيل : لِصُّها بَطَل ، وتمْرها دَقَل[٢] ، إن كثر الجيش بها جاعوا ، وإن قلوا ضاعوا »[٣] .

وأطلق عليها يحيى بن زياد الفراء « ١٤٤–٢٠٧/٧٦١–٨٢٢» أربعة أسماء هى : الفواصل ، ورؤوس الآيات ، وآخر الآية ، وآخر – أو أواخر – الحروف[٤] .

وشاع من هذه الأسماء : الفواصل ورؤوس الآى .

وتعددت الأقوال فى تعليل تسميتها بالفواصل . فذكر بهاء الدين أحمد بن على السبكى « ٧١٩–٧٦٣/١٣١٦–١٣٦٢» أنها سميت بذلك أخذا من الآية الثالثة من سورة فصلت : ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾[٥] .

(١) نفائس [٥] .

(٢) الدقل : أردأ أنواع التمر .

(٣) مادة سجع فى العين والمحكم واللسان . الحسناوى ٣٤ .

(٤) معانى [١/١٦،٤٤،٢٠٠–٢٠١،٢/١٧٦] . عائشة [٢٣٥] . الحسناوى [٣٨] .

(٥) عروس [٤/٤٥٢] . مجلة الأزهر [٨٠٦] .

وانظر الزركشى [١/٥٤] . معترك [١/٣١] . الإتقان [٢/١١١] . بدوى [٧٥] . الجندى [٢/١٦٦] . الخطيب [٢/٢٠٧] . زرزور [٢٣٦،٢٥٢] . الحسناوى [٣٣] . الدبل [٩٤] . ستيوارت [١١] .

وأرجع بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي « ٧٤٥-٧٩٤/١٣٤٤-١٣٩٢ » الاسم إلى أنها ينفصل عندها الكلامان ، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها(١) .

وذكر أن فواصل الشعر خُصت باسم القوافي لأن الشاعر يقفوها ، أي يتبعها في شعره ، لا يخرج عنها . وهي - في الحقيقة - فواصل . فالقافية أخصُّ في الاصطلاح ، إذ كل قافية فاصلة ، ولا عكس(٢) .

وعلى الرغم من ذلك منع استعمال القافية في كلام الله ،لأن الشرع لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية أيضًا عنه ، لأنها منه وخاصة به في الاصطلاح(٣) .

وكما يمتنع استعمال القافية في القرآن ، لا تطلق الفاصلة في الشعر ، لأنها صفة لكتاب الله ، فلا تتعداه(٤) .

وربط عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون « ٧٣٢-٨٠٨/١٣٣٢-١٤٠٦ » بين الفواصل وقوله تعالى في الآيات « ٩٧،٩٨،١٢٦» من سورة الأنعام : ﴿ فَصَّلْنَا ٱلْآيَـٰتِ ﴾(٥) .

وذهب د/ أحمد أحمد بدوي إلى أنها ربما سميت بالفواصل لأنها بها يتم بيان المعنى، ويزداد وضوحه جلاء وقوة . وهذا لأن التفصيل فيه ذاك ، قال تعالى في

(١) البرهان [٥٤/١، ٥٨] . الخطيب [٢٠٧/٢] . الآلوسي لمحسن [٢٤٨] . زرزور [٢٣٦] . الحسناوي [٢٨] . الدبل [٩٤] . العمري [١٧٠] .
وانظر معترك [٣١/١] . الإتقان [١١١/٢] . الجندي [١٩٥/١، ١٦٦/٢] .

(٢) البرهان [٥٨/١] .

(٣) البرهان [٥٨/١] . زرزور [٢٥٠] . وانظر الإتقان [١٦٤/٢] . الجندي [١٦٤/٢] . مجلة الأزهر [٨٥٢] . نصر [١٦٣] .

(٤) البرهان [٥٨/١-٥٩] . زرزور [٢٥٠] .
وانظر الإتقان [١٦٤/٢] ، الجندي [١٦٧/٢] . مجلة الأزهر [٨٥٢] . نصر [١٦٣] .

(٥) المقدمة [١٢٩٦] .

الآية «٤٤» من سورة فصلت : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ﴾[١] .

واعترض د/ على الجندى على منع الزركشى استعمال الفاصلة فى الشعر ، وعده الخلط الذي لا يسلّم به ، والمغالاة الظاهرة التى تحمل معانى الحَجْر والتضييق والتحكم . فالفاصلة معروفة لدى العرب قبل نزول القرآن ، وهى – فى الأصل – الخرزة تفصل بين الخرزتين فى النظام . وكيف لا نقول فاصلة فى الشعر ، وهى جزء من أوزانه؟![٢] .

وأعتقد أنه أساء فهم قول الزركشى ، فظن أنه أراد الفاصلة العروضية ، ومنع تسميتها بهذا الاسم ، على حين أنه أراد القافية نفسها ، ومنع تسميتها بالفاصلة .

أسباب عدم تسميتها بالسجع

ظن عبد اللّه بن محمد المعروف بابن سنان الخفاجى « ٤٢٣-٤٦٦/١٠٣٢-١٠٧٣» أن الذي دعا القوم إلى تسمية كل ما فى القرآن فواصل ، وعدم تسمية ما تماثلت حروفه سجعا : الرغبة فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم . ووصف هذا الظن بأنه غرض فى التسمية قريب[٣] .

وأورد بهاء الدين السبكى ثلاث علل :

---

(١) من بلاغة [٧٥] .

(٢) صور [١٦٧/٢] .

(٣) سر [١٦٦] . السبكى [٤٥١/٤] . الزركشى [٥٨/١] . معترك [٣٢/١] . الإتقان [١١٢/٢] . الجندى [١٧٣/٢، ١٨٠] . الخطيب [٢٠٧/٢] . مجلة الأزهر [٨٠٦] . ثلاث [١٧٥] . الآلوسى لمحسن [٢٥٠] . موسى [٤٦] أبو زهرة [٢٩٨] . عائشة [٢٤٢] . الحسناوى [٩٢] . زرزور [٢٤٩] . الحناوى [١٩١-٢] . ستيوارت [١١] .

١ – تشريف القرآن عن أن يستعار لشيء فيه لفظ هو فى أصل وضعه للطير . يريد لفظ السجع الذي ذهب اللغويون والعلماء إلى أنه مشتق من سجع الطير أي هديله[١].

٢ – تشريف القرآن عن مشاكلة غيره من الكلام الحادث فى اسم السجع الذي يقع فى كلام آحاد الناس[٢] . وهى علة ذات صلة بما قال ابن سنان .

٣ – لأن القرآن صفة اللّه ، ولا يجوز وصفها بصفة لم يرد الإذن بها كما لا يجوز ذلك فى حقه – عز وجل – وإن صح المعنى[٣] .

واعترض سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى «٧١٢-٧٩٣/١٣١٢-١٣٩٠» إذ كان يعتقد أن أحدا لم يقل بتوقف أمثال هذا على إذن الشارع ، وإنما يطلب الإذن فى أسماء الله[٤] .

وأضاف علة جديدة ، هى : رعاية الأدب[٥] .

---

(١) عروس [٤/٤٥٢] .
وانظر الزركشى [١/٥٤] . الدبل [٩٤] . مجلة الأزهر [٨٠٦] . الحكيم [٢١١] . الحسناوى [١١١] . ستيوارت [١١] .

(٢) عروس [٤/٤٥٢] .
وانظر الزركشى [١/٥٤] . معترك [١/٣١] . الإتقان [٢/١١١] الجندى [٢/١٧٣] . الخطيب [٢/٢٠٧] . زرزور [٢٥٢] .

(٣) عروس [٤/٤٥٢] .
وانظر التفتازانى [٤/٤٥٢] . الزركشى [١/٥٤] . معترك [١/٣١] . الإتقان [٢/١١١] . الحكيم [١١٢] . زرزور [٢٥٢] . الحسناوى [٩٢،١١١] . الجندى [٢/١٧٣] . مجلة الأزهر [٨٠٦] . زرزور [٢٥٢] ، الحسناوى [٩٢،١١١] .

(٤) [٤/٤٥١] . وانظر مجلة الأزهر [٨٠٦] .

(٥) [٤/٤٥١] . الدبل [٩٤] . مجلة الأزهر [٨٠٦] . الحسناوى [١١١] . ستيوارت [١١] . انظر الجندى [٢/١٧٣] .

وأضاف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي « ٨٤٩-٩١١/ ١٤٤٥-١٥٠٥ » : تشريف القرآن عن أن يستعار لشيء فيه لفظ أصله مهمل[١] .

وعنى ديفين ستيوارت بالاسم الذي يليق بالسجع فى اللغات الأوربية ، فقال : إن الترجمة الإنجليزية التقليدية للسجع بأنه النثر المقفى Rhymed Prose لا تفى بما نطمح إليه ، خاصة أن هذه الترجمة تسقط من حسابها ما فى السجع من قواعد خاصة بالوزن ، كما تتجاهل ما فيه من قيود أخرى . وقد حاول ريجى بلاشير Rēgi Blachēre فى ترجمته لمصطلح السجع بأنه النثر الموزون المقفى Rhymed and Rhythmic Prose أن يصلح الأمر . ولكن تظل هذه الترجمة أيضًا مصدرا لسوء الفهم بسبب كلمة نثر Prose . ففى الاستخدام الانجليزى المألوف تبدو عبارة « نثر مقفى » منطوية على تناقض ، لا ينحلّ إلا حين ننتبه إلى أن تقاليد التراث العربى الأدبى قد أدت بشكل ما إلى تأسيس خضوع غير مبرر لأوزان الخليل بن أحمد ، بوصفها المقياس الأساسي للتفرقة بين ما هو نثر وما هو شعر .

إن النظرة الحديثة للشعر على أنه تلك النصوص التى تطمح إلى أن يُنظر إليها بوصفها شعرا ، أو النظرة التى يتبناها ياكوبسون jakobson – ومؤداها أن القصيدة هى ذلك النص الذي تعلو فيه الوظيفة النظمية Syntagmatic على الوظيفة الاستبدالية Paradigmatic – إن أيا من هاتين النظرتين تجيز لنا بسهولة نسبية – أن ندخل السجع فى مجال التعبير الشعرى .

وفي نطاق الدراسة العربية التقليدية ، كان هناك وعى عميق بالخاصية الشعرية للسجع . وقد وجد كثير من النقاد صعوبة فى الإقرار بذلك صراحة ، إما بسبب طغيان بعض التقاليد ، أو بسبب طغيان الشعر العروضى . غير أن هذا الوعى بشاعرية السجع أدى بنقاد آخرين – من أمثال ابن الأثير – إلى تحليل السجع بوصفه نوعا من التعبير الشعرى الذي يعول على الكلمات بدلا من المقاطع . إن

(١) معترك [٣١/١] . الإتقان [١١١/٢] . ستيوارت [١١] . انظر الجندى [١٧٣/٢] .

مثل هذا الوعى يظهرنا على ما فى السجع من تفاعل مركب بين الأوزان والقوافى والصيغ الصرفية . وقد قاد هذا الوعى الشاعر أحمد شوقى إلى الإعلان عن أن « السجع شعر العربية الثاني »[١] .

مراعاتها فى التعبير

استهل يحيى بن زياد الفراء « ١٤٤-٢٠٧/٧٦١-٨٢٢» الحديث عن الظواهر اللغوية التى آثرها القرآن عن غيرها مراعاة للسجع أو الفاصلة فكانت كما يلى :

١ - حذف الياء المتطرفة :

قال الفراء قال الله فى سورة الملك : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ و ﴿ نَذِيرِ ﴾[٢] وذلك أنهن رؤوس الآيات ، لم يكن فى الآيات قبلهن ياء ، فأجرين على ما قبلهن إذ كان ذلك من كلام العرب[٣] .

وشرح ذلك بأن للعرب فى الياءات التى فى أواخر الحروف ، كما فى قوله : ﴿ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] أن يحذفوها مرة ويثبتوها مرة ، يفعلون ذلك فى الياء وإن لم يكن قبلها نون ، وفى الياء الأصلية . وأكثر ما تحذف فى الإضافة فى النداء لكثرة الاستعمال .

فمن حذف الياء فعل ذلك استثقالالها ، واكتفى بالكسرة التى قبلها دليلا عليها ، وذلك أنها كالصلة لسكونها فى آخر الحروف . ومن أثبتها فهو الأصل[٤] .

---

(١) مجلة فصول [٣٠،٧] . أسواق [١٠٩] .

(٢) معانى [٢٠٠/١] . الرازى [١٩/٢] ، [١٦٤/٣١] . عائشة [٢٥٠،٢٤١] . الحسناوى [٦٠] . وانظر ابن قتيبة [٤٤٠] . ابن الأنبارى [٢٥٩/١] . ابن سنان [١٦٦] . الزركشى [٦٢/١] . الإتقان [١١٣/٢] الآلوسى [٤٤/٢٤، ١٥٣/٣٠-٤] تصوير قطب [٨٧] . الآلوسى لمحسن [٢٥١/٢] . أبو زهرة [٢٩٨] . عائشة [٢٤١] مخلوف [٢٦١] . زرزور [٢٤١] . الحسناوى [١٣٧] .

(٣) [١٧،١٨] .

(٤) معانى [٢٠٠/١-١] . الرازى [١٦٤/٣١] . عائشة [٢٥٠،٢٤١] . وانظر ابن الأنبارى [٢٥٠/١-٩] . الإتقان [١١٣/٢] . الآلوسى [٤٤/٢٤] ، [١٥٤/٣٠] . الحسناوى [٦٠] .

وشعب شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الصائغ « ٧٠٨-٧٧٦/١٣٠٨-١٣٧٥» هذه الظاهرة ثلاثة شعب ، هي :

(أ) حذف ياء المنقوص المعرّف ، نحو ﴿ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾[(١)] .

(ب) حذف ياء الفعل غير المجزوم ، نحو ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[(٢)] .

(جـ) حذف ياء الإضافة نحو ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾[(٣)] .

واعترضت د/ عائشة عبدالرحمن على قول الفراء بقولها : يكفى للرد على من ذهبوا إليه أن نلفت إلى أن القرآن لم يقتصر على حذف الياء هنا فى مقاطع الآيات . وإنما حذفت فى أواسط الجمل ودرج الكلام[(٤)] .

وواضح أن الفراء لم يغب عنه ذاك ، كما يتبين من كلامه الذي ذكرته ، ومما ردده فى أكثر من موضع .

٢ - تحويل ياء المتكلم ألفا :

قال الفراء فى تناوله لقول اللّه : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [سورة طه : ١٤] : يُقرأ « لذكرا » بالألف ، وذاك على جهة الذكرى ، وإن شئت جعلتها ياء إضافة حولت ألفا لرؤوس الآيات ، كما قال الشاعر :

أطوف ما أطوف ثم آوى إلى أُمّا ، ويروينى النقيـع

والعرب تقول : بأبا وأما ، يريدون بأبي وأمى . ومثله ﴿ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ ﴾[(٥)] .

---

(١) [سورة الرعد:٩] . معترك [٣٤/١] . الإتقان [١١٣/٢] . حمودة [٤٤] . الحسناوى [٥٥،٧٣] .

(٢) [سورة الفجر : ٤] . معترك [٣٤/١] . الإتقان [١١٣/٢] . حمودة [٤٤] . الحسناوى [٥٥] . وانظر مخلوف [٢٦١] .

(٣) [سورة القمر : ١٦،١٨،٢١،٣٠] . معترك [٣٤/١] . الإتقان [١١٣/٢] حمودة [٤٤] الحسناوى [٥٥] .

(٤) الإعجاز [٢٥١] .

(٥) سورة المائدة [٣١] . معانى [١٧٦/٢] . الحسناوى [٣٨،٦٠] .

٣ - تثنية ما حقُّه أن يُفرد :

قال فى تفسير ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾[١] : ذكر المفسرون أنهما بستانان من بساتين الجنة . وقد يكون فى العربية جنة ، تثنيها العرب فى أشعارها . أنشدنى بعضهم :

ومَهْمَهَيْن قَذَفَـين مَرْتَـيْن   قطعتُه بالأَمِّ لا بالسَّمتين

يريد مهمها وسمتا واحدا . وذلك أن الشعر له قواف يقيمها الزيادة والنقصان ، فيحتمل ما لا يحتمله الكلام[٢] .

وهاجم عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة « ٢١٣-٢٧٦/٨٢٨-٨٨٩ » قول الفراء وسخّفه قائلا : هذا من أعجب ما حُمل عليه كتاب اللّه . ونحن نعوذ بالله من أن نتعسف هذا التعسف ، ونجيز على اللّه الزيادة والنقص فى الكلام لرأس آية .

فأما أن يكون اللّه وعد جنتين فيجعلهما واحدة من أجل رؤوس الآى ، فمعاذ اللّه . وكيف يكون هذا ، وهو يصفهما بصفات الاثنين ، فقال : ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾[٣] ثم قال : ﴿ فِيهِمَا .... فِيهِمَا ... ﴾[٤] . ولو أن قائلا قال فى خَزَنة النار : إنهم عشرون ، وإنما جعلهم تسعة عشر لرأس الآية ، كما قال الشاعر :

* نحن بنو أم البنين الأربعة *

وإنما هم خمسة ، فجعلهم للقافية أربعة ؛ ما كان فى هذا القول إلا كالفراء[٥] .

---

(١) [سورة الرحمن : ٤٦] .

(٢) معانى [٣/١١٨] . وانظر الزركشى [١/٦٤] . معترك [١/٣٦] . الإتقان [٢/١١٤] . الجندى [٢/١٨٨] . الحسناوى [٣٩،٥٥] . زرزور [٢٣٩،٢٤١] .

(٣) سورة الرحمن [٤٨] .

(٤) سورة الرحمن [٥٠،٥٢] .

(٥) تفسير [٤٣٩-٤١] . الزركشى [١/٦٥] . معترك [١/٣٦-٧] . الإتقان [٢/١١٤] . زرزور [٢٤١-٢] .

وعقب بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي على كلام الاثنين : كأن الملجئ للفراء إلى ذلك قوله : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[1] [النازعات] .

ولكن د/ عائشة عبد الرحمن اتفقت مع ابن قتيبة ،وأعلنت : واضح أن المراد بالآية : ولمن خاف مقام ربه من الإنس والجان جنتان[2] .

٤ – حذف ضمير النصب :

قال الفراء فى قوله : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ [الضحى : ٣] : يريد : وما قلاك : فأُلقيت الكاف كما تقول : قد أعطيتك وأحسنت ، ومعناه : أحسنت إليك . فتكتفى بالكاف الأولى من إعادة الأخرى[3] ، ولأن رؤوس الآيات بالياء ، فاجتمع ذلك فيه[4] .

وأضاف الآلوسى أن المفعول حذف لئلا يواجه – صلى الله عليه وسلم – بنسبة القِلى– وإن كانت فى كلام منفى – لطفا به وشفقة عليه ، أو لنفى صدوره عنه – عز وجل – بالنسبة إليه – صلى الله عليه وسلم – وإلى أحد من أصحابه وممن أحبه إلى يوم الدين[5] .

ورفض د/ على الجندى قول الفراء بمراعاة الفاصلة ، مؤكدا أن حذف المفعول لم يقع لرعايتها ، كأن تلك الرعاية ضرورة نثرية كالضرورة الشعرية ، وكأن القائل بهذا لم يجد أثرا لهذا الحذف فى المعنى مطلقا ، ولم يبق إلا هذا الاعتبار التافه

---

(١) البرهان [٦٥/١] .

(٢) الإعجاز [٢٥٥] .

(٣) معانى [٢٧٣/٣-٤] . الآلوسى [١٩٩/٣٠] .
وانظر الرازى [٢٠٩/٣١] . النيسابورى [١٠٨/٣٠] . الجندى [١٩٨/١-٢٠٠ ، ١٨٨/٢] . مخلوف [٢٦١] . عائشة [٢٤٩] .

(٤) معانى [٢٧٣/٣-٤] . معترك [٣٦/١] . الإتقان [١١٠/٢] . الآلوسى [١٥٦/٣٠] .

(٥) روح [١٩٩/٣٠] . الجندى [٢٠١/١] . وانظر عائشة [٢٥٠] .

الذى إن صح أن يقال فى غير القرآن فلعله آخر ما يمكن أن يقال ، بل هو – عند الفن – مما لا ينبغى أن يقال فى القرآن[1] . وارتضى قول الآلوسى .

وتابعتهما د/ عائشة عبد الرحمن معلنة أنه لو كان البيان القرآنى يتعلق بهذا الملحظ اللفظى فحسب ، لما عدل عن رعاية الفاصلة فى الآيات بعدها ، وبخاصة فى الآية الأخيرة ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى : ١١] . وليس فى السورة كلها ثاء فاصلة ، بل ليس فيها حرف ثاء على الإطلاق ، وعلى مذهبهم كانت الفواصل ترعى بمثل لفظ « فخَبِّر» لمشاكلة رؤوس الآيات[2] .

وواضح أن الفراء لم يقصر السبب على مراعاة الفاصلة .

٥ – إفراد ما حقه أن يجمع :

نقل ابن قتيبة فى تفسير ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ [القمر : ٥٤] أن الفراء قال : وُحِّد النهر لأنه رأس آية ، فقابل بالتوحيد رؤوس الآى[3] .

وهاجم د/ محمد أحمد الغمراوى الفراء والزركشى الذي روى قوله ، وقال : لكن الأدهى والأمرّ أن يحمل إيثار السجع فى القرآن كلا من الفراء والزركشى على زعم إفراد ما أصله أن يجمع ... لقد جاءت « الأنهار» فى آيات كثيرة ، فى وصف الجنات التى يجزى اللّه بها المتقين ، لكن مع « من تحتها » لا مع الحرف « فى » . فكيف تصور الزركشى والفراء أن يقول سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ . فيهزأ ملحد ويتساءل : كيف يكون مقام المتقين فى الأنهار ؟ صحيح أن « نَهْر » قد تأتى مفتوحة الهاء ، لكنها – لهذه الشبهة – لا تصلح معنى للكلمة

---

(١) صور [١/٢٠٠] . عائشة [٢٥٠] .

(٢) الإعجاز [٢٥٠] . الفاصلة [٧٩–٨٠] .

(٣) تفسير غريب [٤٣٤] .الزركشى [١/٦٣–٤] . معترك [١/٣٦] . الإتقان [٢/١١٤] . مخلوف [٢٦٦،٤٣٦] . الغمراوى [٧٣٥] . زرزور [٢٣٩–٤٠] . فؤاد [٢٤٠–١] . وانظر « عضد » فى محكم ابن سيده ولسان ابن منظور .

فى آية سورة القمر . ولو أن الزركشى والفراء اختبرا رأيهما بالرجوع إلى أصل إعجاز القرآن ، لتبين لهما خطؤهما . وإذن لتذكرا أن من معانى « نهر » بفتح الهاء السعة ، كما فى القاموس . ويكون معنى الآية إن المتقين فى جنات وسعة . والسعة على التنكير فى قول الله تجعل نعيم المتقين فى الجنان غير ذى حدود[1] .

وحقا ذكر الفراء أن المراد الجمع ، ولكنه لم يذكر أن الإفراد كان بسبب الفاصلة ، وإنما نصّ على أن هذا عرف عربى . كذلك لم يقتصر على هذا المعنى ، بل ذكر معه أنه يقال فى معنى الآية : فى ضياء وسعة[2] . وإذن فهو لا يستحق شيئًا مما وُجّه إليه من لوم .

٦ - تثنية ما حقه أن يجمع :

نقل ابن الصائغ والزركشى عن الفراء أن المراد فى الآية «٤٦» من سورة الرحمن : وجنات ، فأطلق الاثنين على الجمع لأجل الفاصلة . وحكم ابن الصائغ على هذا القول بأنه غير بعيد ، وإنما عاد الضمير بعد ذلك بصيغة التثنية مراعاة للفظ[3] .

ولم أجد هذا القول فى معانى القرآن المطبوع بين أيدينا[4] .

وأجاز ابن قتيبة الظواهر الثلاث الآتية لأنها لا تزيل معنى عن جهته ، ولا تزيد ولا تنقص :

٧ - زيادة هاء السكت كقوله : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴾[5] [القارعة : ١٠] .
ونقل الزركشى عن بعض المغاربة إنكار القول بالمناسبة هنا . وعزا إليه أنه قال : إن هذه الهاء عدلت مقاطع الفواصل فى هذه السورة ، وكان للحاقها فى هذا الموضع

---

(١) مجلة الأزهر [٨٥٥] .

(٢) معانى [١١١/٣] .

(٣) البرهان [٦٤/١] . معترك [٣٧/١] . الإتقان [١١٤/٢] .

(٤) معانى [١١٨/٣] .

(٥) تفسير [٤٤٠] . الزركشى [٦١/١،٦٥] . الإتقان [١١٤/٢] . تصوير قطب [٨٧] . الجندى [١٨٨/٢] . الزفزاف [١٢٤] . الحسناوى [٥٦] . زرزور [٢٤١] .

تأثير عظيم فى الفصاحة[1] . وجلىّ أن هذا القول لايخرج عما قاله ابن قتيبة .

٨ - زيادة ألف الإطلاق كقوله ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾[2] [الأحزاب : ١٠] ونقل الزركشى عن المغربى إنكاره هذه الزيادة أيضا ، اعتمادا على أن فى سورة الأحزاب ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب : ٤] وفيها ﴿ فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب : ٦٧] وكل واحد منهما رأس آية . فلو كان الأمر لتناسب الآى لثبت فى الجميع . وإنما زيدت الألف فى مثل ذلك لبيان القسمين[3] .

ولست أدرى : ماذا أراد ببيان القسمين .

وجعل ابن الصائغ من هذا النوع إبقاء ألف الفعل المعتل الآخر المجزوم نحو ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[4] [الأعلى : ٦] .

٩ - حذف همزة من الكلمة كقوله : ﴿ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾[5] [مريم : ٧٤] .

١٠ - تقديم الفاضل على الأفضل :

نقل أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى « ٣٣٨-٤٠٣/٩٥٠-١٠١٣» أن بعضهم ذكر أن تقديم موسى على هارون فى آيات ، وتأخيره عنه فى آيات ، لمكان السجع وتساوى مقاطع الكلام[6] .

---

(١) البرهان [١/٦١] .

(٢) تفسير [٤٤٠] الزركشى [١/٦١] . معترك [١/٣٤،٣٨] ، الإتقان [٢/١١٣-٤]. الآلوسى [٢١/١٥٨] زرزور [٢٤١] . وانظر حمودة [٤٤] . الحسناوى [٥٥،٧٢] .

(٣) البرهان [١/٦١] .

(٤) الإتقان [٢/١١٣] . الحسناوى [٥٥] .

(٥) تفسير[٤٤٠] . الزركشى[١/٦٢،٦٥] . الإتقان[٢/١١٤] . الجندى[٢/١٨٨] . زرزور[٢٤١] .

(٦) إعجاز [٦١] . الفخر الرازى [٩/٢٦] . الزركشى [١/٥٥-٦] . معترك [١/٣٣] . الإتقان [٢/١١٢-٣] . الخطيب [٢/٢١٨-٩] مجلة الأزهر [٢٦٥] الآلوسى لمحسن [٢٥١] . الحكيم [١٠٧] . البيومى [١٦٦] .

ورمى هذا القول بعدم الصحة ، ورد الظاهرة إلى الرغبة فى التصرف، لأن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحدا من الأمور الصعبة ، التى تظهر بها الفصاحة [1] .

١١ - إيثار التعريف أو التنكير :

قال أبو جعفر محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافى « ٢٠/٤٢٠٦/١٢٠٦» وهو يتحدث عن الآية «٢٠٠» من سورة الأعراف : للسائل أن يسأل فيقول : لأى معنى جاء فى آية الأعراف ﴿ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ على لفظ النكرة ، وفى الآية «٣٦» من سورة فصلت ﴿ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ معرفتين بالألف واللام ، مؤكدتين بـ « هو » ؟

والجواب أن يقال : إن الأول وقع فى فاصلة ، ما قبلها من الفواصل أفعال جماعة أو أسماء مأخوذة من الأفعال ، من نحو قوله : ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٠] وبعده : ﴿ يُخْلَقُونَ ﴾ ، و﴿ يَنصُرُونَ ﴾ ، و﴿ يُبْصِرُونَ ﴾ ، و ﴿ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩١،١٩٢،١٩٨،١٩٩] . فأخرجت هذه الفاصلة بأقرب ألفاظ الأسماء المؤدية معنى الفعل ، أعنى النكرة ، وكأن المعنى استعذ [2] .

وذهب تاج القراء محمود بن حمزة الكرمانى « من أهل القرن الخامس / الحادى عشر » إلى أن التوفيق بين الفواصل يتجلى فى الظواهر الآتية :

١٢ - مخالفة الإعراب :

تمثل ذلك فى قوله فى الآية «٣» من سورة المائدة : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ وقوله فى الآية « ٢٩» من سورة

---

(١) إعجاز [٦١] . الزركشى [٥٦/١] . الإتقان [١١٢/٢-٣] . الآلوسى [٢٦/٩] . الجندى [١٧٧/٢] . الخطيب [٢١٨/٢] . مجلة الأزهر [٢٦٥] الآلوسى لمحسن [٢٥١] موسى [٤٤] . الحكيم [١٠٧-٨] . الحسناوى [١١٩] .

(٢) درة [١٨٢] .

الفتح : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ رفع ما فى سورة المائدة ، ونصب ما فى الفتح ، موافقة للفواصل فى كل[1] .

١٣ - تقديم المعمول على العامل :

يتمثل ذلك فى قوله فى الآية «٤٥» من سورة الأعراف : ﴿ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ تقديره : وهم كافرون بالآخرة . فقدم بالآخرة تصحيحا لفواصل الآى[2].

١٤ - إيثار أحد أقسام الكلمة :

يتمثل ذلك فى قوله فى الآية «٥٥» من سورة النمل : ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ بلفظ الفعل ، موافقة لفواصل الآيات فى كل من السورتين[3] .

١٥ - إيثار صيغة على أخرى :

نحو قوله فى الآية « ٢٢» من سورة هود : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ وفى «١٠٩» من النحل : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ موافقة بين الفواصل[4] .

١٦ - إيثار صفة على أخرى :

كقوله فى الآية «٦١» من سورة هود : ﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ وفى «٩٠» منها ﴿ إن ربى رحيم ودود ﴾ وفى «٧٥» منها ﴿ لحليم أواه منيب ﴾ وفى «١١٤» من التوبة ﴿ لأواه حليم ﴾ لموافقة الفواصل[5] .

---

(١) أسرار [١٩١،٦٠] . الزركشى [٦٣/١] .

(٢) أسرار [٨٠-١] . وانظر العكبرى [١٢/١،٥٠] . الزركشى [٦٣/١] . معترك [٣٣/١]. الإتقان [١١٣/٢] . الآلوسى [٢١٣/٢٣] [١٠٤/٢٥] . مجلة الأزهر [٢٦٦،٤٣٦،٧٣٥] . الآلوسى لمحسن [٢٥٢] . الحسناوى [٥٤] .

(٣) أسرار [٨٦،٨٩-٩٠،٢١٦] .

(٤) أسرار [١٠٦] . وانظر معترك [٣٧/١] . الإتقان [١١٤/٢] . الآلوسى [١٣٨/١] . مجلة الأزهر [٨٥٥] . الآلوسى لمحسن [٢٥٠] . عائشة [٢٥٢-٤] . الحسناوى [٥٦] .

(٥) أسرار [١٠٨،١٢٧،١٤٨،٢١٧،٢٢١] . وانظر الزركشى [٦٦/١] . معترك [٣٧/١]. الإتقان [١١٤/٢] الجندى [١٨٨/٢] . الآلوسى لمحسن [٢٥٢] الحسناوى [٥٦] .

١٧ - التكرار :

نحو قوله فى الآية «٤٦» من سورة يوسف : ﴿ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ كرر « لعل » رعاية لفواصل الآى ، إذ لو جاء بمقتضى الكلام لقال : لعلى أرجع فيعلموا ، بحذف النون على الجواب[١] .

١٨ - إيثار التأنيث أو التذكير :

نحو قوله فى الآية «٥٤» من سورة المدثر ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴾ أي تذكير ، وعدل إليها للفاصلة[٢] . وجعل ابن الصائغ هذا القسم قسمين: أحدهما لإيثار تذكير اسم الجنس ، والثاني لإيثار تذكيره[٣] .

ومع ذلك ، وجه الكرمانى عددا من هذه الظواهر توجيهات أخرى إلى جانب مناسبة الفواصل .

وأضاف عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية «٤٨١-٥٤٢/١٠٨٨-١١٤٨»:

١٩ - الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه :

نقل الزركشى عنه فى : ﴿ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴾ [طه : ١٢٩] أن « أجل مسمى » معطوف على « كلمة » وأن المراد بهذا التأخير اشتباك رؤوس الآيات[٤] .

وأضاف أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى «٥٣٨-٦١٦/١١٤٣-١٢١٩» :

---

(١) أسرار [١١٢] . وانظر الزركشى [١/٦٢] . الجندى [٢/١٨٦] .

(٢) أسرار [٢١١] . الزركشى [١/٦٥] .

(٣) معترك [١/٣٤] . الإتقان [٢/١١٣] . الحسناوى [٥٥] .

(٤) البرهان [١/٦٣،١٠٩] ، وانظر معترك [١/٣٧] . الإتقان [٢/١١٤] . الحسناوى [٥٦]. مجلة الأزهر [٢٦٦] .

٢٠ - إفراد ما حقه أن يثنى :

نحو قوله فى الآية «١١٧» من سورة طه : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ أفرد بعد التثنية لتتوافق مع رؤوس الآى ، مع صحة المعنى لأن آدم هو المكتسب ، وكان أكثر بكاء على الخطيئة من حواء[١] .

وأضاف ضياء الدين نصر اللّٰه بن محمد المعروف بابن الأثير «٥٥٨-٦٣٧/ ١١٦٣-١٢٣٩» :

٢١ - إيثار أغرب اللفظين :

روى : حضر عندى - فى بعض الأيام - رجل متفلسف . فجرى ذكر القرآن ، فأخذتُ فى وصفه ، وذِكْر ما اشتملت عليه ألفاظه ومعانيه من الفصاحة والبلاغة . فقال ذلك الرجل : وأيُّ فصاحة هناك ، وهو يقول : ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ [النجم : ٢٢] فهل فى لفظة ﴿ ضِيزَىٰٓ ﴾ من الحسن ما يوصف ؟

فقلت له : هذه اللفظة التى أنكرتها فى القرآن ، فإنها فى موضعها لا يسدّ غيرها مسدّها . ألا ترى أن السورة كلها - التى هى سورة النجم مسجوعة على حرف الألف . فجاءت اللفظة على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة جميعها عليه[٢] .

وأضاف مصطفى صادق الرافعى إلى ما قال ابن الأثير : فى القرآن لفظة غريبة ، هى من أغرب ما فيه ، وما حسنت فى كلام قط إلا فى موقعها منه . ثم هى فى معرض الإنكار على العرب ، وإذ وردت فى ذكر الأصنام وزعمهم فى قسمة الأولاد . فكانت غرابة اللفظة أشدّ الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة[٣] .

---

(١) إملاء [١٢٨/٢] . وانظر الزركشى [٦٥/١] . معترك [٣٦/١] . الإتقان [١١٤/٢] . رضا [١٣٣-٤] . الحسناوى [٥٥] .

(٢) المثل [٢٢٩/١-٣٠] . وانظر معترك [٣٥/١] . الإتقان [١١٤/٢] . الرافعى [٢٦١] .حمودة [٤٥] . بدوى [٨٧] . الجندى [١٩٠/٢] - أمين [٢٠٧] . الحسناوى [٥٥،٧٣] .

(٣) إعجاز [٢٦١] . وانظر بدوى [٨٧] . الجندى [١٩٠/٢] . أمين [٢٠٧] .

وأضاف أبو حيان محمد بن يوسف الجياني «٦٥٤-٧٤٥/١٢٥٦-١٣٤٤» .

٢٢ - إيقاع حرف مكان آخر :

نحو قوله فى الآية الخامسة من سورة الزلزلة ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ عدى أوحى باللام لا بإلى - وإن كان المشهور تعديته بإلى - لمراعاة الفواصل[١] .

واعترضت د/ عائشة عبد الرحمن على هذا القول ، لأنها وجدت - باستقراء مواضع فعل الإيحاء فى القرآن كله - هذ الفعل لا يتعدى بإلى إلا حين يكون الموحى إليه من الأحياء بشرا أو حيوانا ، ويكون معناه الإلهام . أما حين يكون الموحى له جمادا ، فإن الفعل يتعدى باللام أو فى . ودلالة اللام الإيحاء المباشر على وجه التسخير ، ودلالة فى البث والملابسة[٢] .

ونقل السيوطي من كتاب « إحكام الراى فى أحكام الآى » لابن الصائغ أنه قال : اعلم أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية ، يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول . وقد تتبعت الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة ، فعثرت منها على نيف على الأربعين حكما[٣] .

وهاك ما أضافه إلى ما سبق :

٢٣ - تقديم المعمول :

(أ) إما على العامل ، وقد مر فى رقم «١٣» .

(ب) أو على معمول آخر أصله التقديم ، نحو ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ [طه : ٢٣] إذا أعربنا « الكبرى » مفعول « نرى »[٤] .

(١) البحر [٥٠١/٨] . وانظر معترك [٣٨/١] . الإتقان [١١٥/٢] . الجندى [١٨٨/٢] . الحسناوى [٥٦] .

(٢) الإعجاز [٢٥٧] .

(٣) معترك [٣٢/١] . الإتقان [١١٣/٢] . الجندى [١٨٧/٢] . الحسناوى [٥٤] .

(٤) معترك [٣٣/١] . الإتقان [١١٣/٢] . الحسناوى [٥٤] .

(جـ) أو على الفاعل نحو ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴾[1] [القمر : ٤١] .

(د) خبر كان على اسمها نحو ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[2] [الإخلاص : ٤] .

٢٤ – تقديم ما هو متأخر فى الزمان :

نحو ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾[3] [النجم : ٢٥] . ورفضت د/ عائشة عبد الرحمن هذا النوع أيضًا[4] .

٢٥ – تقديم الضمير على صاحبه :

نحو ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾[5] [طه : ٦٧] . وذكر الزركشى أن للتأخير حكمة أخرى ، هى أن النفس تتشوق لفاعل « أوجس » ، فإذا جاء بعد أن أُخِّر وقع بموقع[6] .

٢٦ – تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة :

نحو ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾[7] [الإسراء : ١٣] .

٢٧ – تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ :

ومنه ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة : ١] و ﴿ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[8] [البقرة : ١٤٣ و التوبة : ١١٧،١٢٨ ، والنحل : ٧،٤٧ والحج : ٦٥ ، والنور : ٢٠ ، والحديد : ٩ والحشر : ١٠] .

---

(١) معترك [٣٣/١] . الإتقان [١١٣/٢] . وانظر الزركشى [٦٣/١] .
(٢) معترك [٣٣/١] . الإتقان [١١٣/٢] .
(٣) معترك [٣٣/١] . الإتقان [١١٣/٢] حمودة [٤٥] . الجندى [١٨٨/٢] الحسناوى [٥٤،٧٣] .
(٤) الإعجاز [٢٥٨] .
(٥) معترك [٣٣/١] . الإتقان [١١٣/٢] . الحسناوى [٥٥] . وانظر الزركشى [٦٢/١] . النيسابورى [١١٩/١٦–٢٠] .
(٦) البرهان [٦٢/١] .
(٧) معترك [٣٤/١] . الإتقان [١١٣/٢] . الحسناوى [٥٥] .
(٨) معترك [٣٨/١] . الإتقان [١١٥/٢] . الحسناوى [٥٦] .

٢٨ - صرف ما لا ينصرف :

نحو ﴿ قَوَارِيرَا۠ قَوَارِيرَا۠ ﴾[1] [الإنسان : ١٥،١٦] .

٢٩ - الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرئ بهما في السبع في غير ذلك : كقوله : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴾[2] [الجن : ١٤] .

٣٠ - إيراد الجملة التي رد بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في الاسمية والفعلية : كقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٨] لم يطابق بين قوله : « آمنا » وما رد به فيقول : ولم يؤمنوا ، أو وما آمنوا[3] .

٣١ - إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر :

نحو ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣] ولم يقل: الذين كذبوا[4] .

٣٢ - إيراد أحد جزءى الجملتين على غير الوجه الذي أورد نظيره من الجملة الأخرى : نحو ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[5] [البقرة : ١٧٧] .

٣٣ - العدول عن صيغة المضى إلى الإستقبال :

نحو ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٧] والأصل قتلتم[6] .

---

(١) معترك [١/٣٤] . الإتقان [٢/١١٣] . الحسناوى [٥٥] . وانظر الزركشى [١/٦٦] الجندي [٢/٢٠١] . الإشارات [٣٠٠] .

(٢) معترك [١/٣٤-٥] . الإتقان [٢/١١٣] . الحسناوى [٥٥] .

(٣) معترك [١/٣٥] . الإتقان [٢/١١٣-٤] . الحسناوى [٥٥] .

(٤) معترك [١/٣٥] . الإتقان [٢/١١٤] . الحسناوى [٥٥] .

(٥) سورة البقرة [١٧٧] . معترك [١/٣٥] . الإتقان [٢/١١٤] . الآلوسى [٢/٤٨] . الآلوسى لمحسن [٢٥١] . الحسناوى [٥٥] .

(٦) معترك [١/٣٩] . الإتقان [٢/١١٥] . الجندى [٢/١٨٨] . الحسناوى [٥٦] . وانظر الزركشى [١/٦٧] . الآلوسى [٢١/٤٣] . محسن [٢٥١] .

٣٤ - تخصيص كل من المُشْرَكَين بموضع :

نحو قوله فى الآية «٥٢» من سورة إبراهيم : ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ وفى «٥٤» و «١٢٨» من طه : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾[١] .

٣٥ - جمع ما حقه أن يفرد :

نحو ﴿ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ [إبراهيم : ٣١] أي « ولا خلة » كما فى الآية : «٢٥٤» من سورة البقرة[٢] .

ورفض د/ عدنان زرزور هذا القول ، على أساس أن ورود « خلة » بصيغة المفرد فى آية لا يعنى بالضرورة أن تأتى بهذه الصيغة فى آية أخرى[٣] .

٣٦ - إجراء غير العاقل مجرى العاقل :

نحو ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾[٤] [يوسف : ٤] .

٣٧ - إمالة ما لا يمال : كآى طه والنجم[٥] .

٣٨ - إيقاع الظاهر موقع المضمر :

نحو ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[٦] .

٣٩ - إيقاع صيغة مفعول موقع صيغة فاعل :

كقوله فى الآية «٤٥» من سورة الإسراء : ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[٧] [الإسراء : ٤٥] .

---

(١) معترك [١/٣٦] . الإتقان [٢/١١٤] . الحسناوى [٥٥] .

(٢) معترك [١/٣٧] . الإتقان [٢/١٤٤] . الحسناوى [٥٥] . وانظر الزركشى [١/٦٤] . زرزور [٢٤٠] . مجلة الأزهر [٤٣٦،٧٣٥] .

(٣) القرآن [٢٤٠] .

(٤) معترك [١/٣٧] . الإتقان [٢/١١٤] . الجندى [٢/١٨٨] . الحسناوى [٥٦] .

(٥) معترك [١/٣٧] . الإتقان [٢/١١٤] . الحسناوى [٥٦] . وانظر الزركشى [١/٦٧] . الجندى [١/١٩٧] .

(٦) سورة الأعراف ١٧٠ ، معترك [١/٣٧] . الإتقان [٢/١١٤] . الحسناوى [٥٦] .

(٧) معترك [١/٣٨] . الإتقان [٢/١١٤] . الجندى [٢/١٨٨] . الحسناوى [٥٦] .

٤٠ – إيقاع صيغة فاعل موقع صيغة مفعول : نحو ﴿ عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾[١] .

٤١ – الفصل بين الموصوف والصفة :

نحو ﴿ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝ ﴾[٢] [الأعلى] إن أعرب « أحوى صفة لمرعى ، أى حالا » .

٤٢ – حذف الفاعل ونيابة المفعول :

نحو قوله فى الآية «١٩» من سورة الليل : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾[٣]

٤٣ – الجمع بين المجرورات :

نحو ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ [الإسراء : ٦٩] فإن الأحسن الفصل بينها إلا أن مراعاة الفاصلة اقتضت عدم الفصل وتأخير « تبيعا »[٤]

٤٤ – تغيير بنية الكلمة :

نحو قوله فى الآية الثانية من سورة التين : ﴿ وطور سينين ﴾ والأصل سيناء[٥] .

ومهما يكن من شيء فقد احترز ابن الصائغ ، فأعلن بعد أن فرغ من تعداده : لا يمتنع فى توجيه الخروج عن الأصل فى الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة . فإن القرآن – كما جاء فى الأثر – لا تنقضى عجائبه[٦] .

وأضاف الزركشى :

---

(١) سورتا الحاقة [٢١] والقارعة [٧] . معترك [١/٣٨] . الإتقان [٢/١١٥] .

(٢) معترك [١/٣٨] . الإتقان [٢/١١٥] . الحسناوى [٥٦] .

(٣) سورة الليل ١٩ . معترك [١/٣٨] . الإتقان [٢/١١٥] . الحسناوى [٥٦] .

(٤) معترك [١/٣٨] . الإتقان [٢/١١٥] . الحسناوى [٥٦] . وانظر الزركشى [١/٦٢] .

(٥) معترك [١/٣٩] . الإتقان [٢/١١٥] . الجندى [٢/١٨٨] .تصوير قطب [٨٦-٧] الحسناوى [٥٦] . وانظر الزركشى [١/٦٢] . الآلوسى [٢٣/١٤١] . الآلوسى لمحسن [٢٥١] .

(٦) معترك [١/٣٩] . الإتقان [٢/١١٥] . حمودة [٤٥] . الجندى [٢/١٨٨] . الحسناوى [٦٠،٧٣] .

٤٥ - زيادة صفة :

كقوله فى الآية الأولى من سورة الأعلى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ وفى الأولى من سورة العلق ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ فزاد فى الأولى « الأعلى » وفى الثانية « الذي خلق » مراعاة للفواصل فى السورتين[١] .

وأضاف الآلوسى :

٤٦ - حذف كلمة أو صفة :

قال فى قوله ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ [ص : ٥١] : يمكن أن يقال : التقدير: وشراب كثير ، لكن حذف الكثير لدلالة ما قبل ، ورعاية للفاصلة[٢] .

وأضافت د/ عائشة عبد الرحمن :

٤٧ - إيثار مرادف على آخر :

كقوله ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝ ﴾ [التكاثر] تجد الصنعة البلاغية فيها أن المقابر أوثرت على القبور ، للمشاكلة اللفظية بينها وبين التكاثر . ويحس البلاغيون - ونحس معهم - نَسَق الإيقاع بها وانسجام الجرس[٣] . لكن وراء هذا الملحظ ملحظا بيانيا اقتضاه المعنى : فالمقابر جمع مقبرة ، وهى مجتمع القبور ، واستعمالها هنا هو الملائم معنويا لهذا التكاثر، دلالة على مصير ما يتكالب عليه المتكالبون فى حطام الدنيا . هناك حيث مجتمع الموتى ومحتشد الرم ، على اختلاف الأعمار والأجيال والطبقات . وهذه الدلالة من السعة والعموم والشمول ، لا يمكن أن يقوم بها لفظ القبور جمع قبر[٤] .

---

(١) البرهان [٦٦/١] .

(٢) روح [٢١٣/٢٣] . محسن [٢٥١] .

(٣) الإعجاز [٢٥٥] .

(٤) الإعجاز [٢٥٥] .

وأخذ د/ على الجندى على ابن الصائغ :

أولا : المبالغة حتى نقل ما لا يصح وقوعه فى القرآن .

ثانيا : اتجاهه إلى المناسبة اللفظية وحدها ، وصرف رغبته إليها ، وعنايته بها إلى الحد الذي يقول معه : واعلم أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية ، يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول(١) .

وكان لمحمد الحسناوى عليه الملاحظات الآتية :

١ - لفظ أحكام - الذي جعله فى عنوان كتابه - يرصد الجانب العلمى من دون الجانب الجمالى .

٢ - نكاد نجزم بانفراد هذه الأحكام بالمسائل النحوية المتعلقة بالفواصل والآيات وهو أمر لا يحيط بأبعاد الفواصل ، وما أكثرها .

٣ - أن الزركشى عدّد فى البرهان اثنى عشر حكما من الأحكام الأربعين التى استقصاها ابن الصائغ ، المتوفى قبله بثمانى عشرة سنة ، ولم يشر إليه ، خلافا لعادته .

٤ - وافق الزركشى ابن الصائغ فى منحى الاستنباط والتمثيل للأحكام ، لكنه خالفه فى العدد والترتيب وبعض المصطلحات وضم عدد من الأحكام تحت حكم واحد .

٥ - ليس بحث الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة من ابتكار ابن الصائغ ، بل إن جهده كان فى الاستقصاء كما صرح بذلك . يؤكد هذا ما ساقه الزركشى عن إسهام عدد من العلماء فى هذه الأحكام ومناقشتهم لبعضها مثل الفراء وابن قتيبة . وتلك ميزة امتاز بها الزركشى عن ابن الصائغ بحسب ما نقل عن الأخير(٢).

(١) صور [٢/١٨٨-٩] .

(٢) الفاصلة [٥٨-٩] .

يتضح مما سبق أن أغلب من قالوا بمراعاة الفواصل – إن لم أقل كلهم منذ أولهم – إما قالوا بأن ما جاء فى القرآن ظواهر لغوية معروفة ، آثر القرآن منها ما اتفق مع الفواصل ؛ أو ذكروا لها وجوها أخرى ؛ أو لم يستبعدوا أن يكون لها ذلك . ولم تكن قضية إيثار ظاهرة غير قياسية أو إجراء بعض التغيير فى الاستعمال اللغوى من أجل غايات بلاغية أمرا مستنكرا عندهم . بل نجده عند أبي عبيدة معمر بن المثنى « ١١٠-٢٠٩/٧٢٨-٨٢٤ » فى غير الفواصل[1] .

ويبدو أن كتاب الفراء توارى عن الأنظار مدة ، فاضطر العلماء إلىالاعتماد على مقتبسات منه ، دون أن يرجعوا إليه مباشرة . فأدى ذلك إلى أن ينسب إليه أقوال لم يتحدث بها ، وإلى أن يردّوا على أشياء فى غير حاجة إلى الرد .

وبدأ رفض القول بمراعاة الفواصل معتدلا عند ابن قتيبة ، الذي اتخذ معيارا محددا لتوثيق الظواهر التى يقبلها ، هو ألا تزيل المعنى عن جهته ، وألا تؤدى إلى زيادة أو نقص[2] . أما هجومه العنيف على الفراء فقد كان فيما اعتقد أنه ارتكب فيه خطأ فاحشا . وفيما عدا ذلك اعتمد عليه كثيرا . ثم أضاف ثلاثا من ظواهر مراعاة الفواصل .

واتفق معه محمود بن عمر الزمخشرى « ٤٦٧-٥٣٨/١٠٧٥-١١٤٤» الذي صرح الزركشى أنه قال فى كشافه القديم : لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعانى على سدادها ،على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه ، كما لا يحسن تخير الألفاظ المونقة فى السمع ، السلسة على اللسان ، إلا مع مجيئها منقادة للمعانى الصحيحة المنتظمة . فأما أن تُهمل المعانى ويهتم بتحسين الألفاظ وحده ، غير منظور فيه إلى مؤداه على بال ، فليس من البلاغة فى فتيل أو نقير .

---

(١) مجاز [١/٩-١٠] . عائشة [٢٣٥] .

(٢) تفسير [٤٤٠] .

وذكر أنه بنى على ذلك أن التقديم فى ﴿ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة : ٤] ليس لمجرد الفاصلة بل لرعاية الاختصاص[١] .

واعتمد الفخر الرازى «٥٤٤-٦٠٦/١١٥٠-١٢١٠» فى الرفض على أن الشاعر يقدم ويؤخر للسجع ، فيكون اللفظ حاملا على تغيير المعنى . أما القرآن فحكمة بالغة ، والمعنى فيه صحيح ، واللفظ فصيح ، فلا يقدم اللفظ ولا يؤخره بلا معنى[٢] .

واعتمد المغربىالذي ذكره الزركشى على عدم اطراد الظواهر فى القرآن كله .

ثم تشدد المحدّثون فى الرفض على أساس مبادئ اعتنقوها وانطلقوا منها . فأعلن د/على الجندى : مما يثير الدهشة أن نرى من يحاول إخضاع البلاغة لأمر لفظى محض ، وإن خالف قوانين النحو والصرف ، مع أنهم مجمعون على أن مخالفتها تخرج الكلام من نطاق الفصاحة التى هى شرط فى البلاغة .

ونحن لا ننكر ما للسجع والازدواج من أجراس شاجية ، تكسب الكلام أناقة وحلاوة ، وتجعل له وقعا نديا على السمع والقلب . ولكنا لا نستطيع بحال أن ننزله هذه المنزلة الخطيرة ، التى يستباح معها الخطأ فى الكلام ، والتي تسحب ذيل الإغفال والإهمال على كل غرض ، وبخاصة حينما يتصل الأمر بكلام اللّه وكلام رسوله .

وليس معنى هذا أننا ننكر وجود الحلى اللفظية فى القرآن ، أو نغض من قيمتها . بل نعنى أن ورود هذه الحلى لا يصح أن يعق اللغة أو يجافى قواعد الإعراب . وهى لا تقع إلا حيث يطلبها المعنى ، ويستدعيها المقام . فتحت كل حلية نكتة بلاغية ظاهرة أو مستترة .

---

(١) البرهان [١/٧٢] . معترك [١/٥٢-٣] . الإتقان [٢/١٢٠] . الجندى [٢/١٤١] .
(٢) مفاتيح [١٧/٢٦] . محسن [٢٤٧-٨] .

وأحسب أنا لا نحتاج إلى جهد كبير فى تزييف ما ادعوه من خروج الكلمات عن أوضاعها ليتم هذا التوافق المصنوع على حساب البلاغة[1] .

وكان مبدأ عبد الكريم الخطيب أن القول بإجراء تغييرات من أجل الفاصلة لا يليق بمقام القرآن ، ولا يناسب جلاله وإعجازه[2] .

ورمى د/ محمد أحمد الغمراوى القائلين بمراعاة التجانس بالغفلة عن أن المتكلم فى القرآن هو الحق سبحانه ، والذي يقوله الحق هو الأصل فى اللغة ، وهو المرجع ، لا ما يقوله الفراء وأبو البقاء .

إن القرآن هو الحجة على علماء العربية وغيرهم ، وهو الحكم ، فإذا هم قصر بهم علمهم أو فهمهم عن إدراك حكمة الله فيما أنزل أو عبر فى كتابه من حيث المعنى وأسلوب التعبير عنه ،فالعيب عيبهم ، والخطأ خطؤهم .

وحسابهم على الله ، حين قالوا فى كتابه بالرأى ، ولم يهتدوا بما وصف الله به كتابه ، وبما أثنى به عليه فى قوله : ﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ ﴾ [الزخرف] . وهم يقولون : إنه عدل عما هو الأصل فى العربية إلى غيره ، كأنهم أعلم بالعربية ، وأقدر عليها منه سبحانه .

الله يقول: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] . وهؤلاء ومن لف لفهم يقولون ما يستتبع أن كتابه غير محكم . وإلا فكيف يمكن أن يكون تفصيل آيات القرآن قد وقع فى دائرة الإحكام إذا كان قد خالف ما هو أصل فى العربية ، فقدم ما حقه التأخير وأخر ماحقه التقديم ، ابتغاء الحفاظ على التناغم أو التوافق بين رءوس الآى ؟[3] .

---

(١) صور [١/١٩٩-٢٠١] ، [٢/١٧٧] .

(٢) إعجاز [٢/٢١٩] .

(٣) مجلة الأزهر [٧٣٦] .

وكانت النتيجة التى خلصت إليها د/ عائشة عبد الرحمن من تحليل عدد من هذه الظواهر : أنه ما من فاصلة قرآنية لا يقتضى لفظها فى سياقه دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه . قد نتدبره فنهتدى إلى سره البيانى ، وقد يغيب عنا فنُقر بالقصور عن إدراكه .

وتحرزت فأعلنت أنها لا تهوّن من قيمة التآلف اللفظى والإيقاع الصوتى . فالبلاغة - من حيث هى فن القول - لا تفصل بين جوهر المعنى وأسلوب أدائه ، ولا تعتد بمعان جليلة تقصر الألفاظ عن التعبير البليغ عنها ، كما لا تعتد بألفاظ جميلة تضيع المعنى أو تجور عليه ليسلم لها زخرف بديعى[1] .

وكان منطلق د/ فؤاد على رضا أن القرآن لا يخضع لحكم ضرورة من الضرورات، لأن الحق المطلق هو الذي ينسق فيه اللفظ والمعنى متآخيين إخاء الجوهرة الكريمة إلى الجوهرة الكريمة فى العقد المنظوم . ووصف القول بمراعاة الفواصل بأنه لا ينطبق وصفات اللّٰه الكاملة القادرة ، وأنه منكر من القول وزور[2] .

وعاب د/ عدنان زرزور أمثال قول العلماء : تأخير ما « أصله » أن يقدم ، بأنه لا يفهم هذا « الأصل » الذي يشيرون إليه ، ولا يدرى كيف صار « أصلا » ، إلا من زاوية ذلك الإحكام الدقيق فى المبنى والمعنى جميعًا[3] .

واعتنق محمد الحسناوى مبدأ عدم خضوع القرآن إلى ما يخضع إليه كلام البشر كالشعر من ضرورات : من زيادة أو نقص أو إتباع أو تقديم أو تأخير[4] .

واختلف معهم د/ عبد الرءوف مخلوف الذي رفض ما قاله الباقلاني عن سبب تقديم هارون على موسى فى الآية ، ثم قال : لا يبقى - والأمر كذلك - إلا أن

---

(١) الإعجاز [٢٥٨] .
(٢) من علوم [١٣٣] .
(٣) القرآن [٢٣٩] .
(٤) الفاصلة [٢٢٩] .

يكون التخالف فى التعبيرين لتحقيق السجع ، الذي هو تحقيق لموقع المقطع فى السمع ، ومجيئه متحدا متوافقا مع ما قبله وما بعده . غير ناشز ، ولا كز ، ولاخارج عن سياق المقاطع جملة.

وذهب إلى أن اللغة ، وإن كانت أصلا للدلالة ، إلا أنها أيضًا تتعمد الجمال ، وتسعى إليه ، من طريق موافقتها للحس السليم ، واستجابتها للفطرة والذوق ، وجميعها تستعذب التوافق والانسجام ، وتنفر من التخالف والتباين . بل إن أسباب الجمال – فى جملتها – تضفى على الدلالة ذاتها لونا من ألوان القوة والبيان .

وعلى هذا نرى أن الذين ينكرون على من يحسنون التأليف بين الأصوات ، والمزاوجة بين الكلمات ، والمجانسة بين الفواصل ، إنما ينكرون جمال اللغة[1] .

وقال : اللغة لها وجهان : وجه يتمثل فى الأصوات ، وما تستشعره الأذن من وقع الكلم ونغمها ، ووجه يتمثل فى الدلالة والمضامين التى تحملها ، وتساق من أجلها الألفاظ .

والقرآن كما يراعى ويستهدف الوجه الثاني : وجه المضمون والمحتوى ، لا يقصر فى رعاية الوجه الأول : وجه الصوت والنغم ما لم يرم إلى إخلال بأخيه ؛ وهو يأخذ أسلوبه بذلك ما أمكن .

وأما حين تكون رعاية هذا الجانب مما عسى أن يتحيف المعنى أو ينتقصه فإن القرآن لا يقصده ، ولا يتكلفه ، وإنما يجيء طليقا من كل قيد ، متحررا من كل نغم ، مترسلا فى العبارة ، تاركا لنفسه العنان ، مغايرا بين رءوس الآى ، غير آخذ نفسه بمشاكلة أو مجانسة أو مقاربة بين فاصلة وفاصلة[2] .

☆

وأود أنا قبل أن أعلق على أقوال المؤيدين لاعتبار القرآن ، فى الفواصل، للتشاكل الصونى ، تحقيقا لموسيقية التعبير وأقوال الرافضين – أن أورد بعض الملاحظات والمبادئ التى إن اتفقنا عليها تخلصنا من كثير من أسباب الاختلاف .

(١) مجلة الأزهر [٢٦٦-٧] .

(٢) مجلة الأزهر [٤٣٥،٤٣٧] .

لم يقل أحد من المؤيدين إن القرآن أهمل المعانى واهتم بالألفاظ وحدها ، كما خاف الزمخشرى ؛ أو أنه غير المعانى أو أزالها عن وجهها من أجل التجانس الصوتى ، كما خشى ابن قتيبة والرازى .

لم يقل أحد من المؤيدين إن القرآن عق اللغة وجافى النحو ، أو خالف قوانينهما ، كما وجل د/ على الجندى . وإنما صرحوا بأنه اتبع ظواهر لغوية معروفة عندالعرب من قبل نزول القرآن أو آثر ظواهر على أخوات لها ، وإن كان فى عبارة ابن الصائغ ما قد يوحى بذلك ، إلا أن جملة كلامه تدل على ما أقول .

– أفضل ألا أستخدم كلمة « الضرورات » التى استخدمها د فؤاد رضا ومحمد الحسناوى وأسميها « الظواهر » لأن لفظ الضرورات يدل أن القائل اضطر إلى هذا الاستخدام اضطرارا ، ولم يكن له عنه مندوحة . وذلك أمر يكون فى الأجناس الأدبية التى تخضع لقوانين صارمة لا انفكاك عنها مثل الشعر والسجع الملتزم . أما القرآن فقد تمتع بحرية الانتقاء من السجع والازدواج والإرسال ، فلم يخضع للضرورات .

من الغريب أن بعض الرافضين – مثل د/ على الجندى ود/عائشة عبد الرحمن – تحدثوا عما تغدقه موسيقية التعبيرعلى النص القرآنى من جمال ، ومع ذلك رفضوا مراعاة القرآن لهذه الموسيقية .

– أقرب المتحدثين إلىّ ما رأى د/ عبد الرءوف مخلوف ، الذي وفق توفيقا كبيرا فى عرض رأيه والدفاع عنه .

– لا يشك أحد من المؤمنين بالأديان – وبخاصة الأديان السماوية – أن اللّه ذو علم غاية فى الاتساع ، وقدرة لا حدود لها ، وإرادة كاملة الحرية . فما شاء – كل ما شاء – قَدِر على إيجاده .

ولكنه – بمشيئته الحرة – أخضع ما خلق لقوانين ، مطردة كل الاطراد أحيانا وغالبية أحيانًا أخرى . ولا يعد ذلك قيدا على حريته ، وإنما هو كمال لإرادته ، وبرهان على حكمته .

وشاء – كما أعلن غير مرة – أن تكون لغة القرآن خاضعة لقوانين العربية وأعرافها: اللغوى منها ، والنحوى ، والبلاغى . ومعنى ذلك أن القرآن سلك النهج الذي ينهجه العرب – من البشر –في تحقيق الصحة اللغوية ، والجمال الأدبى . حقا كان القدر من الجمال الذي توفر للقرآن فوق ما توفر لأى عمل أدبي آخر . ولكن ذلك لم يكن بسبب خروجه على القوانين العربية ، بل بسبب القدرة الفائقة على حسن استخدام هذه القوانين .

ومن هذه القوانين ما وضحه د/ عبد الرءوف مخلوف من بناء العمل الأدبى على مضمون وشكل أو إن أردنا مصطلحات الأوائل : معنى ولفظ ، وأن الأديب – إذا أراد أن يصدر عملا ممتازا – يجب أن يقدم كل ما يستطيع من العناية بالأمرين جميعا ، وألا يعنى بأحدهما على حساب الآخر . وكذا فعل القرآن .

مراعاتها فى اختيار القراءات

ذكر الفراء – فى أثناء الحديث عن الآية الحادية عشرة من سورة النازعات -- أن عمر بن الخطاب وآخرين قرؤوها ﴿ ناخرة ﴾ ثم قال : وقرأ أهل المدينة والحسن ﴿ نخرة ﴾ ، و ﴿ ناخرة ﴾ أجود الوجهين فى القراءة ، لأن الآيات بالألف . ألا ترى أن ﴿ ناخرة ﴾ مع ﴿ الحافرة ﴾ و ﴿ الساهرة ﴾ أشبه بمجىء التنزيل . والناخر والنخرة سواء فى المعنى . وقد فرق بعض المفسرين بينهما [١] .

وعاب د/ محمد أحمد الغمراوى الفراء فقد رأى أن إيثار السجع جنى عليه إذ سوى بين ناخرة ونخرة فى المعنى ، وفضل القراءة الأولى على الثانية ، وهما من

---

(١) معانى [٣/٢٣١] . مجلة الأزهر [٤٣٧] .

عند الله . ولا شك أن منكرى البعث كانوا بين منكر يراه مستحيلا بعد أن بدأ الجسم يبلى ، ومنكر يراه مستحيلا بعد أن استحكم فيه البلى . فجاءت القراءتان تمثلان الإنكارين جميعًا [1] .

والحق إن الفراء لا يستحق العيب ، لأنه ذكر التسوية وعدم التسوية فى المعنى ، ولأن تفضيله لإحدى القراءتين تفضيل لا يستلزم إنكار الأخرى ، أو أنها غير مروية .

مراعاتها فى ترتيب السور

التفت بعض العلماء إلى أن الفواصل كانت أحد العوامل التى روعيت فى ترتيب السور فى المصحف . روى السيوطى : قال بعضهم : وضعت سورة الإخلاص هاهنا للوزان فى اللفظ بين فواصلها ومقطع سورة « تبَّت » .

وقال : قدمت الفلق على الناس – وإن كانت أقصر منها – لمناسبة مقطعها فى الوزان لفواصل الإخلاص مع مقطع « تبت »[2] .

بلاغتهـا

أعلن محمد حنيف فقيهى أن الفراء تنبه إلى أن الفاصلة مفتاح وزن القرآن أو موسيقا نظمه [3] . وأعتقد أنه أطلق هذا القول استئناسا بما قاله الفراء عن مراعاة الفواصل .

وقسم على بن عيسى الرمانى « ٢٩٦-٣٨٤/٩٠٨-٩٩٤» البلاغة على عشرة أقسام ، جعل الفواصل الخامس منها [4] .

ولما قسم الفواصل إلى متجانسة الحروف ومتقاربتها ، بخلاف الشعر الذي يشترط فيه تماثل الحروف « الروى » ، خشى أن يظن ظان أن المتقاربة « الازدواج »

---

(١) مجلة الأزهر [٨٥٥] .

(٢) أسرار [١٦٠-٢] .

(٣) نظرية [٦٢] .

(٤) النكت [٧٠،٨٩-٩١] . الباقلانى [٢٦٢،٢٧١] ، صقر [١١] . الحناوى [٦] .

متدنى الدرجة ، فنص على أن فيها بلاغة وحسن عبارة ، وأن الحسن أتى فيها من اكتناف الكلام من البيان ما يدل على المراد فى تمييز الفواصل والمقاطع(١) ، على حين أن ذلك يتعذر فى قوافى الشعر لأنها ليست فى الطبقة العليا من البلاغة . وإنما يأتيها الحسن من إقامة الوزن ومجانسة القوافى كليهما . فلو بطل أحد الشيئين بطل الحسن الذي لها فى الأسماع ، ونقصت رتبتها فى الأفهام(٢) .

وذهب أبو هلال الحسن بن عبد اللّه العسكرى «بعد ٣٩٥/١٠٠٥» إلى أن جميع ما فى القرآن ، مما يجرى على التسجيع والازدواج مخالف – فى تمكين المعنى ، وصفاء اللفظ ، وتضمن الطلاوة والماء – لما يجرى مجراه من كلام الخلق(٣) .

ولكنه – فى الوقت نفسه – جعل الازدواج دون السجع(٤) ، غافلا عن أن هذا القول يمكن أن يكون له مردوده فى هذا الصدد ، لأن كثيرا من فواصل القرآن من المزدوج ، وإن كان قوله الأول قد يتلافى هذا المردود .

وركز أبو محمد زكى الدين عبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبي الإصبع «٥٨٥–٦٥٤/١١٩٨–١٢٥٦» على العلاقة الوثيقة بين الفاصلة وسائر الآية . فوصف مقاطع القرآن بالتمكن(٥) ، وفواصله بالبراعة (٦) ، وقال : جاء من باب ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الآية كل عجيبة باهرة (٧) .

---

(١) النكت [٩٠–١] شرشر [٦٥] . الحسناوى [١٤] . العمرى [١٧٥] . الحناوى [١٨٨] .

(٢) النكت [٩٠–١] الحسناوى [١٤] . أبو على [٧٩] . الحناوى [١٨٨] . وانظر الباقلانى [٢٧١] .

(٣) الصناعتين [٢٨٥] ، الجندى [١٦٩/٢] ، وانظر أبو زهرة [٢٩٦] ، الحكيم [١٠٨–٩] .

(٤) الصناعتين [٢٨٨] .

(٥) الخواطر [٧١] . وانظر الزركشى [٦٠/١،٧٨] .

(٦) الخواطر [٧١] .

(٧) تحرير [٢٢٤] .

وقال الزركشى : جاء القرآن على أعذب مقطع ، وأسهل موقف[1] . وقال : اعلم أن إيقاع المناسبة – فى مقاطع الفواصل حيث تطرد – متأكد جدا ، ومؤثر فى اعتدال نَسَق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرًا عظيمًا [2] .

وركز صاحب تفسير المنار على التأثير فى النفوس فقال : من اللطائف البديعة التى يخالف بها نظم القرآن نظم كلام العرب من شعر ونثر :

أنك ترى السور ذات النظم الخاص والفواصل المقفاة تأتى فى بعضها فواصل غير مقفاة، فتزيدها حسنا وتأثيرا فى القلب .

وتأتى فى بعض آخر آيات مخالفة لسائر آياتها فى فواصلها وزنا وقافية . فترفع قدرها، وتكسوها جلالة ، وتجدد من نشاط القارئ ، وترهف من سمع المستمع ، ومن أعجب هذه السور أوائل سور المفصل بل المفصل كله [3] .

وقال سيد قطب : جمع النسق القرآنى بين مزايا النثر والشعر جميعا . ولكنه أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة . فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة [4] .

وأخذ فى الوقت ذاته من الشعر الموسيقا الداخلية ، والفواصل المتقاربة فى الوزن التى تغنى عن التفاعيل ، والتقفية المتقاربة التى تغنى عن القوافى . وضم ذلك إلى الخصائص التى ذكرنا ، فشأى النثر والنظم جميعًا [5] .

---

(١) البرهان [١/٦٩] . السلامى [٢٢٣] . الحسناوى [١٨٥] . وانظر الإتقان [٢/١٢٠] . عتر [٢٥٦] . الدبل [٩٧] .

(٢) البرهان [١/٦٠] .

(٣) [١/٢٠١] .

(٤) التصوير [٨٥] ، الصالح [٣٣٤] . شيخون [١١٢] . زرزور [٢١٠] . شحاتة [١٧٢] , الحسناوى [٦٦،٩٢] ، أبو فرحة [١٢١] ، وانظر الزفزاف [١٢٣-٤] .

(٥) التصوير [٨٥] ، الصالح [٣٣٤] ، شيخون [١١٢] ، زرزور [٢١٠] ، الحسناوى [٦٦] ، أبو فرحة [١٢١] .

وحيثما تلا الإنسان القرآن ، أحس بذلك الإيقاع الداخلى فى سياقه ، يبرز بروزا واضحا فى السور القصار ، والفواصل السريعة ، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة ، ويتوارى قليلا أو كثيرا فى السور الطوال ، حتى تنفرد الدقة دونه فى التشريع ، ولكنه - على كل حال - ملحوظ دائما فى بناء النظم القرآنى[(١)] .

وأتى بالاثنتين والعشرين آية الأولى من سورة النجم ثم عقب عليها قائلا : هذه فواصل متساوية فى الوزن تقريبا ، على نظام غير نظام الشعر العربى ، متحدة فى حرف التقفية تماما ، ذات إيقاع موسيقى متحد تبعا لهذا وذلك ، وتبعا لأمر آخر لا يظهر ظهور الوزن والقافية ، لأنه ينبعث من تآلف الحروف فى الكلمات ، وتناسق الكلمات فى الجمل . والإيقاع الموسيقى هنا متوسط الزمن ، تبعا لتوسط الجملة الموسيقية فى الطول ، متحد تبعا لتوحد الأسلوب الموسيقى ، مسترسل الروى كجو الحديث الذى يشبه التسلسل القصصى[(٢)] .

وصرح أن جرس الفاصلة وإيقاعها فى سورة محمد - التى كانت تسمى سورة القتال- منذ البدء كأنه القذائف الثقيلة « أعمالهم - بالهم - أمثالهم - أهواءهم - أمعاءهم » وحتى حين تخف فإنها تشبه تلويح السيوف فى الهواء « أوزارها - أمثالها - أقفالها »[(٣)] .

وذهب عبد الوهاب حمودة إلى أن أظهر ما تبرز موسيقا القرآن فى فواصله ومقاطع آياته [(٤)] . وذهب د/ أحمد أحمد بدوى إلى أن تمكن الفاصلة قد يشتد فى مكانها حتى لتوحى الآيات بها قبل نطقها [(٥)] وجعل الفاصلة لبنة متميزة فى بناء هيكل السورة [(٦)] .

(١) التصوير [٨٥] . الحسناوى [٦٦-٧] .
(٢) التصوير [٨٦] . شيخون [١١٢-٣] . الحسناوى [٦٦] .
(٣) فى ظلال [٣٢٨٠] .
(٤) لواء [٤٤] . الحسناوى [٧٢،١٤] . وانظر رمضان [٤٦] .
(٥) من بلاغة [٨٦] .
(٦) من بلاغة [٧٥] .

وأفاض د/ على الجندى الحديث عن الدور الموسيقى للفاصلة ، فقال : لا يمكن أن ننكر أن من المقاصد فى فواصل القرآن أن تكون شاجية النغم ، حلوة الجرس ، عذبة الرنين ، تطرب بلفظها كما تطرب بمعناها ، ليتم لها الحسن من جميع جهاته . وبهذا انفرد الكتاب العزيز دون الكتب السماوية بهذه المزية الفائقة ، وهى التغنى به تغنيا لا يفسد نظمه ، ولا يزرى بمعناه (١) .

وبناء الفواصل على الحروف التى تنبض بالتطريب والغنة ، ثم برعاية التماثل والتقارب بينها ، استكملت أداة الغناء ، وتم لها الإيقاع من غير توقيع (٢) .

وقال عن الفاصلتين المكررتين فى سورتى الرحمن والمرسلات : أما من حيث اللفظ فكأن هاتين الفاصلتين قفلة توشيحية ، أو قافية شعرية إضافية ، تريح نفَس القارئ من البُهْر ، وترشده إلى إجادة الوقف وتلوين الصوت .

ثم هما تحكمان الربط بين الآيات السابقة واللاحقة ، وتسوقان أنغامها المتسلسلة إلى نهاية تتوحد عندها .

ولاشك أن فاصلة سورة الرحمن – وهى من السور المقروءة كثيرا – قد زادت من روعة التلاوة ، بما خلعت عليها من إيقاع محبب بهيج ، وأمدت القراء بألوان من التنغيم المؤثر الأخاذ ، نراه يستثير مشاعر السامعين ، ويحدوهم – بلا وعى – إلى ترديد هذه الفاصلة مع القراء ، فى خشية غامرة وخشوع عميق(٣) .

وجعل نعيم الحمصى من مميزات القرآن انتهاء آياته بفواصل موسيقية تنتهى بحرف ساكن قبله حرف لين ، أو بحرف لين قبله حرف صوتى ، مما يعطى ضربا مستعذبا خاصا من الموسيقا (٤) .

---

(١) صور [١٨٤/٢] .

(٢) صور [١٨٥/٢] .

(٣) صور [١٨٧/٢] .

(٤) فكرة [٢٩-٣٠] ، فقيهى [١٨٦-٧] .

وأشار د/ صبحى الصالح إلى القلق الذى يستولى على الإنسان ، وهو يكرر هاء السكت فى أكثر فواصل سورة الحاقة (١) .

وقسم محمد المبارك سورة العاديات ثلاثة أقسام . ورأى القسم الأول يتألف من خمس فقرات موسيقية ذات نغمة واحدة ، تقل فيها المدود . وكل فقرة منها تتألف من كلمتين :

أولاهما : تحتوى على بعض المدود الطويلة .

وثانيتهما – وهى فاصلة الآية : كلمة ثلاثية لا مد إلا فى آخرها .

وهذه الفقرات تمثل بقلة ورودها ، وتوالى حروفها المتحركة ، حركة الخيل فى عدوها ووقع حوافرها ثم ارتفاعها (٢) .

وصرحت د/ عائشة عبد الرحمن أنه لا خلاف بين السلف أن لفواصل القرآن إيقاعها الفريد وبلاغتها العليا (٣) .

وقال د/ بكرى شيخ أمين : كما أن القافية فى البيت عنصر متميز ، فإن الفاصلة كذلك فى الآية عنصر متميز . إن الفاصلة ترد وهى تحمل شحنتين فى آن واحد : شحنة من الوقع الموسيقى ، وشحنة من المعنى المتمم للآية (٤) .

وأعلن د/ حسن ضياء الدين عتر : تحس – عندما تستمع القرآن أو تتلوه – أن لهذه الفواصل نغمات نفسية معنوية ، وإيقاعا يعطيك متعة فنية مؤثرة ، تبث فى فؤادك الطمأنينة والارتياح . وتجد للتراكيب القرآنية من التلاحم والائتلاف وقوة التماسك مالا تجده فى سائر كلام البشر (٥) .

---

(١) مباحث [٣٣٥] .

(٢) دراسة [٢٢] .

(٣) الإعجاز [٢٣٥] .

(٤) التعبير [٢٠٣-٢٠٤،٢٠٧] .

(٥) بينات [٢٥٦،٢٥٩] .

وذهب السلامى إلى أنه – عندما يلتئم الإيقاع الموسيقى للقرآن بزنة السجعة – تأخذ النغم أبعادها ، من عمق الآية ، ومن حروف أواخرها ، وكلما كانت الأواخر أكثر إيقاعا ، كانت النفس أشد تأثرا ، والمعنى أكثر خلودا . ولذلك اهتم العرب بالخواتم . يقول ابن جنى : « آخر السجع والقافية أشرف عندهم من أولها ، والعناية بها أمسّ ، والحَشْد عليها أوفى وأهم . وكذلك كلما تطرف الحرف فى القافية ازدادوا عناية به ، ومحافظة على حكمه »[١] .

ورأى د/ عدنان زرزور أن الفاصلة تقوم بدورها فى إحكام بناء الآية فى الشكل والمضمون ، أوفى المبنى والمعنى ، على حد سواء لأن منهج الآية فى التقديم والتأخير ، والحذف والزيادة ، والفصل والوصل ، لا يقوم على اعتبارات شكلية محضة ، بل يتبع كذلك المعنى ، فيسهم فى إحكامه أيضًا على أوثق وجوه الإحكام . وهذا هو ما أشار إليه الزمخشرى فى كشافه القديم ، أما الإحكام اللفظى – أو النظم الموسيقى – فإن دور الفاصلة فيه شديد الوضوح[٢] .

وجعل محمد الحسناوى أول دلالة للإحصاء الذى قام به للفواصل استشعار التماسك المحكم فى أصغر وحدة فنية للنص القرآنى – ألا وهى الآية – ذلك التماسك الذى ينشأ– فيما ينشأ – من اطراد الفاصلة فى الآيات جميعا ، طويلها وقصيرها ، مكيها ومدنيها ، على حد سواء . والدلالة السابعة التناغم والانسجام بين الجمال الفنى والفكرة الهادفة أو الغرض الدينى[٣] .

وجعل د/ مصطفى الصاوى الجوينى الفواصل نغما ثريا فى الأداء الصوتى[٤] .

وصرح د / السيد عبد الغفار : يتضح لنا ترابط الفواصل مع المعانى السابقة عليها واللاحقة بها ، فى مناسبة بديعة ، وحسن تخلص ، ووقع يعمل على تماسك المعنى وزيادة الوضوح فيه .

---

(١) الإعجاز [٢٣٠] .

(٢) القرآن [٢٣٧-٩،٢٤٦-٩] .

(٣) الفاصلة [٢٩٨،٣٠٤] .

(٤) جماليات [١٢٤] .

وتأتى الفاصلة كذلك فى تآلف وانسجام بين الآيات ، لم نعهد ذلك فى أسلوب غير الأسلوب القرآنى . وإن كانت المناسبة اللفظية أمرا مستحبا فى سياق الأسلوب ، إلا أنها فى الأسلوب القرآنى تأتى فى أبلغ معنى ، وفى أجمل صورة . كل لفظ مستقر فى مكانه ، مطمئن فى موضعه ، غير نافر ولا قلق ، يتعلق اللفظ باللفظ ، والمعنى بالمعنى ، فى سمت رائع يخالط القلوب والأفكار[1] .

ونختم بوصف د/ المحمدى عبد العزيز الحناوى الفواصل بأنها قمة فى السمو والارتقاء[2] .

☆

تكشف لنا هذه الجولة عن وجود شقين أثارا انتباه العلماء ، فأكثروا من الحديث عنهما خاصة ، هما الشق الموسيقى ،وائتلاف المعنى . فكل من كتبوا عن الفواصل – منذ الفراء – تحدثوا عن دورها الموسيقى ، قصرت عباراتهم أو طالت ، ولكن الأساس واحد . ويلفت النظر هنا إشارة د/ على الجندى إلى انفراد القرآن دون الكتب السماوية الأخرى بالصلاحية للتغنى ، وتناول سيد قطب ود/ صبحى الصالح ومحمد المبارك دلالة الجرس الموسيقى على موضوع الآيات ، ود/ حسن عتر النغمات النفسية .

وكان أبو هلال العسكرى أول من أتى بإشارة قصيرة إلى تمكين المعنى . ثم أفاض الزركشى فى هذا الشق ، وتناوله من جوانب شتى .

وتحدث الرمانى حديثا مجملا عن بلاغة الفواصل ، ما كان منها سجعا وما كان ازدواجا ، مع الإشارة إلى حسن العبارة . فأتى بعده أبو هلال وتحدث عن صفاء المعنى والطلاوة ، وابن أبى الإصبع عن البراعة .

---

(١) قضايا [٣٢١-٢] .

(٢) دراسات [١٨٧] .

وجاء الزركشى وسيد قطب بعبارتين رددهما العلماء بعدهما . أعنى حديث الأول عن عذوبة المقاطع وسهولة المواقف ، والثانى عن جمع الفواصل بين محاسن النثر والشعر مع تحررها من قيود هذا وذاك ، مما أتاح أن تبدع ما شاءت .

ووقع الرمانى فى الغلطة التى تابعه فيها الباقلانى ، غلطة الإزراء الباطل بالشعر من أجل التدليل على تفوق القرآن . والقرآن فى غير حاجة إلى ذلك .

الفصل الثانى
وجود السجع فى القرآن

نشب اختلاف منذ القرن الثالث – وربما قبله – بين دارسى الفواصل : أهى سجع مثلها مثل ما نجده فى النثر البشرى أم هى ليست بسجع .

ولا أشك أن هذا الحوار بدأه من ذهبوا إلى أن ما فى القرآن سجع ، ولكننى مضطر أن أبدأ الدراسة بغيرهم ، لأن أقدم ما عثرت عليه من أقوال كانت أقوالهم .

المتوسطون والمتوقفون والمترددون

المتوسطون

تكشف أقدم فئة عثرت على أقوالها عن موقف متوسط . وأقدم رجل من هذه الفئة أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ «١٦٣–٢٥٥/٧٨٠–٨٦٩» ، الذى كان يعجب بالسجع ، وأورد عددا من القواعد ، صارت مبادئ أساسية عند من تناول هذه القضية دون إشارة إليه . فقدأتى بحديث كراهية الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم للسجع . قال أحدهم للنبى صلى اللّٰه عليه وسلم : يا رسول اللّٰه : أرأيت من لاشرب ولا أكل ، ولا صاح واستهلّ ، أليس مثل ذلك يُطلّ ؟ فقال رسول اللّٰه : أسجع كسجع الجاهلية [1] ؟!

وعقب عليه بما يلى :

١ – كره الرسول إبطال الحقوق والتشادق . روى الجاحظ : قال عبدالصمد بن الفضل الرقاشى : لو أن هذا المتكلم لم يُرد إلا الإقامة لهذا الوزن ، لما كان عليه بأس ، ولكنه عسى أن يكون أراد إبطال حق فتشادق فى الكلام [2] .

---

(١) البيان [٢٨٧/١] .

(٢) البيان [٢٨٧/١] . الحسناوى [١١٣] .

٢ – تحليل الشعر يدل على تحلة السجع : روى الجاحظ عن غير عبد الصمد : وجدنا الشعر من القصيد والرجز ، قد سمعه النبى صلى الله عليه وسلم فاستحسنه وأمر به شعراءه . وعامة أصحاب رسول الله قالوا شعرا ، قليلا كان ذلك أم كثيرا ، واستمعوا له واستنشدوا ، والسجع والمزدوج دون القصيد والرجز . فكيف يحل ما هو أكثر ويحرم ما هو أقلّ[١] ؟!

٣ – المكروه المتكلف . روى الجاحظ أن المحمود ما لم يَطُل ، ولم تكن القوافى مطلوبة مجتلَبة ، أو ملتمسة متكلفة [٢] ، وأن الكلام إذا طال وجدت فى القوافى ما يكون مجتلبا ، ومطلوبا مستكرها [٣] .

٤ – المكروه سجع الكهان : قال : كان الذى كره الأسجاع بعينها – وإن كانت دون الشعر فى التكلف والصنعة – أن كهان العرب يتكهنون ويحكمون بالأسجاع [٤] .

٥ – وقع النهى فى ذلك الدهر ، لقرب عهدهم بالجاهلية ، ولبقيتها فيهم وفى صدور كثير منهم . فلما زالت العلة زال التحريم [٥] .

٦ – كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فيكون فى تلك الخطب أسجاع كثيرة ، فلا ينهونهم [٦] .

ووضع الجاحظ قاعدة أخرى خصها بالشعر ، غير أن المفكرين اتخذوها أحد المبادئ التى انطلقوا منها فى قضية السجع فى القرآن . فقد اشترط فيما يستحق اسم الشعر : القصد ، والطول . قال : اعلم أنك : لو اعترضت أحاديث الناس

---

(١) البيان [١/٢٨٧–٨] ثلاث [١٤٨] . الحسناوى [١١٢] .

(٢) البيان [١/٢٨٨] .

(٣) البيان [١/٢٨٨] .

(٤) البيان [١/٢٨٩–٩٠] . الجندى [١/٤٤] . ثلاث [١٤٨] . الحسناوى [١١٢] .

(٥) البيان [١/٢٨٩–٩٠] . ثلاث [١٤٨] . الحسناوى [١١٢–٣] .

(٦) البيان [١/٢٩٠] .

وخطبهم ورسائلهم ، لوجدت فيها مثل مستفعلن مستفعلن ، ومستفعلن وفاعلن ، كثيرا . وليس أحد فى الأرض يجعل ذلك المقدار شعرا . ولو أن رجلا من الباعة صاح : من يشترى باذنجان ؟ لقد كان تكلم بكلام فى وزن مستفعلن مفعولان . وكيف يكون هذا شعرا وصاحبه لم يقصد إلى الشعر ، ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ فى جميع الكلام[1] .

ومهما يكن من أمر ، فالذى يهمنا فى هذا الفصل هو ما عزاه السيوطى إلى الجاحظ، حين روى أنه قال : « سمى اللّه - تعالى - كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم ، على الجملة والتفصيل : سمى جملته قرآنا كما سموا ديوانا ، وبعضه سورة كقصيدة ، وبعضه آية كالبيت ، وآخرها فاصلة كقافية »[2] .

ولكن مصطفى صادق الرافعى «١٢٩٨-١٣٥٦/١٨٨١-١٩٣٧» استنكر هذه المقابلة ، ورفض أن يكون هناك شبه فى كل ما ذكره الجاحظ ، لا فى الوضع ولا فى الموضوع ، إلا أن يكون الجاحظ مأخوذا بقول العرب : إنه شعر . يحسب ذلك من عندهم وأنهم يحققونه . فأراد أن يدل على أن الأمر بالخلاف حتى فى التسمية . وليس ذلك من الشأن والمنزلة فى خلاف ولا موافقة . على أن هذه التسمية اختراع لم يكن يعرفه العرب. فهى من هذه الجهة دليل من الأدلة الكثيرة على أن الأمر بجملته فوق القوة والطاقة ، ومن وراء المألوف[3] .

وواجه محمد الحسناوى ما عزاه السيوطى إلى الجاحظ فى أول الأمر بالشك ، لأنه لم يألُ جهدا فى العثور على المصدر الذى أخذه منه السيوطى ، فلم يوفق . ولكنه ما لبث أن وجد أنه ليس من العسير نسبته فنيا إلى الأديب الناقد المتكلم

---

(١) البيان [١/٢٨٨-٩] .

(٢) الإتقان [١/٦٣] . الرافعى [٢٢٣] . الحسناوى [١٠،٣٩-٤٠،١٢٢] . وانظر السكاكى [٤٣١] .بديع ابن أبى الإصبع [٨٩] . ستيوارت [١١] .

(٣) إعجاز [٢٢٣] .

لسببين : أولهما : أن موضوعه فى نظم القرآن ، والجاحظ أخو باع طويل فى الدراسات القرآنية ، وله كتاب مفقود باسم « نظم القرآن » .

ثانيهما : أن طابعه عقلى منطقى . فهو - بعد أن يجمل الفكرة - يعمد إلى تفصيلها ، مع الاستقصاء والمقارنة وسعة الاطلاع ، بالإضافة إلى التدرج من الكلى إلى الجزئى[1] .

وعدّ الحسناوى هذا النص على جانب كبير من الأهمية ، لأنه ينطوى على الأمور التالية :

١ - استقرار مصطلح الفاصلة فى دلالته على آخر الآية .

٢ - التنبيه إلى تميز مصطلحات القرآن ، مما سيكون له شأن بالغ الخطورة فى المعركة النقدية التى ستدور حول وجود السجع فى القرآن[2] .

وعقّب عليه بأن الجاحظ - على الرغم مما أوحى به من تميز الفاصلة من قافية الشعر وما أشبه ذلك - لم يصرح برأيه فى السجع والقرآن . بل نلمس فى مواضع أخرى كأنه يوحى بالجهة المقابلة ، إذ بالإمكان أن نستخلص من كلامه ثلاث حقائق :

الأولى : أن السجع عنصر كريم فى بلاغة العرب .

والثانية : أن أناسا من أهل القرنين الأول والثانى كرهوا السجع ، لأنه كان يذكّر بأساليب الكهان .

والثالث : أن جمهور الخطباء والقصاص والوعاظ كان يسجع ، وأن الخلفاء لم ينكروا على أحد أن يتكلم بين أيديهم بكلام مسجوع[3] .

---

(١) الفاصلة [١٠،٤٠] .

(٢) الفاصلة [٤٠] .

(٣) الفاصلة [١٠٠] .

ولا أتفق مع الحسناوى فى أن الجاحظ ميز الفاصلة عن القافية ، وأرى أن نص الجاحظ يدل على أن الظواهر الأربع التى تحدث عنها فى القرآن والشعر متماثلة ، ولكنهم منحوها فى القرآن أسماء خاصة به لخصوصيته .

القائلون : القرآن جنس خاص

نفى القاضى عياض بن موسى اليحصبى «٤٧٦-٥٤٤/١٠٨٣-١١٤٩» أن يكون فى جنس كلام العرب - من نثر ونظم وسجع ورجز وشعر - ما يماثله[١] .

وقسم عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون «٧٣٢-٨٠٨/١٣٣٢-١٤٠٦» الأدب إلى شعر ونثر ، ثم قسم النثر إل مسجع ومرسل . ثم قال : وأما القرآن - وإن كان من المنثور - إلا أنه خارج عن الوصفين ، وليس يسمى مرسلا مطلقا ولا مسجعا ، بل تفصيل آيات ينتهى إلى مقاطع ، يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها . ثم يعاد الكلام فى الآية الأخرى بعدها ، ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية . ويسمى آخر الآيات منها فواصل ، إذ ليست أسجاعا ولا التزم فيها ما يلتزم فى السجع ولا هى أيضا قواف[٢] .

وعقب د/ على الجندى على هذا القول فقال : قد كنا ننتظر من ابن خلدون - وقد عرف بحرية الفكر وثقوب الذهن واتساع الأفق - غير هذا الرأى ولكن يخيل لى أنه تأثر بالباقلانى بحكم تفقههما بمذهب واحد ، وهو مذهب الإمام مالك . فقد كان كلاهما من أئمة المالكية [٣] .

ونقل محمد الحسناوى عن دائرة المعارف الإسلامية : فى الحقيقة إن آيات القرآن - على العموم - غير موزونة حسب قواعد السجع ، والتقفيات مكتوبة بحرية

---

(١) الشفا [٥١١/١] . صالحة [٧٦] . وانظر ستيوارت [١١] .

(٢) المقدمة [١٢٩٥-٦] . الجندى [١٧٤/٢-٥] . عرجون [١٧٦-٧] . الحكيم [١١١] . الحسناوى [٩٢] ستيوارت [١٤] .

(٣) صور [١٧٥/٢] .

لا تسمح بها هذه القواعد . ومن ناحية أخرى ، فإن الرأى الدينى الإسلامى غير راغب فى إطلاق اسم السجع على القرآن . وكان الحل أن يعتبر النص القرآنى نثرا من نوع خاص ، وأن تدرج سجعاته تحت اسم الفاصلة [1] .

وتبع د/ طه حسين ابن خلدون ، فأعلن فى إحدى محاضراته : ولكنكم تعلمون أن القرآن ليس نثرا ، كما أنه ليس شعرا ، إنما هو قرآن ، ولا يمكن أن يسمى بغير هذا الاسم .

ليس شعرا . وهذا واضح - فهو لم يتقيد بقيود الشعر .

وليس نثرا ، لأنه مقيد بقيود خاصة به ، لا توجد فى غيره . وهى هذه القيود التى يتصل بعضها بأواخر الآيات ، وبعضها بتلك النغمة الموسيقية الخاصة [2] .

وسار مسيرته عبد الكريم الخطيب الذى صرح بأن العرب كانت تعرف الشعر الموزون المقفى ، وتعرف النثر المرسل ، كما تعرف النثر المسجوع - طبعا لا تكلفا - فى خطب الخطباء ، ومحاورة الحكماء ؛ أو متكلفا فى سجع العرّافين والكهان .

ولكنهالم تعرف هذا الأسلوب الذى يأخذ فيه الكلام هذه الصورة التى يقيم منه آيات ، تختتم فيه كل آية بفاصلة ذات نغم ورنين ، فيجد الصدر لذلك راحة عند الوقوف على الفاصلة ، كما تجد النفس استرواحا لهذا النغم المرجّع منها .

فالكلام - كما عهدته العرب - شعر ، ونثر ، وما هو بين الشعر والنثر هو السجع .

ولكن القرآن جاء فى ثوب غير تلك الأثواب ، وفى صورة غير تلك الصور . جاء نسيج وحده ، وصورة ذاته ، لا يشبه غيره ، ولا يشبهه غيره . فلا هو شعر ، ولاهو نثر ، ولا هو سجع ؛ وإنما هو قرآن .

---

(١) الفاصلة [٩٢] .

(٢) من حديث [٢٥] .

هو آيات فصلت تفصيلا . فالآية هى الوحدة التى بنى منها القرآن ، وهى ليست بيت شعر ، ولا جملة نثر ، ولا مقطع سجع .

وكل آية لها مقطع تنتهى به هو الفاصلة ، وليست هذه الفاصلة قافية شعر ، ولا حرف سجع ، وإنما هى شاهد قرآنى لا يوجد إلا فيه ، ولا يعتدل فى كلام غيره . هى- فى واقع الحس - الشاهد القائم لكل ذى نظر على تفرد القرآن بهذا اللون الفريد من النظم ، وبهذه الصورة من أساليب القول[1] .

وعلى الرغم من الاتفاق الجلى فى الرأى النهائى بين الخطيب والباقلانى ، اعترض الأول على بعض حجج الثانى ، لأنه رآها غير مقنعة ، مثل تسويته بين نفى الشعر ونفى السجع . فقد صرح أن الله نزه القرآن عن أن يكون شعرا ، بسبب المعانى التى يحملها الشعر ، وأغلبها منتزع من الخيال والوهم ، وقائم على الكذب والمبالغة . أما السجع - وإن كان قد اعتمد عليه الكهان فى تصوير همهماتهم وشطحاتهم ، وكان بهذامقاربا للشعر فى خياله وأباطيله - إلا أن العرب قد عرفت النثر المسجوع فى غير سجع الكهان، عرفته فى خطابتها ووصاياها وحكمها وأمثالها . فحمل أجمل المعانى ، وأكرم ما عرفت العرب من أخلاق[2] .

كذلك عارضه فى قوله : « إن الكهانة تخالف النبوات ، وليس كذلك الشعر » ، وقال : كيف هذا ؟ وكيف ذهب عن القاضى قول الله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ [يس: ٦٩] أفلا يكون الشعر - بعد هذا - مخالفا للنبوات[3]؟!

وعارضه فيما قال عن آيات موسى وهارون ، إذ ليس هناك قصة معادة بألفاظ مختلفة كما قال ، وإنما الاعتراض منصب على كلمتين وقع بينهما تقديم وتأخير .

---

(١) إعجاز [٢/٢٠٣-٦] . وانظر أبو زهرة [٢٨٠،٣٠٢] . الدباغ [٢٣] .

(٢) إعجاز [٢/٢٠٩] .

(٣) إعجاز [٢/٢٠٩-١٠] .

وردّ ذلك إلى أنه حكاية لأقوال السحرة . فقد رأى أن بعضهم قال : رب هارون وموسى ، وبعضا آخر قال : رب موسى وهارون ، وبعضا ثالثا قال : رب العالمين(١) .

وأعتقد أن د/ عائشة عبد الرحمن هى التى عبرت عن موقف كثير من المحدثين تعبيرا شديد الوضوح والإيجاز فى قولها : ما نزال نجد جفوة تجاه لفظ السجع ، لطول ما ابتذلته الصنعة اللفظية فى الزخرف البديعى ، فى أساليب العصور المتأخرة ، بعد أن التزمه الكهان فى العصر الجاهلى(٢) .

وذهب د/ أحمد جمال العمرى إلى أن الفاصلة القرآنية ظاهرة واضحة المعالم ، فى الهيئة التى جاء عليها القرآن ، والتى انفرد عن أن يكون نثرا ، أو أن يكون شعرا ، على نحو ما كان عليه الأدب العربى .

وقد جعلت الفاصلة كتاب اللّه نحوا جديدا من أنحاء الكلام العربى . فإذا كان الكلام العربىّ – قبل نزول القرآن – هو الشعر والنثر ، فإنه – بعد نزوله – أصبح الكلام العربى قرآنا وشعرا ونثرا (٣) .

وقال د/ فؤاد على رضا : نعم ، جاء القرآن على صورة من النظم القرآنى العجيب والفريد معا ، حيث جمع بين كل ما عرف العرب من أساليب الكلام شعرا ونثرا وإرسالا وسجعا . ثم هو ليس من ذلك كله فى شيء ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ، تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الواقعة : ٧٧و٨٠] .

واتفق معه أمير عبد العزيز ، فصرح بخروج القرآن عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والشعر والخطابة والرسالة والسجع ، مع أن حروفه فى كلام العرب وفى خطابهم ، وألفاظه من جنس كلماتهم . ومعلوم أن هذه الوجوه الستة هى جماع الكلم كله ، وهى الإطار الذى يحيط بأطراف البيان فى كل جانب أو هى

---

(١) إعجاز [٢/٢١٨-٢٠] . البيومى [١٦٧] . الحسناوى [١٢٠] .

(٢) الإعجاز [٢٤٩] ، الحسناوى [٨٠] .

(٣) مباحث [١٧٦] .

أقسام الكلام التى يعبر بها الناس عن معنى من المعانى أو قصد من القصود ، وقد اتفقت كلمة العالمين من أهل البيان أن القرآن ليس على أحد من هذه الأنحاء . وكل الذى يمكن الركون إليه هو أن القرآن - وذلك اسم فذ متميز - يجمع كل خصائص هذه الأنحاء .

فليس هو بالنثر ، لما فيه من إطلاق مرسل .

ولا هو بالشعر لأن الشعر موزون ومقفى .

ولا هو بالخطابة ، لما يتجلى فيها من طابع العاطفة الغلابة الحرّى .

ولا هو بالرسالة ذات الديباجة المعينة ، التى يعول فيها كثيرا على الصورة والشكل .

ولا هو بالسجع الذى يعتمد على التجانس فى الحروف الأواخر من العبارات ، وينصب فيه الاهتمام على الشكل والمظهر دون الحقيقة والمضمون .

ولا هو بالنظم البارد المصفوف من غير فعالية وحرارة .

ولكنه القرآن الكلام المتميز المعجز الفذ [1] .

المتوقفــون

ذكر د/ على الجندى أن عبد القاهر بن عبدالرحمن الجرجانى «٤٧١/١٠٧٨» بيّن فى « أسرار البلاغة » صفات التجنيس والسجع المطبوعين . ومثّل لهما من الحديث النبوى وكلام البلغاء . ولم يتعرض لسجع القرآن خاصة ، ولم يمثل للسجع عامة بشيء فيه . ولعله رأى السكوت من ذهب فى هذا الموضوع الشائك[2] .

وعلل د/ منير سلطان هذا الموقف بأن عبد القاهر انشغل بنظرية النظم بما فيها من معان وبيان . ولم يعط لألوان البديع [والسجع أحدها] اهتماما ذا بال .

(١) دراسات [١٢٥] .

(٢) صور [١٧١/٢] . الحسناوى [١٠٠-١] .

وذكر أنه لم يصرح برأى فى السجع القرآنى ، ولكنه ناقشه من جانب المعنى . فهو عنده لا يحسن إلا فى نسق مستو منتظم ، ولا يرد الجمال البلاغى إليه فى ذاته ، كما لا يرد إلى مجرد السهولة الظاهرة فى الألفاظ والسلامة مما يسهل على اللسان . وقد تابع الزمخشرى عبد القاهر فى شأن السجع ، وكذا السكاكى(1) .

واكتفى القزوينى بأنه قد قيل : إنه لا يقال فى القرآن أسجاع وإنما يقال فواصل ، دون أن يخوض فى هذا القول(2) .

وبعد أن ناقش د/ السيد محمد الحكيم أدلة المؤيدين والرافضين ، خلص إلى أن الأدلة التى استند إليها كل منهما لا تثبت غرضه فى هذا المعنى . فبقى الأمر مشكلا ، غير أنه يمكننا إظهار الحق بالنظر فى الأمور التالية :

الأول : أن السجع أشبه بالشعر منه بالكلام المرسل . فهو أخو الشعر ، غير أن الشعر لا يكون إلا موزونا ، والسجع لا يكون إلا غير موزون ، هذا هو المشهور . وذهب بعض العلماء إلى أن السجع قد يكون موزونا .

الثانى : أن الكلام إذا التزم فيه أن يجزّأ إلىأجزاء ذات فواصل ، ولم يلتزم فيه غير ذلك، فليس من قبيل الكلام المرسل ؛ ولا من قبيل السجع لأن الكلام المسجع يلتزم فيه أن يجزأ إلى أجزاء يجعل لكل منها فاصلة توافق فواصل الأجزاء الأخرى فى الروى ؛ ولا من قبيل الكلام المتوازن لأن الكلام المتوازن يلتزم أن يجزأ إلى أجزاء يجعل لكل منها فاصلة توافق فواصل الأجزاء الأخرى فى الوزن . فهو نوع مستقل بنفسه ، غير أنه قد يتفق فيه ما يكون على صورة الكلام المسجع أو الكلام المتوازن .

وقد جاء القرآن على هذا الأسلوب . وهو أسلوب لم يعهد قبل ذلك وينبغى أن يسمى هذا النوع بالكلام المفصل .

---

(1) إعجاز [٢٢٠] .

(2) الإيضاح [١٤٩] . التلخيص [٤٠٠] .

الثالث : أن الذين منعوا من إطلاق لفظ السجع على ما ورد فى القرآن على صورة السجع فريقان :

فريق منهم منع من ذلك بناء على عدم انطباق حد السجع عليه عندهم .

وفريق منع من ذلك : إما بناء على توهمهم أن فى لفظ السجع ما يوهم نقصا لكونه مأخوذا من سجع الحمام ، أو بناء على عدم ورود الإذن من قبل الشارع فى ذلك .

فعلى الأول يكون النزاع معنويا ، وعلى الثانى يكون لفظيا . والظاهر أنه نزاع معنوى ، لأنه يترتب عليه ثمرة مهمة ، وهى كون أسلوب القرآن مخالفا أسلوب السجع أو ليس مخالفا . فإن كان مخالفا كان القرآن معجزا بالأسلوب ، وإلا لم يكن معجزا بالأسلوب .

الرابع : أن الذين قالوا إن فى القرآن سجعا ، تجاوز أكثرهم الحد فى ذلك ، فادعوا وجود السجع فى مواضع لا يظهر فيها أمر السجع . فمن ذلك ادعاؤهم وجود السجع فيما طال فيه الجزآن كثيرا ، مثل ما اشتمل كل منهما على نحو عشرين كلمة أو ما يقرب من ذلك . فإن مثل هذا غير معهود فى السجع عند العرب . إنما المعهود عندهم أن يكون كل منهما أقل من ذلك رعاية لأمر الاعتدال .

ومما ظنوا فيه وجود السجع مع عدم ظهوره فيه ما بنى على الألف المبدلة من التنوين مثل جل سورتى النساء والكهف[1] .

وختم بأن قال : على ضوء هذه الأمور نستطيع أن نقرر القواعد التالية :

القاعدة الأولى : يجب ألا يعد من السجع ما اختلفت فواصله فى الحرف الأخير ، لعدم انطباق حد السجع عليه . ونظيره فى القرآن كثير .

القاعدة الثانية : وكذا ألا يعد من السجع ما توافقت فواصله ، ولكن طالت قرائنه بحيث لا يتيسر النطق بالقرينة كاملة فى نفس واحد ، لعدم ظهور الغرض

(١) إعجاز [١١٤] .

المطلوب من السجع فيه ، وهو حصول المزاوجة فيه بين الجزءين أو الأجزاء . ونظيره فى القرآن كثير .

القاعدة الثالثة : وكذا جميع الفواصل المنتهية بألف مبدلة من التنوين ، كما فى سورتى النساء والكهف ونحوهما ، لأن هذه الألف لا تقع رويا بالاتفاق .

القاعدة الرابعة : وكذا ما توافقت فواصله فى الروى مع تفاوت أجزائه فى الطول والقصر ، كما فى سورة المدثر . فقد وقع قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ... ﴾ [المدثر : ٣٠] وهى آية طويلة فى وسط آيات قصار . فدل ذلك على أن أمر الكلام لم يُبْنَ على السجع ، لأن ذلك أمر غير مرضى ولا محمود فيه . وإنما المطلوب فيه تقارب الأجزاء فى الطول والقصر فيبقى النظر – بعد ذلك – فيما كان متوافق الفواصل فى الروى ، وكان قصير الفقرات أو متوسطها ، وقد تقاربت أجزاؤه ولم تكن فواصله منتهية بألف مبدلة من التنوين، وذلك مثل سورة الكوثر ، ونظائره فى القرآن فهل هذا من باب السجع ؟ هذا هو الذى ينبغى أن يكون الكلام فيه .

فمن قال : إنه سجع ، رأى أن حد السجع منطبق عليه . ومن نفى أن يكون سجعا، قال : إن هذا الحد قاصر ، بدليل انطباقه على الشعر وليس سجعا عندهم .

على أننا – بعد تضييق دائرة السجع إلى هذا الحد – نستطيع أن نجيب على أصل هذا الإشكال . فنقول: إن جرينا على أن ذلك ليس بسجع ، كان الأمر ظاهرا ، وكان أسلوب القرآن مخالفا لسائر الأساليب . فيكون القرآن معجزا بالأسلوب .

وإن جرينا على أن ذلك سجع ، أمكن أن يقال : إن أسلوب القرآن منقسم إلى ما هو سجع ، وما ليس بسجع . فما كان سجعا ، كان موافقا لعاداتهم فى التسجيع ، ولكنه خارق للعادة من حيث السلامة والعذوبة والوصول إلى الذروة

العليا من البلاغة . فيكون معجزا من هذه الناحية .

وما ليس بسجع يكون خارقا للعادة من حيث إنه جاء على طريق منفرد ، ونهج مبتكر ، وأسلوب جديد ، خالف الأساليب المعهودة فى أقسام الكلام . فيكون معجزا من هذه الناحية ، وهى مخالفة أسلوبه سائر الأساليب فضلا عن اشتراكه مع القسم الأول فى إعجازه بالناحية الأخرى ، وهى البلاغة العليا . فيكون الإعجاز بالأسلوب ثابتا على كل تقدير . وهو المطلوب[1] .

المترددون

نفى ابن أبى الإصبع «٥٩٥-٦٥٤/١١٩٨-١٢٥٦» السجع مرة ، فقال : تسمى مقاطع القرآن فواصل لا سجعا ولا قوافى ، لاختصاص القوافى بالشعر ، والسجع بالمنافرة [2] . وعند ما جاء إلى باب السجع عده فنا قرآنيا [3] ، واستشهد لضروبه بالآيات .

وعلقت د/ عائشة عبد الرحمن على ذلك الموقف قائلة : كأن ابن أبى الإصبع تحاشى القول صراحة بالسجع فى القرآن .ثم لما وصل إلى باب التسجيع شق عليه ألا يقدم نماذجه العليا من الفواصل القرآنية فى كتاب بديع القرآن[4] .

الخلاصـــة

نجد فى هذه الفئات من أقر بأن الظاهرة التى بين أيدينا هى السجع ، مثل الجاحظ ، ولكنها أعطيت اسما خاصا ، لأن كل ما اتصل بالقرآن كان له اسمه الخاص الذى يميزه عن بقية الآثار الأدبية . وهذا موقف يمكن الدفاع عنه .

---

(١) إعجاز [١١١-٦] .

(٢) بديع [٨٩] .

(٣) بديع [١٠١] .

(٤) الإعجاز [٢٤٥] .

ونجد من لا يعترف بشبه بين الفواصل والسجع . ويذهب بعض هؤلاء فى توضيح رأيهم إلى أن القرآن جنس أدبى مستقل ، ويتميز عن بقية الأجناس الأدبية التى عرفتها العرب . وغلا منهم أمير عبدالعزيز فزعم أن العالمين من أهل البيان اتفقوا على ذلك . وليس هذا بصحيح .

ونجد منهم من يسكت كعبد القاهر ، و يكتفى بإيراد حجج الفريقين المختصمين ثم توقف عن الكشف عن رأيه ، أو من يكشف عن مواقف متعارضة فى المواضع المتعددة من كتبه مثل ابن أبى الإصبع .

الرافضون

أجمع من كتبوا عن قضية وجود السجع فى القرآن ، وتعرضوا لتاريخها ، على أن أبا الحسن على بن إسماعيل الأشعرى «٢٦٠-٨٧٤/٣٢٤-٩٣٦» كان من الرافضين لوجوده [(١)] .

وعلى الرغم أنا لم نحصل على نص كلامه ، نستطيع أن نطمئن إلى صحة هذا القول ، عندما نجد الأشاعرة يتبعون إمامهم [(٢)] .

أما أقدم رافض للسجع فى القرآن رفضا باتا وصل إلينا كلامه فهو المعتزلى على ابن عيسى الرمانى «٢٩٦-٩٠٨/٣٨٤-٩٩٤» . فقد عقد فى كتابه « النكت فى إعجاز القرآن » بابا للفواصل ، فرق فيه بينها وبين السجع . فأعلن أن الفواصل

(١) الباقلانى [٥٧] . الزركشى [٥٤/١] . الإتقان [١١١/٢] . الجندى [١٧٢/٢] . صقر [٧٢] . مخلوف [٨٠٤] موسى [٤٢] . ثلاث [١٧٢] . أبو زهرة [٣٠٠] . عائشة [٢٣٦] . سلطان [٢١٩] - الحكيم [١٠٥] . ستيوارات [٨] .

(٢) الباقلانى [٥٧] . الزركشى [٥٤/١] . معترك [٣١/١] . الإتقان [١١١/٢] . الجندى [١٧٤/٢-٥] . صقر [٧٢] . مخلوف [٨٠٤] . ثلاث [١٧٢] . الآلوسى لمحسن [٢٤٩] . أبو زهرة [٣٠٠] . عائشة [٢٣٦] . سلطان [٢١٩] . الحكيم [١٠٥] . نصر [١٦٣] .

بلاغة أو بلاغة وحكمة ، والسجع عيب . وعلل ذلك بأن الفواصل تابعة للمعانى ، أى تتبع الألفاظ فيها المعانى ، ولا تقصد فى ذاتها . وأما الأسجاع فالمعانى تابعة لها ، أى أنها مقصودة فى ذاتها ثم تُحمَل المعانى عليها (١) .

وأعلن أن ذاك قلب ما توجبه الحكمة ، التى هى الإبانة عن المعانى التى تمس الحاجة إليها . فإذا كانت المشاكلة بين الحروف توصل إلى هذه الحكمة ، كانت بلاغة . وإذا كانت على خلاف ذلك ، كانت عيبا ولُكنة (٢) ، لأنها تكون حينئذ تكلفا من غير الوجه الذى توجبه الحكمة (٣) .

وشبّه من يأتى بهذا السجع المتكلف بمن رصع تاجا ثم ألبسه زنجيا ساقطا ، أو من نظم قلادة دُرّ ثم ألبسها كلبا (٤) . وقُبْح ذلك بَيِّن لمن له أدنى فهم (٥) .

---

(١) النكت [٨٩] . الباقلانى [٢٧٠] . ابن سنان [١٦٥-٦] . الرازى [١٧/٢٤] . السبكى [٤/٤٤٥،٤٥٢] . الزركشى [١/٥٤] . معترك [١/٣١] . الإتقان [٢/١١١] . الجندى [٢/١١٣،١٧٤،١٧٩] . صقر [١٢،٧٣،٧٥] الزفزاف [١٢٣-٤] الخطيب [٢/٢٠٨،٢١٠ ، ٢١٢] . ضيف [١٠٥،١١٠،١٥٥] . عرجون [١٧٦] . الآلوسى لمحسن [٢٤٩] موسى [٤٥] . أبو زهرة [٢٦٢،٣٠١] . عائشة [٢٣٩] . الرازى لمحسن [٢٤٨] . سلطان [٧٣، ٢١٩] . الحكيم [١٠٧] شرشر [٦٤] . السلامى [٢٢٨-٩] . عبد الوهاب [٣١٨-٩] زرزور [٢٥٢] . الحسناوى [١٠١،١٠٣،١٠٥] . الدبل [٩٣] . رمضان [٤٧،٥٠] أبو على [٧٨] . الحناوى [١٨٧-٩،١٩١] . نصر [١٦٢] . ستيوارت [١٠] .

(٢) النكت [٨٩-٩٠] الخطيب [٢/٢١٢] . أبو زهرة [٢٩٢] . عائشة [٢٣٩] . شرشر [٦٤] . الحسناوى [١٠٥] . رمضان [٥٠] . الحناوى [١٨٧] .

(٣) النكت [٩٠] . الخطيب [٢/٢١٢] . أبو زهرة [٢٩٢] . الحسناوى [١٠٥] أبو على [٧٨] . الحناوى [١٨٧] .

(٤) النكت [٩٠] الحسناوى [١٠٥-٦] . أبو زهرة [٢٩٢] . ستيوارت [١٠] .

(٥) النكت [٩٠] . أبو زهرة [٢٩٢] .

ثم مثّل له بنص من كلام بعض الكهان ، وحكم عليه بأنه أغثُّ كلام وأسخفه[1] .

واعتل أيضًا فى نفيه السجع عن القرآن بأن السجع مأخوذ من سجع الحمامة ، وذلك أنه ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة ، كما ليس فى سجع الحمامة إلا الأصوات المتشاكلة ، إذ لم يعتدّ بالمعنى لما كان متكلفا من غير وجه الحاجة إليه والفائدة فيه . فصار بمنزلة ما ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة [2] .

وصرح أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى «٣٣٨-٤٠٣/٩٥٠-١٠١٣» أن من الناس من زعم أن القرآن كله مسجّع ، وأن هذا الذى يزعمونه غير صحيح[3] ، وأن القرآن ليس من باب السجع : ولا فيه شيء منه[4] بل هو مخالف للسجع مخالفته للشعر وسائر أصناف كلامهم الدائر بينهم[5] .

وفند أدلة القائلين بالسجع على النحو التالى :

– أقول لمن زعم أن ذلك يقع موقع الاستراحة فى الخطاب لتحسين الكلام : إن الأمور التى يستريح إليها الكلام تختلف :

فربما سمى ذلك فى الشعر قوافى ،

وفى النثر سجعا ،

وفى القرآن فواصل ،

وفواصل القرآن يختص بها ، لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها ولا تناسب[6] .

---

(١) النكت [٩٠] . الباقلانى [٢٧١] . أبو على [٧٨] . الحناوى [١٨٧] .

(٢) النكت [٩٠] . ستيوارت [١٠] . وانظر الحكيم [١١١-٢] . الدبل [٩٣] .

(٣) إعجاز [٣٥،٥٧،٦٤] . السبكى [٤٥٢/٤] . الزركشى [٥٥/١] . الإتقان [١١١/٢] . صقر [٧٢] .عائشة [٢٣٦] .

(٤) إعجاز [٣٥] . معترك [٣١/١] . الإتقان [١١١/٢] . أبو زهرة [٢٩٦] .

(٥) إعجاز [٦١] . الجندى [١٧٦/٢] . البوطى [١٣١-٢] .

(٦) إعجاز [٦١] موسى [٤٣] . ثلاث [١٧٢] . الحسناوى [٢٨،١٠٨] .

– وأقول لمن زعم أن ذلك وقع غير مقصود إليه : إن ذلك إذا جاء فى الخطاب عَرَضا لم يُعَدّ سجعا ، كما بيّنا فى القليل من الشعر ، كالبيت الواحد والمصراع والبيتين من الرجز[1] .

– لا معنى لقولهم : إن ذلك مشتق من ترديد الحمامة صوتها على نسق واحد ورَوِى غير مختلف ، لأن ما يجرى هذا المجرى لا ينبى على الاشتقاق وحده . ولو بُنى عليه لكان الشعر سجعا [2] .

– إن قال قائل : القرآن مختلط من فنون كلام العرب ، ففيه من جنس خطبهم ورسائلهم وشعرهم وسجعهم .. ولكنه أبدع فيه ضربا من الإبداع لبراعته وفصاحته : قلنا : كل هذه الوجوه لا تخرج عن أن تقع لهم بأحد أمرين : إما بتعليم وتعمل وتكلف أو باتفاق من الطبع . ولو كان ذلك مما يجوز اتفاقه من الطبائع ، لم يخل العالم من قوم يتفق ذلك منهم .وتجيش به خواطرهم ، ويعرض على ألسنتهم ، ولا ينصرف عنه الكل مع شدة الدواعى إليه [3] .

ثم أتى بالأدلة الآتية لدعم نفيه السجع عن القرآن :

– لو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم . ولو كان داخلا فيها ، لم يقع بذلك إعجاز[4] .

---

(١) إعجاز [٥٨-٩،٦٤] . الزركشى [١/٥٥] الإتقان [٢/١١١] . الجندى [٢/١٧٥] مخلوف [٨٠٥] . البوطى [١٣٤] . الآلوسى لمحسن [٢٤٩-٥٠] . عائشة [٢٣٧] . الحسناوى [١٠٦] . رمضان [٣٢٤] .

(٢) إعجاز [٦١] . موسى [٤٣] . ثلاث [١٧٢] .الحسناوى [١٠٨] .

(٣) إعجاز [٦٢،٦٥] . الحسناوى [١١١] .

(٤) إعجاز [٥٧،٦٤] . الزركشى [١/٥٥] . الإتقان [٢/١١١] . الجندى [٢/١٧٥] . صقر [٧٢] . الخطيب [٢/٢٠٨] . مخلوف [٨٠٤] عرجون [١٧٦] . الآلوسى لمحسن [٢٤٩] موسى [٤٢] . عائشة [٢٣٦] البيومى [١٥٩] . زرزور [٢٥٤] . الحناوى [١٩٠] . نصر [١٦١] . وانظر المقدسى [٤٨] . الحكيم [١٠٦] .

– لو جاز أن يقولوا : هو سجع معجز ، لجاز لهم أن يقولوا : هو شعر معجز[1] .

– السجع مما كان يألفه الكهان ، ونفيه من القرآن أجدر من نفى الشعر ، لأن الكهانة تنافى النبوات ، وليس كذلك الشعر[2] .

– رُوى أن النبى صلى اللّٰه عليه وسلم قال للذين جاؤوه وكلموه فى دية الجنين : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، أليس دمه قد يطل ؟ فقال : أسجاعة كسجاعة الجاهلية [3] ؟ !

وهو الحديث الذى سبق أن أتى به الجاحظ وأبطل دلالته على كراهة السجع .

– ما يقدرونه سجعا وهم باطل ، لأن الكلام قد يكون على مثال السجع وإن لم يكن سجعا ؛ لأن ما يكون به الكلام سجع يختص ببعض الوجوه دون بعض ، لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ ،وليس كذلك ما توهموه سجعا فى القرآن ، لأن اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى[4] .

---

(١) إعجاز [٥٨] .الزركشى [١/٥٥] . الإتقان [٢/١١١] . الجندى [٢/١٧٥] . صقر [٧٢] . الخطيب [٢/٢٠٨]. مخلوف [٨٠٤] الآلوسى لمحسن [٢٤٩] موسى [٤٣] عائشة [٢٣٦] البيومى [١٥٩–٦٠] زرزور [٢٥٤] . الحناوى [١٩٠] . نصر [١٦١] .

(٢) إعجاز [٥٨] . الزركشى [١/٥٥–٦] . الإتقان [٢/١١١] . الجندى [٢/١٧٥] . صقر [٧٢] . أنيس [٣٢٤] . الخطيب [٢/٢٠٨] . مخلوف [٨٠٤] الآلوسى لمحسن [٢٤٩] موسى [٤٣] . عائشة [٢٣٦] البيومى [١٥٩] زرزور [٢٥٤] . الحسناوى [١٠٦] . الدبل [٩٤] . الحناوى [١٩٠] . نصر [١٦١–٢] وانظر المقدسى [٤٨] الحكيم [١٠٦] السلامى [٢٢٧] .

(٣) إعجاز [٥٨] . الإتقان [٢/١١١] . صقر [٧٢–٣] مخلوف [٨٠٥] . موسى [٤٣] عائشة [٢٣٦] . الحسناوى [١٠٦] . الحناوى [١٩٠] . نصر [١٦٢] .

وانظر الجندى [٢/١١٥] . أنيس [٣٢٥] . الحكيم [١٠٦] . محيى [٤٨] . ستيوارت [٩] .

(٤) إعجاز [٥٨] . الزركشى [١/٥٦] . الإتقان [٢/١١١–٢] . الجندى [٢/١٧٥] . صقر [٧٣] . أنيس [٣٢٤]. الخطيب [٢/٢١٠] . عرجون [١٧٦] مخلوف [٤٣٧] . موسى [٤٣] .=

– إن قيل : قد يتفق فى القرآن ما يكون من النوعين المذكورين فى البند السابق جميعا ، فيجب أن تسموا أحدهما سجعا ، قلنا : جواب ذلك أن نأتى على فصل فصل من أول القرآن إلى آخره ، ونبين فى الموضع الذى يدعون الاستغناءَ عن السجع من الفوائد ما لا يخفَى . ولكن ذلك خارج عن غرض كتابنا [١] .

– لو كان الذى فى القرآن سجعا لكان مذموما ، لأن السجع – إذا تفاوتت أوزانه ، واختلفت طرقه – كان قبيحا من الكلام . وقد علمنا أن بعض ما يدعونه سجعا فى القرآن متقارب الفواصل ،وبعضه مما يمتد حتى يتضاعف طوله ، وترد الفاصلة على ذلك الوزن بعد كلام كثير . وهذا فى السجع غير مرضى ولا محمود . وقد علم أن فصاحة القرآن غير مذمومة فى الأصل ، فلا يجوز أن يقع فيها نحو هذا من الاضطراب[٢] .

– لو كان ما فى القرآن سجعا ، لما تحيروا فيه ، ولدعت الطباع إلى معارضته ، لأن السجع غير ممتنع عليهم بل هو عادتهم . فكيف تنقض العادة بما هو نفس العادة [٣] ؟!

– من جوز السجع لابد أن يسلّم بصحة مذهب الصرفة [٤] .

= عائشة [٢٣٧] . البيومى [١٦١] . أبو زهرة [٣٠٠] . زرزور [٢٥٥] . الحسناوى [١١٤] . وانظر الحكيم [١٠٧] .

(١) إعجاز [٥٨] .

(٢) إعجاز [٦٤،٥٩] . الزركشى [٥٧/١] . الإتقان [١١٢/٢] . الجندى [٢٠٩/١-١٠، ١٧٦/٢] . صقر [٧٣] . البوطى [١٣١-٢] مخلوف [٨٠٥] . عائشة [٢٣٧-٨] البيومى [١٦٢-٣] . زرزور [٢٥٦] . الحسناوى [١٠٦-٧] .

(٣) إعجاز [٦٤،٦٠] . الجندى [١٧٦/٢] . صقر [٧٣] . موسى [٤٣] . عائشة [٢٣٨] . البيومى [١٦٤] . الحسناوى [١٠٧] . وانظر محيى [٤٧] .

(٤) إعجاز [٦٥] . الجندى [١٧٧/٢] . صقر [٧٤] موسى [٤٤] . عائشة [٢٣٨] . الحسناوى [١١٠] .

وكان ختام القول عند الباقلانى أن أعلن : بان بما قلنا أن الحروف التى وقعت فى الفواصل متناسبةً موقعَ النظائر التى تقع فى الأسجاع ، لا يخرجها عن حدها ، ولا يدخلها فى باب السجع[1] .

وعلى الرغم من هذا الموقف الواضح ، الذى لا يشوبه أى خفاء ، ذكر السيوطى أن مؤلف « عروس الأفراح » صرح بأن الباقلانى ذهب فى « الانتصار » إلى جواز تسمية الفواصل سجعا [2] .

ولو صح هذا لدل على أن الباقلانى تردد مدة ، أو غيرَ موقفه وصار من المتوسطين بعد أن كان من غلاة الرافضين ، أو أن السبكى ذهب إلى مثل ما ذهبت إليه د/ عائشة عبد الرحمن ، حينما قالت : يوشك الباقلانى – فى احتجاجه لنفى السجع فى القرآن – أن يسلم بقدر منه فيه ، مما سماه السجع المعتدل . وهذا القدر لا يكفى عنده لحمله على السجع ، كما لا يكفى وجود شطر أو بيت أو بيتين من الشعر والرجز فى الكلام ليكون شعرا [3] .

وعلق د/ على الجندى على أقوال الرمانى والباقلانى قائلا : هما – فى هذا الحكم – متأثران كل التأثر بمحاولة نفى السجع عن القرآن[4] .

ووازنت د/ عائشة عبد الرحمن بين الرجلين فرأت أن الرمانى احتج لنفى السجع بأقوى مما احتج به الأشاعرة [5] .

وأعلن د/محمد رجب البيومى أن الباقلانى حذا حذو الرمانى واتكأ عليه فى أكثر ما قال[6] .

---

(١) إعجاز [٦٤] ، الإتقان [١١٢/٢] . موسى [٤٤] .

(٢) الإتقان [١١٢/٢] . الجندى [١٧٩/٢] .

(٣) الإعجاز [٢٣٨] .

(٤) صور [١١٤/٢] .

(٥) الإعجاز [٢٣٩] .

(٦) البيان [١٦٧] . وانظر ستيوارت [١٠] .

واتهم ديفين ستيوارت الرمانى بأن المثل الذى ضربه للسجع يكشف عن رؤية متحيزة للاحتمالات التى يمكن أن يفهم بها مضمون السجع ، إذ إنه يختار أقلها شأنا [1] .

ونشر د/ محمد أحمد الغمراوى مقالتين فى الجزءين «٩، ١٠» من السنة «٣٩» من مجلة الأزهر ، هدفه الأول فيهما الرد على د/ عبد الرءوف مخلوف .

فاستهل بأنه ينبغى أن ينظر فى قضية السجع فى القرآن فى ضوء إعجاز الأسلوب فيه ، تلك القضية المجمع على إعجازه فيها من قدامى المفسرين وعلماء البيان والكلام إلا من قال بالصرفة .

وأثنى على أبى بكر الباقلانى الذى كان يراه قد جمع بين البصر بالكلام والبيان جميعا، بل كان من كبار أهل البيان وكبار علماء البيان ، وذكر أنه أنكر أن يكون فى القرآن سجع ، لأنه رآه قرين التكلف أو يكاد[2] .

وصرح بأن د/ عبد الرءوف مخلوف شدد النكير على الباقلانى فى مقالات لم يحاكمه فيها إلى تعريف السجع عند معاصريه وإنما إلى تعريف محدث استنبطه على الجندى .

ويمكن أن نقول إن د/ الغمراوى أدار مقالته كلها على هذا التعريف .

فقد أعلن أن تعريف الباقلانى لم يكن رأيا خاصا به ، بل كان عرفا استمر حتى القرن الثالث عشر ، إذ نادى به حسين المرصفى فى كتابه الممتع « الوسيلة الأدبية » . فليس هو – إذن – الذى ضيق تعريف السجع لينفيه عن القرآن . وليس هناك فائدة جديدة تجتنى من توسيع التعريف حتى يكاد يشمل أكثرالنثر الفنى أو يشمل أكثر القرآن . بل هذا التوسع فى التعريف يذهب بالضابط الذى كان معتبرا إلى اليوم فى

(١) مجلة فصول [١٠] .

(٢) مجلة الأزهر [٧٣٢] .

تمييز السجع من غيره كالازدواج : والفن كالعلم يكون أرقى كلما كانت وسائل التمييز فيه أكثر وأدق[1] .

أما تعريف د/ عبد الرءوف مخلوف .. أو بالأحرى د/ الجندى - فإنه لو اتخذ معيارا لمسجوع الكلام لكان القرآن سجعا أكثره حتى سوره الطوال كالبقرة - أطول سورة - يصبح أكثرها سجعا ،وهذا لم يقل به أحد من قبل[2] .

وهذا التعريف قد خالف ما اصطلح علماء البيان عليه فى السجع . فهم لا يسمون ما اختلف رويه واتحد وزنه سجعا ، إنما يسمونه ازدواجا . لكن الاقتصار على اتحاد الروى من غير نظر إلى ما بين العبارتين من اختلاف فى الطول يدخل فى السجع ما لا يمكن أن يكون منه ، لا فى العرف الجارى قبل هذا التعريف المستحدث ، ولا فى الذوق الأدبى الذى نشأ على مراعاة الروى وتقارب معقول بين العبارتين فى الطول[3] .

ثم تناول أهداف الباقلانى فقال : والباقلانى - حين أنكر وجود السجع فى القرآن - أراد أن ينزهه عن عيب كثيرا ما يكون فى الكلام المسجوع ، ألا وهو التكلف وإخضاع المعنى للصيغة [4] ، كما قد وقع فى السجع ، في العصر الذى عاش فيه الباقلانى إلى القرن الذى نعيش فيه ، حتى لقد أدت كثرة التكلف فى سجع أول هذا القرن وآخر القرن قبله إلى غلبة استرزال السجع والتنفير منه ، حتى لا تكاد تطلع على شيء منه فى أدب الكاتبين اليوم ، اللهم إلا من قلم محسن مجيد يتوقى تكلفه بحسن بصره بمواقع الكلم[5] .

---

(١) نفسها [٧٣٣] .

(٢) نفسها [٧٣٢] .

(٣) نفسها [٧٣٢-٣] .

(٤) نفسها [٧٣٣] .

(٥) نفسها [٧٣٥] .

لقد أراد الباقلانى أن يبرئ القرآن أيضًا من مظنة التكلف أن تخطر على بال مسلم ناشئ أو غير ناشئ ، شاد أو غير شادٍ فى الأدب . فخاطر كهذا قد يكون ثغرة يدخل منها الشيطان على المسلم يشككه فى قرآنه أن يكون سلم من التحريف ، إن لم يكن وسيلة لتشكيكه فيه أنه من عند اللّه (١) .

ويكاد الدكتور مخلوف ينسب تكلف السجع للقرآن ، إن لم يكن نسبه إليه فعلا ، حين يقول : إن القرآن يلجأ إلى الأسجاع .. حتى ليترك مألوف الاستعمالات اللغوية وكثيرها إلى نادرها (٢) .

هذا بالضبط ما أراد الباقلانى أن يجنب المسلم أن يظنه بالقرآن . لقد ضن - رضى اللّه عنه - بمقام القرآن أن يظن به تكلف السجع ، فكيف به لو اطلع على دعوى مخالفة القرآن ما هو أصل فى اللغة إلى ما هو شاذ ، إلىآخر هذا الذى نسبه الدكتور إلى القرآن يعمدإليه ويقصد .كأنه قد غفل عن أن المتكلم فى القرآن هو الحق سبحانه فكل ما فى القرآن مراد بالبداهة للّه . وليس هناك قصد وعمد إلى قول دون قول ، أو أمر دون أمر . والذى يقوله الحق فى كتابه العزيز هو الأصل فى اللغة وهو المرجع ، لا ما يقوله الفراء وأبو البقاء ، أو يتقوله مستشرق مثل بروكلمن .

وإذا كان القول بالسجع فى القرآن يجر إلى مثل هذه الأقوال ، فهو قول ينبغى تجنبه ، ويكون الباقلانى على حق فى إنكاره بالحدود التى حددها له .

إن الموقف الذى يؤدى بأهله إلى نسبة الشذوذ للقرآن هو موقف باطل من غير شك، ويتحتم رفضه ،حتى من غير حل ما أشكل عليهم ، مما سموه شذوذا عن الأصل فى العربية ، إذ يكفى فى رفضه أنه يضاد الأصل الأصيل فى الإسلام ، أصل إعجاز القرآن(٣) .

---

(١) نفسها [٧٣٣] .

(٢) نفسها [٧٣٥] .

(٣) نفسها [٧٣٦] . وانظر الحسناوى [١٤١] .

وفى مقالتى د / الغمراوى فقرتان هامتان تزيلان كثيرا من المعوقات ، أود أن أختم بهما . قال فى الأولى : على أن الحكم فى مسألة الخلاف بين نفاة السجع عن القرآن والقائلين به قريب ، إذا كان القائلون به فى القرآن ينفون عنه التكلف الذى كثيرا ما يقترن بالسجع فى كلام الناس ، والذى من خوف ظنه بالقرآن نفى النافون السجع عنه ، فإن المسألة تصبح مسألة خلاف على التسمية ، ويفقد الخلاف أهميته ما دام الطرفان أجمعا على تنزيه القرآن عن التكلف الذى نهى اللّٰه نبيه ونزهه عنه فى قوله : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[1] [ص : ٨٦] .

فالحق إن أحدا من مؤيدى السجع لم ينسب التكلف إلى القرآن ، بل نفوه صراحة عنه .

وقال فى الفقرة الثانية : الطريقة المثلى لتزييف تعريف السجع الذى أورده الباقلانى ، وبنى عليه نفى السجع عن القرآن ، ليست محاولة إحلال تعريف مستحدث محله ، وإدخال البلبلة بذلك فى ضوابط الأدب العربى . ولكن هى فى إثبات أنه تعريف خاص بالباقلانى لا بعصره . فلو أن الدكتور مخلوف استطاع أن يثبت أن السجع عند أدباء القرن الهجرى الرابع لم يكن كما عرّفه الباقلانى ، أو أنه خلا من التكلف فى ذلك العصر، فلم يكن للباقلانى أن يتخوف أو يخشى الشبهة من ناحيته على القرآن ؛ لكان قد ذهب بالمبرر الذى من أجله رأى الباقلانى أن يُجلّ مقام القرآن عن أسلوب يكثر من أصحابه التكلف ، فيظن ظان أن القرآن فيه من تكلف السجع شيء [2] .

فما طلب إثباته ليذهب بمبرر آراء الباقلانى يثبته هذا البحث الذى بين أيدى القراء فى جلاء .

---

(١) مجلة الأزهر [٨٥٢] .

(٢) مجلة الأزهر [٧٣٥] .

وتكشف أقوال محمد أحمد الغمراوى أن صاحبها كان قليل الاطلاع على كتب البلاغة والإعجاز .

وكانت أولى النتائج ظنه أن تعريف الباقلانى هو التعريف الوحيد للسجع فى العصور القديمة ، وأن تعريف د./ الجندى مستحدث فى عصرنا هذا .

وكانت ثانيتها إنكاره أن أحدا من قبل لم يقل إن أكثر القرآن – ومنه سورة البقرة – أكثره سجع .

ولست أدرى تفسيرا لما زعم أن الظن بسجع القرآن يؤدى إلى الشك فى أنه محرف .

وغفل عن بعض عباراته التى انساق فيها وراء العرف الأدبى السليم ، فاعترف بوجود سجع يجىء عفو الخاطر ، وبفشو التكلف إلا من قلم محسن مجيد يتوقى تكلفه بحسن بصره بمواقع الكلم . وهذا النوع هو ما أراده من أثبت السجع فى القرآن .

وليته لم يزج باسم بروكلمن فى هذا المقام ، استخداما لما يثيره ذكر المستشرقين عند بعض الناس من نفور ، وإلا فهل يرفض هو ما قاله بروكلمن عن سجع القرآن من جدة ، وقوة فكرة ، وصفاء روح .. إلخ .

وليته برئ من تشويه عبارة د/ مخلوف أحيانا ، ليعطيها إيحاء ينفّر منها . فقد ذكر أنه ادعى مخالفة القرآن ما هو أصل فى اللغة إلى ما هو شاذ ، وجعل ذلك مدعاة الحكم ببطلان موقفه وحتمية رفضه . والرجل لم يقل هذا ، وإنما قال إنه ترك مألوف الاستعمالات اللغوية وكثيرها إلى نادرها ، وعدل عن الأشهر إلى المشهور ، وعن الكثير فى الاستعمال إلى القليل النادر . وهذا شيء لا يمكن إنكاره . ولكن يجب القول بأن علماء اللغة القدامى يصفون كل هذه الاستعمالات بالأصول العربية الصحيحة . ويزيد عليهم العلماء المحدثون فلا يفرقون أية تفرقة بينها ما دامت قد تكلمت بها جماعات عربية .

وتبقى قضية القول بأن القرآن عمد إلى الأسجاع وقصدها قصدا ، وهى قضية يطول فيها الحديث ، وسيأتى أوانها إن شاء الله .

وصرح محمد الحسناوى بأن الخلاف حول إثبات السجع فى القرآن ونفيه منه ، يمتد فى الزمان من بداية الاشتغال بالدراسات القرآنية إلى يومنا هذا ، ويمتد فى المكان حتى تقع عليه فى معظم العلوم التى تناولت القرآن كعلوم القرآن والإعجاز والنقد والبلاغة ، وفى عدد من المذاهب الإسلامية كالمعتزلة والأشاعرة .

لذلك كثرت الأسباب الموجبة لهذا الخلاف ، وأذكر منها :

١ - الاختلاف المذهبى بين المعتزلة والأشاعرة ، إن لم نقل بين المعتزلة أنفسهم .

٢ - من ثمرات الاختلاف المذهبى ، والرد على الزنادقة ، وما شابه ، اندفاع سيل التأليف فى « إعجاز القرآن » تأليفا يحمل أصداء المذاهب والثقافة اللغوية والفلسفية والاجتهادات الخاصة .

٣ - عدم استقرار مصطلحات النقد والبلاغة ، ولاسيما فى البدايات .

٤ - التفاوت فى مدى استواء المنهج النقدى .

٥ - دلالة الحديث الشريف[١] .

وهناك ثلاث جبهات متباينة - على الأقل - حول مسألة السجع فى القرآن : فجبهة تثبته ، وأخرى تنفيه ، وثالثة تمسك عن هذا وذاك .

ووضع فى الفئة التى أمسكت عن إبداء الرأى الجاحظ وعبد القاهر الجرجانى . واستبعد منها أبا هلال العسكرى .

وقسم الفئة التى نفت السجع إلى فريقين :

(أ) فريق يغالى فى كراهية السجع حتى فهم من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم النهى عن السجع إطلاقا . وذكر منهم أبا على البصير ، ومحمد كرد على .

---

(١) الفاصلة [٩٨-٩] .

(ب) وفريق آخر انصرف إلى نفى السجع من القرآن بخاصة ، مثل الأشعرى والباقلانى والرمانى وابن خلدون وبهاء الدين السبكى وأبى يعقوب المغربى والتفتازانى ود/ محمد أحمد الغمراوى وعبد الكريم الخطيب وعبد الحميد حسن ود/ عائشة عبد الرحمن .

وكذلك قسم الفئة الثالثة التى أثبتت السجع إلى فريقين :

(أ) فريق تابع من سبقه ، فعرض الخلاف ، ومثل للسجع أو لفروعه بشواهد من القرآن ، من غير أصالة أو تعليل كبير ، مثل الزركشى والقلقشندى وابن حجة الحموى والسيوطى ود/ أحمد أحمد بدوى .

(ب) وفريق قالوا بالسجع أصالة أو تعليلا : مثل العسكرى وابن سنان والسكاكى وابن الأثير وابن أبى الحديد وحازم القرطاجنى[1] ...

واستعرض حجج من نفوا السجع من القرآن ، ومن أثبتوه فيه[2] .

وأعلن الحسناوى أن تنزّل الوحى الربانى بلغة بشرية معجزة ، هو محور الخلاف فى مسألة السجع فى القرآن وغيرها من مسائل الدراسات القرآنية . فليس من شك فى أن القرآن نزل بلغة البشر حتى فهموه ، وسما بنظمه المعجز حتى آمنوا بمصدره الإلاهى . لكن أين تنتهى حدود اللغة ، وتبدأ حدود النظم ؟

وتساءل : هل القول بالسجع يلغى مصطلح الفاصلة ؟

وكان جوابه بالنفى ، ولكنه يؤدى إلى مشكلات مختلفة ، أولها : اهتزاز الرؤية النقدية المتكاملة للنص القرآنى ، على أساس أنه نص متميز ، أو من عند اللّه[3] .

وقال : ليس من شك فى أن هناك نوعا من الشبه الظاهرى أو الصوتى بين كل من الفاصلة والسجع والقافية ، حتى رُمى الرسول صلى اللّه عليه وسلم بقول الشعر[4] .

---

(١) الفاصلة [١٠٠-٥] .
(٢) نفسها [١٠٥] .
(٣) نفسها [١٢٢] .
(٤) نفسه [٩٤-٥] .

ولكنه وجد الفاصلة تمتاز من السجع - من هذا الجانب .. بأنها تأتى متماثلة وغير متماثلة ومنفردة .

والسجع مبنى على سكون الأعجاز بينما في الفواصل ما هو ساكن الأعجاز مقيد ، وما هو متحركها مطلق .

والسجع أيضا مبنى على التغيير ، فيجوز أن تغير الفاصلة لتوافق أختها ، فمن ذلك الإمالة وحذف المفعول وصرف ما لا ينصرف .

واعترف أن العلماء أخذوا شواهد هذا التغيير من القرآن . ولكنه اعترض على ذلك ، اعتمادا على أنه يذهب إلى أن السجع لا يقع فى القرآن ، وعلى أن الشواهد المذكورة خرّجها بعض الباحثين تخريجا علميا أثبت أنه لم يقع فيها تغيير ، وعلى أنه ينبغى أن تقاس العربية على القرآن والحديث لا العكس ، لأن القرآن كلام رب العالمين ، والحديث كلام سيد العرب[1] .

ووجد الفاصلة تمتاز من القافية بعدم عيبها بما تعاب به القوافى[2] .

وأخيرا أعلن رأيه الخاص فقال : إن القول بسجع القرآن حيف ، وإن القول بالفاصلة لا شريك لها رد الأمور إلى نصابها ، ونظرة إلى ظاهرة قرآنية متميزة مطردة فى القرآن كله . وفى ذلك ما فيه من تجنب الإيهام بمشابهة كلام البشر أو الكهان ، كما فيه انسجام مع إشارات القرآن ﴿ بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ ﴾ [الأعراف : ٥٢] ﴿ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ ﴾ [الأعراف : ١٣٣] ، وفيه حفز الهمم إلى تجديد النقد الأدبى عند العرب بالعودة إلى منابعه الأولى الصافية ، بالانطلاق من المدرسة القرآنية أولا ، ومن النظر إلى النص نظرة متكاملة ثانيا ، ومن تمييز الفنون الأدبية كما فعل الباقلانى ثالثا [3] .

---

(١) نفسها [١٣٩-٤١] .

(٢) الفاصلة [١٤١-٣] .

(٣) نفسها [١٢٥] .

وعد د/ فؤاد على رضا القول بأن فى القرآن سجعا فيه حماقة ، واحتج بالعلل الآتية :

١ - السجع قيد من قيود الكلام . والقيد قد يحمل الإنسان على كسره عند الضرورة ، طلبا لتجانس المعانى فى الكلام . فيجور مرة على المضمون من أجل تجانس اللفظ . والقرآن لا يخضع لحكم ضرورة من الضرورات .

٢ - هذا القول انتقاص للقدرة الإلالهية وخضوعها لحكم الضرورات .

٣ - من يلجأ إلى السجع رجل عجز عن أداء الشعر فى سلاسة (١) .

☆

ويمكن أن نتبين أن الرافضين لوجود السجع فى القرآن انطلقوا من مواقف محددة :

أولاها : الرغبة فى تنزيه القرآن عن ظاهرة أدبية ، آمنوا أنها ليست عفوية ، وإنما يسعى وراءها الأديب ، ويضطر من أجلها إلى إجراء شيء من التغيير أو التعديل على أفكاره .

ثانيها : الخوف من القدح فى القرآن إذ رأوه لا يلتزم بالنمط الذى استحسنه البلاغيون من السجع ، بل سار - أحيانا - على أنماط استقبحوها .

ثالثا : الرهبة من تطبيق القواعد المستنبطة من كلام البشر على التنزيل الإلاهى ، والخشية على الإعجاز القرآنى .

رابعا : توسع كثير من العلماء فى تصور السجع ، بحيث جعلوه يتضمن السجع بالمعنى الدقيق المعروف والازدواج ، وبذلك جعلوه مرادفا للفواصل .

وانطلقوا من هذه المواقف الأساسية وغيرها يبحثون عن الحجج التى تبرهن على ما يرون وتدعمهم . ولكن المؤيدين للسجع انهالوا على هذه الأدلة بالتفنيد ، كما نرى فيما يلى .

---

(١) من علوم [١٣٣] .

أعلن أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى «بعد ١٠٠٥/٣٩٥» عن رأيه فى الازدواج فى القرآن فى جلاء تام ، حيث ذهب إلى أن منثور الكلام لا يحسن ولا يحلو حتى يكون مزدوجا ، ولا تكاد تجد لبليغ كلاما يخلو منه[1] .

ولو استغنى كلام عنه لكان القرآن ، لأنه فى نظمه خارج من كلام البشر[2] . ولكن الازدواج كثير فيه ، حتى إنه حصل فى أوساط الآيات ، فضلا عما وقع فى الفواصل[3] .

أما السجع - الذى لم يكن ولعه به أقل من ولعه بالازدواج إن لم يزد - فإنه لم يعلن عن موقفه من وجوده فى القرآن فى مثل جلاء موقفه من الازدواج .

ولكننا نستطيع أن نستشعر أنه يميل إلى وجوده فيه . فقد قال ذات مرة : « كذلك جميع ما فى القرآن - مما يجرى على التسجيع والازدواج - مخالف فى تمكين المعنى ، وصفاء اللفظ ... ألا ترى قوله - عز اسمه - : ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ... جَمْعًا ﴾ [العاديات : ١وه] قد بان عن جميع أقسامهم الجارية هذا المجرى[4] ، من مثل قول الكاهن : « والسماء والأرض ، والقرض والفرض ، والغمر والبرض » ومثل هذا من السجع مذموم لما فيه من التكلف والتعسف »[5] .

(١) الصناعتين [٢٨٥] . القلقشندى [٢٨٠/٢] . الجندى [١٢٣/٢-٤] . عرجون [١٧٨] .

(٢) الصناعتين ٢٨٥] . حازم [٣٨٨] .الزركشى [٦٠/١] . الجندى [١٢٤/٢،١٦٩] . عرجون [١٧٨] . ستيوارت [١٠] .

(٣) الصناعتين [٢٨٥] .القلقشندى [٢٨٠/٢] . الجندى [١٦٩/٢] .عرجون [١٧٨] .

(٤) الصناعتين [٢٨٥-٦] الجندى [١٦٩/٢] . الخطيب [٢١٢/٢] موسى [٤٤] . ثلاث [١٧١-٢] أبو زهرة [٢٩٦] . الحكيم [١٠٨-٩] . العمرى [١٧٣] .

(٥) الصناعتين [٢٨٥-٦] . الجندى [١٦٩/٢] . الخطيب [٢١٢/٢] موسى [٤٤] . ثلاث [١٧١-٢] . أبو زهرة [٢٩٦] . الحكيم [١٠٨-٩] . العمرى [١٧٣] . العمرى [١١] .

ويتأكد لنا هذا الاستشعار عندما نجده يمثل لما يتحدث عنه من أنواع السجع بآيات قرآنية [1] .

وصرح أبو هلال بأن النبى صلى الله عليه وسلم كره سجع الكهان لأن التكلف فاش فيه . ولو كره السجع لكونه سجعا لقال : أسجعا ثم سكت[2] . واستنكر أن يكره النبى السجع ويذمه ، وهو - إذا سلم من التكلف وبرئ من التعسف - لم يكن فى جميع صنوف الكلام أحسن منه[3] . وقد جرى عليه كثير من كلامه[4] . وكان - ربما - غير الكلمة عن وجهها ، للموازنة بين الألفاظ واتباع أخواتها [5] .

وصور أحمد بن على القلقشندى موقف أبى هلال ، فجاء بشيء من الزيادة والتغيير فيما سبق . ذكر أنه قال : ناهيك أن القرآن - الذى هو عنصر البلاغة ومناط الإعجاز- مشحون به [6] ، لا تخلو منه سورة من سوره وإن قصُرت[7] . بل ربما وقع السجع فى فواصل جميع السورة ، كما فى سورة النجم واقتربت

---

(١) انظر ستيوارت [١١] .

(٢) الصناعتين [٢٨٦] . ابن الأثير [١/٢٧٣] . العلوى [٣/٢٠] . صقر [٧٥] . الخطيب [٢/ ٢٠٩-١٣] موسى [٤٤] . أبو زهرة [٢٩٧] .عائشة [٢٤٢] . الحكيم [١٠٩] الحسناوى [١١٣] . العمرى [١٧٣] . الحناوى [١٩٣] . ستيوارت [٩] .
وانظر شرح ابن أبى الحديد [١/١٢٩] . القلقشندى [٢/٢٨١-٢] . السلامى [٢٢٧] .

(٣) الصناعتين [٢٨٦] . موسى [٤٤] .

(٤) الصناعتين [٢٨٦،٢٨٨] . ابن الأثير [١/٢٧٢-٣] . العلوى [٣/١٩-٢٠] . صبح [٢/٢٨١] . موسى [٤-٥] . وانظر شرح ابن أبى الحديد [١/١٢٩] .

(٥) الصناعتين [٢٨٦] . ابن الأثير [١/٢٨٦] . القلقشندى [٢/٢٨١] . موسى [٤٥] .

(٦) صبح [٢/٢٨٠] . وانظر العلوى [٣/١٩-٢٠] .

(٧) صبح [٢/٢٨٠] . ابن الأثير [١/٢٧١] .

والرحمن وغيرها من السور[1] ، بل ربما وقع فى أوساط الآيات[2] .

وقد انتابت الحيرة العلماء فى تحديد موقف أبى هلال . فقيل عنه : يعمد إلى اللف والدوران حول السجع فى القرآن ، فلم يصرح به فيه ، ولم ينفه لأن الرأى العام عند الناس ، فى القرن الرابع ، لا يزال متحرجا من أن يقرن بين السجع والقرآن[3] . وقال محمد الحسناوى إنه لا يمكن ضمه إلى الفئة التى أمسكت عن إبداء الرأى ، إنما وضعه فى فئة من قالوا بالسجع[4] .

ونقل الباقلانى أن كثيرين ممن ذهبوا إلى إثبات السجع فى القرآن احتجوا بما يلى :

– السجع مما يبين به فضل الكلام[5] .

– السجع من الأجناس التى يقع فيها التفاضل فى البيان والفصاحة كالتجنيس والالتفات وما أشبه ذلك من الوجوه[6] .

– ما فى القرآن من السجع كثير ، لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه[7] .

– اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هارون – عليهما السلام – ولمكان السجع قيل فى موضع : ﴿ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ [طه : ٧٠] . ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل : ﴿ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٢] ووصف

---

(١) صبح [٢/٢٨٠] . ابن سنان [١٦٦] . ابن الأثير [١/٢٧١،٢٧٧] . ابن النقيب [٤٧٤] . من بلاغة [٢٤٨] . أسس [٦٠٠] الخطيب [٢/٢١٤] . أبو زهرة [٢/٢١٤] . عائشة [٢٤٣] البيومى [١٧٠] . زرزور [٢٥٨] . ستيوارت [١١] .

(٢) صبح [٢/٢٨٠] .

(٣) سلام [٢٤٢] . الحسناوى [١٠١] .

(٤) الفاصلة [١٠١–٣] .

(٥) إعجاز [٥٧] . الزركشى [١/٥٥] . مجلة الأزهر [٨٠٤] . موسى [٤٢] .

(٦) إعجاز [٥٧] . الزركشى [١/٥٥] . مجلة الأزهر [٨٠٤] .

(٧) إعجاز [٥٧] . الزركشى [١/٥٥] . موسى [٤٢] .

الباقلانى هذا القول بأنه أقوى ما استدلوا به[1] .

– انطباق تحديد السجع بموالاة الكلم على وزن واحد على ما فى القرآن[2] وعلى ذلك كان يجرى كلام العرب فى مهم كلامهم من الدعاء وغيره[3] .

وكان أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن سنان الخفاجى «٤٢٣–٤٦٦/١٠٣٢–١٠٧٣» أول من وصل إلينا منه حديث مفصل فى الدفاع عن وجود السجع فى القرآن. وقد أتى بهذا الحديث فى أثناء تناوله للمناسبة بين الألفاظ فى الصيغ ، تلك المناسبة التى جعلها من شروط الفصاحة [4] .

استهل هذا الحديث بتعريف السجع ، فكان عنده تماثل الحروف فى مقاطع الفصول[5] .

وانتقل من هذا التعريف إلى اختلاف الناس فيه ، بشكل عام ، بين كاره له ومستحسن[6] .

فكانت حجة من يكرهه أنه ربما وقع بتكلف واستكراه ، فأذهب طلاوة الكلام وأزال ماءه [7] . وأورد عيب الرمانى له مطلقا القول بأن السجع يُقصَد فى نفسه ثم يحمل المعنى عليه ، والفواصل بعكسه[8] .

---

(١) إعجاز [٥٧] . الزركشى [١/٥٥] . موسى [٤٢] .

(٢) إعجاز [٥٧] . الزركشى [١/٥٥] .

(٣) القلقشندى [٢/٢٨١] . وانظر العلوى [٣/١٩] . عائشة [٢٤٦–٧] .

(٤) سر [١٦٢–٧١] . موسى [٤٥] .

(٥) سر [١٦٣–٤] . الخطيب [٢/٢١١] . موسى [٤٥–٦] .

(٦) سر [١٦٤] . موسى [٤٥] .

(٧) سر [١٦٤] . موسى [٤٥] .

(٨) سر [١٦٥–٦] . موسى [٤٥] .

وحكم على هذا الإطلاق بالغلط[1] . وأعلن أن المذهب الصحيح أن السجع محمود ، إذا وقع سهلا متيسرا ، بلاكلفة ولا مشقة ، وبحيث يظهر أنه لم يقصد فى نفسه ، ولا أحضره إلا صدق معناه ، ولا يكون الكلام الذى قبله إنما يتخيَّل لأجله ، وورد ليصير وُصْلة إليه[2] .

وكما أن الشعر يحسن بتساوى قوافيه كذلك النثر يحسن بتماثل الحروف فى فصوله[3] .

ولما كان هذا مذهبه فقد أفاض فى الاحتجاج له على النحو التالى :

– لولا حسن السجع لم يرد فى كلام اللّه تعالى[4] ، وكلام النبى صلى اللّه عليه وسلم[5] والفصيح من كلام العرب[6] .

– الذى يجب أن يحرَّر أن يقال : إن الفواصل على ضربين :

ضرب يكون سجعا ، وهو ما تماثلت حروفه فى المقاطع .

وضرب لا يكون سجعا ، وهو ماتقاربت حروفه فى المقاطع ولم تتماثل[7] .

---

(١) سر [١٦٥-١٧١،٦] . الزركشى [١/٥٧] .

(٢) سر [١٦٤] . عرجون [١٧٨] . موسى [٤٥] .

(٣) سر [١٦٤] . موسى [٤٥] .

(٤) سر [١٦٤] . وانظر ابن الأثير [١/٢٧١،٢٧٣] . ابن أبى الحديد [١/١٢٨] . العلوى [٣/ ١٩-٢٠] . الجندى [٢/١٦٩] . صقر [٧٦-٧] . الخطيب [٢/٢١٤] . موسى [٤٥] . ثلاث [١٧٥-٦] . أبو زهرة [٢٩٩] . عائشة [٢٤٣،٢٤٦-٧] .

(٥) سر[١٦٤] . وانظر ابن الأثير[١/٢٧٢-٣] . ابن أبى الحديد[١/١٢٨] . العلوى[٣/١٩-٢٠] . أسس [٦٠١] موسى [٤٥] . ثلاث [١٧٦] . عائشة [٢٤٣،٢٤٦-٧] . سلطان [٢٠] . الدبل [٩٥] .

(٦) سر [١٦٤] موسى [٤٥] . وانظر العلوى [٣/١٨-٩] أبو زهرة [٣٠] . سلطان [٢٢٠] . الحكيم [١١٠] . السلامى [٢٢٧] . الدبل [٩٥] .

(٧) سر [١٦٥] . الإتقان [٢/١١٢] . الجندى [٢/١٧٩] . الخطيب [٢/٢١٣] . موسى [٤٦] . أبو زهرة [٢٩٣] . عائشة [٢٤١] . سلطان [٢٢٠] . وانظر الزركشى [١/٧٢] . العمرى [١٧٣،١٧٥] . عبد الغفار [٣١٩] . الحناوى [١٩٠-١] .

ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين ، من أن يأتى طوعا سهلا وتابعا للمعانى ، وبالضد من ذلك حتى يكون متكلفا يتبعه المعنى . فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان . وإن كان من الثانى فهو المذموم المرفوض . فكما يعرض التكلف فى السجع عند طلب تماثل الحروف ، يعرض فى الفواصل عند طلب تقارب الحروف[١] .

وأراد أن يبين أن حديثه هذا نظرى ، وأنه لا ينطبق برمته على القرآن ، فقال: فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود لعلوه فى الفصاحة [٢] .

– الحقيقة التى لا تخفى فتحتاج إلى زيادة بيان أنه لا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام فى كونه مسجوعا ، وبين مشاركة جميعه فى كونه عرَضا وصوتًا وحروفا وكلاما وعربيا ومؤلفا [٣] .

ولا فرق بين الفواصل التى تتماثل حروفها فى المقاطع وبين السجع[٤] .

– السجع الواقع موقعه كثير لمن طلبه[٥] ، وأمثال السجع غير المتكلف أكثر من أن تحصى[٦] ، ومن الكتاب المحدثين من كان يستعمل السجع كثيرا ، ولا يكاد

---

(١) سر [١٦٥-٦] . الجندى [١٧٩/٢] . الخطيب [٢١٣/٢] . ثلاث [١٧٣-٤] . أبو زهرة [٢٩٣] . عائشة [٢٤١] . سلطان [٢١٩] . العمرى [١٧٣] . عبد الغفار [٣١٩] – الحناوى [١٩١] . وانظر الزركشى [٧٢/١] : الإتقان [١١٢/٢] . الجندى [١٧٩/٢] . ضيف [١٥٥] . الحكيم [١١٠] . السلامى [٢٢٧] . الحسناوى [١١٢] .

(٢) سر [١٦٥] .الجندى [١٨٠] . الخطيب [٢١٣/٢] ضيف [١٥٥] . موسى [٤٦] . أبو زهرة [٢٩٧] . عائشة [٢٤١] . سلطان [١٩-٢٠] . العمرى [١٧٤] . عبد الغفار [٣١٩] الحناوى [١٩١] . وانظر الزركشى [٧٢/١] .

(٣) سر [١٦٦-٧] . الجندى [١٨٠/٢] موسى [٤٦] . ثلاث [١٧٥] . أبو زهرة [٢٩٨] . الحناوى [١٩٢] . وانظر صقر [٧٧] . الخطيب [٢١١/٢] .

(٤) سر [١٦٦-٧] . موسى [٤٦] .

(٥) سر [١٦٩] .

(٦) سر [١٧٠] .

يخلّ به . ومنهم من كان يتجنبه . ومنهم من كان السجع قليلا فى كلامهم ، لكنهم لا يكادون يخلون به(١) .

يجوز أن تسمى الفواصل المتماثلة سجعا ، لأن فيها معنى السجع ، ولا مانع فى الشرع يمنع ذلك(٢) .

وخشى ابن سنان أن يعترض عليه معترض فيقول : إذا كان عندكم السجع محمودا ، فهلا ورد القرآن كله مسجوعا ، فقال : القرآن أنزل بلغة العرب ، وعلى عُرفهم وعادتهم . وكان الفصيح من كلامهم ألا يكون كله مسجوعًا ، لما فى ذلك من أمارات التكلف والاستكراه ، لاسيما فيما يطول من الكلام . فلم يَرد مسجوعا كله جريا على عرفهم فى الطبقة العالية من كلامهم . ولم يخل من السجع لأنه يحسن فى بعض الكلام . فلم يجز أن يكون عاليا فى الفصاحة وقد أُخل فيه بشرط من شروطها (٣) .

وذكر ابن سنان أن موقفه هذا يوفق بين آراء المعارضين والمؤيدين ، إذ إنا متى حمدنا غير المتكلف من السجع ، كنا قد وافقنا دليل من كرهه وعملنا بموجبه ، لأنه إنما دل على قبح ما يقع من السجع بتعمل ، ونحن لم نستحسن ذلك النوع ؛ ووافقنا أيضًا دليل من اختاره ، لأنه إنما دل به على حسن ما ورد منه فى كتاب اللّٰه (٤) .

---

(١) سر [١٦٧] .

(٢) سر [١٦٦] السبكى [٤/٤٥٢] . الجندى [٢/١٨٠] . الخطيب [٢/٢١٤] . موسى [٤٦] . ثلاث [١٧٤] . عائشة [٢٤٢] العمرى [١٧٤] .

(٣) سر [١٦٧] . ابن الأثير [١/٢٧٧] . حازم [٣٨٩] . السبكى [٤/٤٤٥] . الزركشى [١/٥٨] . معترك [١/٣٢] . الإتقان [٢/١١٢] . الجندى [٢/١٤٨،١٨١] . الخطيب [٢/٢١١] . ثلاث [١٧٥] . أبو زهرة [٢٩٨-٩] . البيومى [١٦٨] . زرزور [٢٥٦] . الحسناوى [١١٤] . وانظر العلوى [٣/٢٨] . الحكيم [١٠٦] .

(٤) سر [١٦٤] .

وقد اعترض السبكى على تصريح ابن سنان بعدم وجود مانع شرعى يحول دون تسمية الفواصل سجعا قائلا : نحن لا نوافقه على ذلك ، وليس الخفاجى بمن يرجع إليه فى الشرعيات(١) .

واستهل نصر اللّه بن محمد المعروف بابن الأثير «٥٥٨-٦٣٧/١١٦٣-١٢٣٩» الفصل الذى عقده للسجع بتعريفه بأنه تواطؤ الفواصل فى الكلام المنثور على حرف واحد(٢) .

ثم قال : وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة . ولا أرى لذلك وجها سوى عجزهم أن يأتوا به(٣) .

– لو كان مذموما ما ورد فى القرآن(٤) . فإنه قد أتى منه بالكثير(٥) . بل أكثره مسجوع(٦) .

– النهى فى الحديث لم يكن عن السجع نفسه ، وإنما عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع . وكذلك كان الكهنة كلهم ، فإنهم كانوا إذا سئلوا عن أمر جاءوا بالكلام مسجوعا (٧) .

---

(١) عروس [٤/٤٥٢] .

(٢) المثل [١/٢٧١] . القلقشندى [٢/٢٨٠] .

(٣) المثل [١/٢٧١] . الجندى [٢/١٢٤] . الخطيب [٢/٢٤] . ثلاث [١٧٥] . أبو زهرة [٢٩٩] . عائشة [٢٤٢-٣] .

(٤) المثل [١/٢٧١،٢٧٣] . وانظر البرهان [١/٦٠] . الإتقان [٢/١١٢-٣] . الجندى [٢/١١٩،١٧١،١٧٣] .

(٥) المثل [١/٢٧١] . الجندى [٢/١٦٩] . الخطيب [٢/٢١٤] . عرجون [١٧٨] . الآلوسى لمحسن [٢٤٩] . عائشة [٢٤٣] . وانظر صقر [٧٦-٧] . أسس [٦٠٠] . أبو زهرة [٣٠٠] .

(٦) المثل [١/٢٧٧] . العلوى [٣/٢٨] . الجندى [٢/١٦٩] .البيومى [١٧٠] . ستيوارت [١١] .

(٧) المثل [١/٢٧٤] . القلقشندى [٢/٢٨١-٢] أسس [٦٠١] . موسى [٤٧] . عائشة [٢٤٣-٤] . ستيوارت [٩] . وانظر الجندى [٢/١١٦-٧] .

ورفع من مكانة السجع غير المتكلف إلى عليين ، فذكر أنه فى غاية الحسن(١) ، وأنه أعلى درجات الكلام (٢) . وإذا تهيأ للكاتب أن يأتى به فى كتابته كلها فإنه يكون قد ملك رقاب الكلم ، يستعبد كرائمها ، ويستولد عقائمها (٣) . ورأى أن هذا مقام تزل عنه الأقدام ، ولا يستطيعه إلا الواحد من أرباب هذا الفن بعد الواحد . ومن أجل ذلك كان أربابه قليلين(٤) .

وأجاب عن التساؤل عن سبب عدم سجع القرآن كله بمايلى : ما منع أن يأتى القرآن كله مسجوعًا إلا أنه سلك به مسلك الإيجاز والاختصار . والسجع لا يواتى فى كل موضع من الكلام على حد الإيجاز والاختصار . فترك استعماله فى جميع القرآن لهذا السبب(٥) .

وهاهنا وجه آخر هو أقوى من الأول . فقد ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع . وإنما تضمن القرآن غير المسجوع ، لأن ورود غير المسجوع معجزا أبلغ فى باب الإعجاز من ورود المسجوع . ومن أجل ذلك تضمن القرآن القسمين جميعا (٦) .

ووصم د/ على الجندى كلام ابن الأثير بالمبالغة الواضحة (٧) . فلا يمكن وصف القرآن بأن أكثره مسجوع(٨) .

(١) المثل [٢٧٧/١] . وانظر العلوى [٢٢/٣] .

(٢) المثل [٢٧٧/١] . أسس [٦٠١] . ضيف [٣٢٧] . الحسناوى [٩٤] . وانظر العلوى [٣/٢٧-٨] . الجندى [١١٩/٢] .

(٣) المثل [٢٧٧/١] . الجندى [١٤٩/٢] . وانظر العلوى [٢٢/٣] .

(٤) المثل [٢٧٦/١] .

(٥) المثل[٢٧٧/١] . الجندى[١٧٠/٢] . موسى [٤٦-٧] . البيومى [١٧٠] . وانظر العلوى[٢٨/٣] .

(٦) المثل[١/٢٧٧-٨] . الجندى[١٧٠/٢] . موسى [٤٧] . البيومى [١٧٠] . وانظر العلوى[٢٨/٣] .

(٧) صور [١٧٠/٢] .

(٨) صور [١٧٠/٢] .

ولم يقره على هذا الاستدلال الغريب الذى أيد به رأيه . فمن الجرأة على القرآن أن يقال : إنه لولا مراعاة الإيجاز لأتى كله مسجوعا ، لأن السجع لا يساوقه الإيجاز دائما . فمن أين لابن الأثير الاطلاع على علم اللّٰه حتى يتحدث عنه حديث العارف بمقاصده العليا فى إيثار الترسل حينا قَصْدَ الإيجاز[1] .

والوجه الذى قال عنه : إنه أقوى من الأول ، وجه حائل قاتم . فمتى ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع ومن الذى قال ذلك[2] .

وأنكر عبد الحميد بن هبة اللّٰه المعروف بابن أبى الحديد «٥٨٦-٦٥٦/١١٩٠-١٢٥٨» على رافضى السجع اعتمادهم على أنه دليل التكلف ، وتحدث حديثا طيبا عن الصنعة الفنية ، فقال : فأما قولهم : إن السجع يدل على التكلف ، فإن المذموم هو التكلف الذى تظهر سماجته وثقله للسامعين . فأما التكلف المستحسن ، فأى عيب فيه ؟ ألا ترى أن الشعر نفسه لابد فيه من تكلف إقامة الوزن ؟ وليس لطاعن أن يطعن فيه بذلك[3] .

وفسر حازم بن محمد القرطاجنى «٦٠٨-٦٨٤/١٢١١-١٢٥٨» عدم سجع القرآن كله ، فذهب إلى أنه لم يجئ على أسلوب واحد ، وورد بعض آياته متماثلة المقاطع ، وبعضها غير متماثلة ، لأنه لا يحسن فى الكلام جميعا أن يكون مستمرا على نمط واحد ، لمافيه من التكلف ، ولما فى الطبع من الملل عليه ، ولأن الافتنان فى ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد[4] .

ونقل السيوطى عن على بن أبى الحزم المعروف بابن النفيس «٦٨٧/١٢٨٨» أنه قال : يكفى فى حسن السجع ورود القرآن به . ولا يقدح فى ذلك خلوه فى بعض الآيات ، لأن الحسن قد يقتضى المقام الانتقال إلى أحسن منه[5] .

(١) صور [١٧٠/٢] . (٢) صور [١٧١/٢] .
(٣) شرح [١٢٩/١] .
(٤) منهاج [٣٨٨-٩] . الزركشى [٦٠/١] . الإتقان [١١٣/٢] . الجندى [١٧١/٢] . زرزور [٢٥٧]
(٥) الإتقان [١١٢/٢] . الجندى [١١٩/٢، ١٧١] . الحسناوى [١١٤] .

وقصر محمد بن سليمان المعروف بابن النقيب «٦١١-٦٩٨/١٢١٤-١٢٩٨» السجع المنكر على ما قصد به إبطال حق أو تحقيق باطل(١) .

واختتم محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزوينى «٦٦٦-٧٣٩/١٢٦٨-١٣٣٨» ما أورده من أسجاع ، وتمثيله لكل نوع من أنواعها المحمودة بآيات من القرآن بالاكتفاء بتسجيل الموقف ، فقال : وقيل : إنه لا يقال فى القرآن أسجاع ، وإنما يقال فواصل(٢) .

وقال يحيى بن حمزة العلوى عن السجع : اعلم أن هذا النوع من علوم البلاغة كثير التدوار ، عظيم الاستعمال فى ألسنة البلغاء (٣) .

وأضاف إلى عوامل جوازه وحسنه :

امتلاء كلام على بن أبى طالب منه (٤) .

ونفى معرفته بأحد كره السجع قائلا : هذا شيء حكاه ابن الأثير ، ولم أعرف قائله، ولا وجدته فيما طالعت من كتب البلاغة (٥) .

وعلل كراهية الرسول صلى الله عليه وسلم لسجع الكهان بأن أكثر أخبارهم عن الأمور الكونية ، والأوهام الظنية ، على جهة السمع ،كما تراه يحكى عن شق وسطيح وغيرهما من الكهان(٦) .

ولم يكتف بذلك بل صرح بأن السجع لما كان من أرفع مراتب الكلام وأعلاها ، وأجلّ علوم البلاغة وأسناها ، اختص به التنزيل من بين سائر الأساليب البلاغية .

---

(١) مقدمة [٤٧٤] .

(٢) الإيضاح [٥٤٩] .

(٣) الطراز [٣/١٨] . الجندى [٢/١١٩] . عائشة [٢٤٦] .

(٤) الطراز [٣/١٩-٢٠] . الجندى [٢/١٧١] . عائشة [٢٤٦-٧] .

(٥) الطراز [٣/٢٠] . ثلاث [١٧٦] . عائشة [٢٤٧] .

(٦) الطراز [٣/٢٠] . عائشة [٢٤٧] .

فجاء بعضه مسجوعا ، وبعضه غير مسجوع[1] . فأما ما ورد من القرآن غير مسجوع فهو كثير ، لكنه بالإضافة إلى ماهو مسجوع منه قليل[2] .

ووصف د/ على الجندى العلوى بأنه لا يقل إغراقا عن ابن الأثير ، وليس ذلك بعجيب منه . فمن يقرأ كتابه الطراز بإمعان وتدبر ، يتبين مبلغ تأثره بابن الأثير[3] . وكثيرا ما ينتهب أفكاره دون أن يشير إليه[4] .

ورد سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى «٧١٢-٧٩٣/١٣١٢-١٣٩٠» على من نفوا السجع اعتمادا على أن القرآن من صفات اللّٰه فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها قائلا : فيه نظر ، إذ لم يقل أحد بتوقف هذا على إذن الشارع ، وإنما الكلام فى أسماء اللّٰه [5] .

وقال أحمد شوقى : السجع شعر العربية الثانى .. فإنما يوضع السجع النابغ فيما يصلح مواضع للشعر الرصين : من حكمة تخترع ، أو مثل يضرب ، أو وصف يساق . وربما وُشِّيت به الطوال من رسائل الأدب الخالص ، ورُصِّعت به القصار من فقر البيان المحض . وقد ظلم العربية رجالٌ قبحوا السجع ، وعدوه عيبا فيها ، وخلطوا الجميل المتفرد بالقبيح المرذول منه .

فيا نشء العربية : إن لغتكم السرية مثرية . ولن يضيرها عائب ينكر حلاوة الفواصل فى الكتاب الكريم ، ولا سجع الحمام فى الحديث الشريف ، ولا كل مأثور خالد من كلام السلف الصالح[6] .

---

(١) الطراز [٢٨/٣] . ابن النقيب [٤٧٤] . من بلاغة [٢٤٨] . الجندى [١١٩/٢] .
(٢) الطراز [٢٩/٣] .
(٣) صور [١٧١/٢] .
(٤) صور [١٧١/٢] .
(٥) [٤٥١/٤] . الجندى [١٧٣/٢] . الحسناوى [١١٧] .
(٦) أسواق [١٠٩] . مخلوف [٤٣٧] .

وصرح د/ إبراهيم أنيس : أما من ناحية الموسيقا وتردد القوافى فلا ضير ولا غضاضة من أن نصف القرآن بها . فقد نزل القرآن بلسان عربى مبين ، لسان موسيقى تستمتع الأسماع بلفظ كلماته ، وتخضع مقاطعه فى تواليها لنظام خاص يراعيه الناظم مراعاة دقيقة ، ويعمد إليه عمدا .

فالنثر حين يرسَل إرسالا ، ولا ينظر إلى حسن موسيقاه ، يبعد فى توالى مقاطعه ونظامها عن ذلك الذى نعهده فى الشعر . فإذا عنى المرء بموسيقاه مالت مقاطعه فى تواليها إلى نظام الشعر ، وكثرت فيه المقاطع التى تتردد بعينها ، والتى قد تسمى قوافى .

فليس يعيب القرآن أن نحكم على أن فى ألفاظه موسيقا كموسيقا الشعر ، وقوافى كقوا فى الشعر أوالسجع ، بل تلك ناحية من نواحى الجمال فيه . وليس يعيب القرآن أن نقول إن تردد مقاطع بعينها فى قوله : ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأعراف] قد جعل موسى يذكر قبل هارون ، فى حين أنه فى قوله : ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا ، قالوا : ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[1] [طه : ٧٠] قدم هارون .

وعلل إنكار من أنكر السجع من القدماء بأنهم أرادوا أن يسموا بأدب القرآن على آداب العرب وآثارهم ، ظنا منهم أن وصف القرآن بأنه نزل على نهج كلام العرب ينقص من قدره ، ويتنافى مع إعجازه . وفى الحق إن وصف القرآن بأنه من نوع كلامهم ، وهو - معجز لهم - يسمو بأدب القرآن إلى الذروة ، ويجعل إعجازه وتحديه لفصحاء العرب ذا مغزى سام جليل ، يجب أن نحرص عليه وأن نستمسك به . وهذا خير من وصفه ذلك الوصف المبهم الغامض الذى يسمونه أحيانا بالفواصل ، وبأنه كلام خارج عن كل مناهج الكلام والأدب عند العرب[2] .

---

(١) موسيقا [٣٢٨-٩] . الحسناوى [٧١] . (٢) موسيقا [٣٢٤] . الحسناوى [١١٦] . وانظر الجندى [١٧٧/٢-٨] . عرجون [١٧٧-٨] . مخلوف [٨٠٥] . زرزور [٢٥٤] .

واستهل د/ على الجندى كتابه عن السجع بتعريفه تعريفا واسعا ، قال فيه : تواطؤ الفواصل فى حرف الروى ، أو فى الوزن ، أو فى مجموعهما [١] .

وقسم العلماء إزاء وجود السجع فى القرآن قسمين :

- من يقولون بوجود السجع .
- من يسمون ما فيه فواصل .
- ثم قسم الفئة الأخيرة قسمين :
- من لا ينفى الأسجاع أصالة عن القرآن ، ولكن تمسكا بظاهرالآيات ، فاللّٰه قد سماها فواصل ، وليس لنا أن نتجاوز ذلك . فالفواصل القرآنية عندهم إذن تقابل الأسجاع فى كلام الناس .
- من ينفى السجع أصالة عن القرآن ، ويسمى ما جاء فيه من ذلك : فواصل . ويرجع هذا إلى سبب بلاغى ، كما فعل الرمانى والأشاعرة [٢] .

ومال إلى أن السر فى احتراب العلماء تدخُّل علم الكلام فيما ليس يعنيه من فنون بلاغية أدبية تخضع لحكم الذوق وحده ، وتبعد بطبيعتها عن قواعد المنطق والفلسفة والنظريات العقلية [٣] .

وبسبب هذا التدخل انقسم الناس إلى مدرستين :

- المدرسة الأدبية التى لا تتحرج - فى الأعم الأغلب - من إطلاق اسم السجع على الفواصل القرآنية .
- والمدرسة الكلامية التى من أهم مقاصدها تنزيه التنزيل عن السجع ، بتلمس الأدلة العقلية وتصيدها ، فى مقام لا يغنى فيه الجدل العقلى[٤] .

---

(١) صور [٣٢/١] . مخلوف [٧٣٢،٨٠٨] .

(٢) صور [١٧٣/٢-٤] . الحسناوى [١٠٢-٣] .

(٣) صور [١٦٦/٢] . وانظر عرجون [١٧٦،١٧٨] . مخلوف [٨٠٥-٦] .

(٤) صور [١٦٩/٢] . وانظر عرجون [١٧٨] . مخلوف [٨٠٥-٦] .

واعترض د/ الجندى على تساؤل ابن سنان عن أسباب عدم سجع القرآن كله قائلا: أنا أميل إلى مخالفة الخفاجي فى إيراد هذا السؤال ، لأنه لا يصح أن يقال : هلا ورد القرآن كله مسجوعا ؟ وما وجه ورود بعضه مسجوعا وبعضه غير مسجوع ؟

إن مقاصد البلاغة العليا تستهجن هذا السؤال . ولو أن إنسانا سأل أديبا مطبوعا : لم يأتى بعض كلامك مسجوعا دون بعض ؟ لكان سؤاله خُلْفا من الأسئلة ، ولما استحق الجواب .

إنه يسجع حينا ويترسل حينا ، تبعا لمقتضيات الأحوال ، ومطاوعة لهذا الموجه الباطنى الذى يحدد مواقعها بالدقة . وإذا كان هذا ملحوظا فى كلام الناس ، فكيف بكلام رب الناس ؟

وفرق بين أن يكون القرآن من جنس كلام العرب وبين أن يكون محكوما بهذا السجع مقلدا له ، حتى لو لم يسجع لكان مخلا بشرط من شروط الفصاحة ، لأن فصحاء العرب كانوا يسجعون ، كما يرى الخفاجى[1] .

ومع ذلك ، كان د/ الجندى من المعجبين بابن سنان فقد رأى أنه أخذ قول الرمانى على ظاهره ، ففنده بكلام طويل دقيق[2] ، وأنه بسط رأيه بسطا شافيا كافيا ، فى دقة ووضوح ، بعيدا عن منطق المتكلمين الجدلى وفلسفتهم العقلية . وفى أدلته لمحات فنية ، تحمل على ومضاتها الهادئة أسباب التسليم والاقتناع[3] .

كذلك ناقش الباقلانى ، وفند حججه . فعلق على ذهابه إلى أن إثبات السجع فى القرآن تأييد لمذهب القائلين بالصرفة ، قائلا : إنه هو لا يرى صلة بينهما [4] .

---

(١) صور [٢/١٨١] .

(٢) صور [٢/١١٤] .

(٣) صور [٢/١٨١] .

(٤) صور [٢/١٧٨] . وانظر صقر [٧٦] . عائشة [٢٣٩] . الحسناوى [١١٦] .

وعلق على ذهابه إلى أنه قد يتفق فى الشعر كلام متزن على منهاج السجع وليس بسجع عندهم ، فقال : لا يخلو هذا الاعتراض من الوجاهة . ولكن يصح رده بأن الشعر – وإن كان لا يسمى سجعا فى الاصطلاح – إلا أن الأدباء كثيرا ما يصفونه بسجع الحمامة ، ويشبهون الشعراء بالحمام وغيره من الطيور المغردة (١) .

ثم أطلق على عامة أقواله الأحكام التالية :

– أكثرها نوع من الجدل الكلامى ، أتعب فيه نفسه غاية التعب ، دون أن يكون من ورائه إفحام للخصم المكابر ، ولا مقنع لسليم الصدر الذى يريدالوصول إلى الحقيقة (٢) .

– ليس فى هذه الأدلة – على طولها – ما يمس جوهر البلاغة غير ما كتبه فى علة تقديم موسى على هارون تارة وتأخيره عنه أخرى . ففيما أورده نفحة عطرة من البيان الخالص(٣) .

وكان ختام ما قال عن الباقلانى : هذا ما قدمه من أدلة على نفى السجع عن القرآن . ولا خلاف أنها غير كفاء لما عرف به هذا الإمام من ألمعية وعمق وتبحر(٤) .

ونقد ابن خلدون بأنه كان ينتظر منه – وقد عرف بحرية الفكر ، وثقوب الذهن ، واتساع الأفق – غير الرأى الذى توسط فيه ، وخيل له أنه تأثر بالباقلانى بحكم تفقههما بمذهب واحد ، هو مذهب الإمام مالك(٥) .

وأتى بعدة أقوال تناقش كراهية النبى صلى الله عليه وسلم للسجع . فنقل عن الرقاشى : لو أن هذا المتكلم – يعنى المسجِّع فى حضرة الرسول – لم يرد إلا إقامة لهذا الوزن لما كان عليه بأس ، ولكنه عسى أن يكون أراد إبطالا لحق ، فتشادق فى كلامه(٦) ؛ وعن غير الرقاشى : السجع والمزدوج دون القصيد والرجز ، فكيف

(١) صور [٢٥/١] .

(٢) صور [١٧٧/٢] . وانظر العمرى [١٧٢] .

(٣) نفسه .

(٤) صور [١٧٩/٢] .

(٥) صور [١٧٥/٢] .

(٦) صور [١١٦/٢] . وانظر صقر [٧٥] .

يحل ما هو أكثر ويحرم ما هو أقل[1] ؛ وعن قدامة أن سبب الإنكار أن الرجل أتى بكلامه مسجوعا كله ، وتكلف فيه السجع تكلف الكهان[2] .

ونقل عن قدامة أيضًا : من أوصاف البلاغة السجع فى موضعه وعند سماح القريحة به ، وأن يكون فى بعض الكلام لا جميعه[3] .

ثم عبر عن رأيه الشخصى ، فأعلن أن السجع حلية فطرية [4] ، وأن آخر السجعة والقافية أشرف عندهم من أولها [5] ، والعناية بها أمسّ ، والحَشْد عليها أوفَى وأتم[6] .

ولذلك علق على ما رواه الباقلانى من أقوال المؤيدين معجبا : هذا كلام يتصل بصميم البلاغة وسر البيان ، وينبئ عن سداد وصواب . وكأنهم يقولون : إن فى كلام العرب سجعا ، وإن فى القرآن سجعا . وفى ذلك مجال واسع للقياس والموازنة ، ومظهر واضح للتحدى . فمن شاء أن يعارض سجعا بسجع فليفعل ؛ وما هو بمستطيع . وهنا تقوم الحجة الشهباء ، وينهض الدليل القاطع ، على أن هذا الكلام المسجوع ليس من صنعة المخلوقين[7] .

وذكر أن عدد السجعات فى الكتاب العزيز نحو مئتين وستة آلاف سجعة [8] .

ولاحظ اختلاف الآيات المكية عن المدنية فى الأسلوب ، وبخاصة السجع . قال : لما كانت السور المكية نزلت فى بدء الدعوة ، لمناهضة جماعة مشركين متعصبين لأديانهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وفى أخلاقهم شدة وجفوة ، وفى نفوسهم نخوة

---

(١) صور [١١٧/٢] .

(٢) صور [١١٧/٢] .

(٣) صور [١٢٣/١] .

(٤) صور [٥/١] .

(٥) صور [١٢/١] .

(٦) صور [١٢/١] .

(٧) صور [١٧٢/٢] .

(٨) صور [١٨٢/٢] .

وكبر ، وفى ألسنتهم خصومة ولدد ، اتجهت فى خطابهم إلى الوجدانات والمشاعر ، تلح عليها بالزجر والتسفيه ، والوعيد والتهديد .. فى أسلوب شديد الأسر حاد قوى ، يختم بالسجعات الرنانة المدوية القصيرة .

وليس معنى ذلك أن السور المدنية تخلو من السجع . ولكن الغالب عليها الاسترسال والهدوء وطول النفس ، لأنها تخاطب عقول قوم آمنوا بها واطمأنوا إلى هدايتها . فهى مسوقة لتقرير العبادات ، وبيان الأحكام ، وسن القوانين ، وتنظيم المجتمع ، وتهذيب الطبائع والأخلاق . فإن لم تنته بالسجعات انتهت بفواصل متقاربة فى حروف الروى[(١)] .

واتفق معه فى رأيه عن الباقلانى السيد أحمد صقر الذى وصف فصل الباقلانى فى نفى السجع بأنه أخف فصول الكتاب وزنا ، وأقلها قدرا ، وأحفلها بالخطأ البين فى أصل الفكرة ، وفى كيفية نصرتها ، والدفاع عنها ، والرد على مخالفيها . ومردّ ذلك إلى أنه اندفع بدافع المناصرة لمذهب الأشاعرة الذى كان يدين به [(٢)] .

ثم أفصح عن رأيه الشخصى فقال : كيف يكون السجع المحمود من أمارات الفصاحة المعدودة التى يقصد إليها أعلام البلغاء فى بعض كلامهم لتوشيته وتحسينه بعقد المناسبة بين ألفاظه ، ثم نجرد القرآن منه ، وننفيه عنه بزعمنا ، مع ادعائنا أنه قد اشتمل على أنواع البلاغة والفصاحة كلها [(٣)] .

ولئن قال الباقلانى : إن السجع عيب يجب نفيه عن القرآن ، فإنى أقول إن السجع من الميزات البلاغية التى يجدر بنا أن ننزه القرآن عن خلوه منها [(٤)] .

---

(١) صور [١٨٢/٢] . وانظر عرجون [١٧٥] .

(٢) مقدمة الإعجاز [٧٤] .

(٣) مقدمة الإعجاز [٧٧] . وانظر الحكيم [١٠٥] .

(٤) مقدمة الإعجاز [٧٧] . السلامى [٢٢٨] . وهو تصرف فى قول ابن سنان .

وعرض محمد الصادق عرجون الأمر على شكل عدة تساؤلات محددة ، ليتيسر الجواب الدقيق الواضح . فأعلن : القضية التى يجب أن يدور حولها البحث هى : هل فى القرآن سجع - أى جمل متوازنة لها فواصل من غير وزن كوزن الشعر ؟

وليست القضية أن القرآن كله سجع أو غير سجع . ولم يقل أحد مطلقا بأن القرآن كله سجع . ولا يعقل أن يقوله عاقل ، بله عالما أديبا .

وجود السجع فى بعض سور القرآن وآياته لا يدخله فى أساليب كلام البشر دخولا يستوى به معها ، حتى يخرجه عن الإعجاز . ومن الذى زعم أن أسلوب السجع كله متحد فى درجته البيانية ومرتبته البلاغية ؟ وإذا تفاوت السجع فى كلام البشر ، فما الذى يمنع أن يكون السجع الذى جاء فى القرآن بلغ فى البراعة البيانية درجة يعجز عنها البلغاء ، وقد كان جنسه فى مقدورهم . وهذا موقف القرآن من سائر أنواع الكلام وأساليب البيان .فجنسه كلام مؤلف من ألفاظ عربية كأى كلام عربى ، ولكنه سما إلى الذروة البلاغية بطبيعته الخاصة فى الأداء ، وبعلو طبقته فى براعة البيان . وهذا أبلغ فى تحقيق الإعجاز[1] .

ونشر د/ عبد الرءوف مخلوف ثلاث مقالات فى الجزءالثامن من السنة الثامنة والثلاثين ، والجزءين الثالث والخامس من السنة التاسعة والثلاثين ، عقدها كلها على مجادلة الباقلانى .

فأعلن أنه وشيخه الأشعرى وأصحابه كانوا من علماء الكلام والجدل ، وليسوا من البلاغة وفنية الكلام فى كثير ، وقضية السجع قضية النقد والبلاغة ورجالهما . وعلى هذا يكون الاحتجاج برأيهم فيها احتجاجا برأى غير خبير[2] .

---

(١) القرآن [١٧٧-٨] . وانظر مجلة الأزهر [٨٠٥] . زرزور [٢٥٤] .

(٢) مجلة الأزهر [٨٠٥-٦] .

وصرح : حين نستمع إلى القرآن أو ندرسه ونستعرض آياته وسوره ، ونقف عند ما نعده سجعا ، فإنا نراه لا يتقيد بالطول ولا بالقصر فى الفقر والآيات ، ولا يلتزم جرسا بعينه ، ولا صوتا بذاته ، وإنما يقود المعنى فيه ، والتوافق الفنى فى نظمه ، إلى أجمل مايمكن أن يتصور ، وأكثره إمتاعا للنفس والحس ، بما يجىء فى رأس الآية من صوت ، قد يتلوه شبيه إذا استدعى المعنى . وبذلك يتم مع جمال الفكرة حلاوة التوقيع ، فيكون للأذن ما للقلب من أطراف الحسن نصيب .

وإذا كان المعنى هو ما يستهدفه القرآن ، فإنه لا يهمل الجَرْس ، إذ من هذين يكون الانسجام بين الفكرة واللفظ المعبر عنها . وكل كلام إنما هو سلسلة من الانسجامات تتتابع فى النثر على غير نظام دقيق كالذى نجده فى الشعر[1] .

وهكذا يتأكد أن القرآن ينأى بأسلوبه عن السجع ، حين تكون هناك مظنة تحيُّف الدلالة أو انتقاص المعانى ، أو حين لا يساعد الموقف والسياق الفنى على تحقيق هذا النمط من قوالب اللغة . وفى الوقت ذاته يتأكد أيضًا أنه يلجأ إلى الأسجاع ، ويعمد إليها عمدا ، ويقصدها قصدا ، حتى ليترك مألوف الاستعمالات اللغوية وكثيرها إلى نادرها ، [ويعدل عن الأشهر إلى المشهور ، وعن الكثير فى الاستعمال إلى القليل وإلى النادر] . ليتحقق بذلك الصنيع التناغم الصوتى المتماثل فى رؤوس الآى . ويكون من وراء ذلك كله إضافة عنصر من عناصر الفن اللغوى إلى ما تضمنه النص من الدلالة[2] .

ولعل قائلا يقول : وهل الآيات التى تخلو من السجع تفقد عنصر جمال ؟ وجوابنا أنْ لا . فعناصر الجمال فى اللغة متعددة متباينة ، لا تنحصر فى السجع .

وحين لا يرد ذلك العنصر فى قطعة لغوية ، فإنه يمكن أن تكون أيضًا جميلة وفنية ، لتضمنها عناصر أخرى تضفى عليها من أسباب الجمال مثل الذى يضفيه السجع وزيادة [3] .

---

(١) نفسها [٨٠٩] .   (٢) نفسها [٤٣٦] .   (٣) نفسها [٤٣٦] .

بقيت كلمة أخيرة لابد منها ، تلك أن القرآن نزل فى أمة أمية تسمع أكثر مما تكتب . فلم يكن غريبا أن يهتم نص كتابها بالصورة الصوتية المسموعة . فيأتى وفيه من الأسجاع ذلك القدر الكثير ، الذى يتلى عليهم ويرتل ترتيلا ، يسمعون فيه ذلك النمط من الموسيقا التى لا عهد لهم بها ، على أنهم أمة الشعر والموسيقا [1] .

وعنى د/ عبد الرءوف مخلوف فى مجادلة الباقلانى عناية شديدة بتعريفه للسجع . فقال عن اشتراطه التماثل فى الوزن والروى ومتى لم يتحقق ذلك فإنه لا يعد الكلام مسجعا ، قال : الذى حمله على تضييق ما وسّعته اللغة وارتضاه الجمهور فى الأسجاع أنه اعتنق أولا فكرة نفى السجع عن القرآن . فإذا هو يضيق دائرته حتى لا يكون منه فيه ، وما صدق عليه تعريفه إياه - وهو قليل - يخرج هو الآخر بأنه جاء غير مقصود إليه ، مثل كلمات اتزنت بأوزان الشعر فى القرآن ، فإنه لا يقال فيها من أجل الوزن : إنها شعر .

لكنا نرد على الباقلانى مذهبه ونقول بأن فى القرآن سجعا -على اصطلاح النقاد والبلاغيين - والسجع أوسع بابا وتصرفا ، وأكثر صورا وقوالب ، وليس محصورا فى تمام التماثل ، وكمال التناظر فى الوزن والجرس . وقدعرفه جمهرة النقاد بما يتسع لما جاء فى القرآن من صوره وأفانينه . واستخلص على الجندى أنه « تواطؤ الفواصل فى حرف الروى أو فى الوزن أو فى مجموعهما » . وهذا التعريف يسمح بدخول جميع الصور التى تتفق بالوزن دون الروى ، أو بالروى دون الوزن ، أو بهما معا ، تحت باب السجع [2] .

فإذا استقر فى الأذهان أن السجع يمكن أن يتفاوت فى الوزن والروى والمساحة ، ولا يخرج بذلك عن بابه ، يمكن أن يرد ما ذهب إليه الباقلانى من أن السجع له

(١) نفسها [٤٣٨] . الحسناوى [١٧٧] .

(٢) نفسها [٨٠٧-٨] .

منهج مرتب محفوظ ، متى أخلّ به المتكلم وقع الخلل فى كلامه ، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة ، كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المقصود كان مخطئا ، وكان شعره مرذولا ، وربما أخرجه عن كونه شعرا . وشتان بين منهج السجع وطريق الشعر .

وإذا كان السجع مقيدا بالتماثل ، فإن التماثل فيه غير مشروط بالتكامل ، ولا ملتزم فيه التمام . وإنما يكتفى من ذلك كله بالتقريب . ومن ثم جاء السجع فى القرآن ، ولم تلتزم فيه وحدة المساحة الصوتية . ولو أنها التزمت لخرج الكلام من باب الأسجاع إلى تفاعيل الشعر . وعلى ذلك جاءت الآيات والفواصل طويلة وقصيرة ، متقاربة ومتباعدة، متشابهة ومتخالفة . وفى جميع ذلك لا تحس تكلفا ولا تصنعا .

ثم هذا التخلف بالوزن وبالمقطع والجرس فى رؤوس الفقر والفواصل ليس خللا ولا اضطرابا ، وإنما هو سر الجمال . ذلك أن التنقل بالقارئ بين ضرب وضرب ، ووزن ووزن ، ونغم ونغم ، وهيئة موسيقية وأخرى ، ذلك مما يكسب الأسلوب طرافة ، ويضفى عليه جدة مستمرة ،وحداثة تجعله لا يخلق على كثرة الترداد[1] .

وإذا كان الشعر يختلف بتفاعيله ، لتوافق أوزانُه الحالةَ الانفعالية عند الشاعر ، فيأتى بنظمه فى صور لا حصر لها ، هى ما نسميه البحور بعروضها وأضربها المتعددة بتعدد ما يداخلها من زحاف وعلل ، ومع ذلك يقبله الباقلانى ، فما له لا يقبل الأسجاع إذا تغايرت مساحتها ومقاطعها وأوزانها ؟ وماله يأبى إلا أن تكون على وتيرة واحدة متى أخل بها المتكلم وقع الخلل فى كلامه [2] ؟

(١) نفسه [٨٠٩] . وانظرعائشة [٢٣٨] . زرزور [٢٥٦] . العمرى [١٧٢] .
(٢) نفسه [٢٦٢-٣] . وانظر البيومى [١٦٠] .

هذا إلى أن قياسه السجع على الشعر فى حتمية التوازى والتساوى بين الفقر والجمل قياس باطل ، لأن الشعر باب غير التسجيع ، باب له رسومه وتقاليده المنضبطة والملتزمة ، والسجع ليس كذلك . وحتى الشعر ذاته - على تمام انضباطه ، ووضع المقاييس والأوزان له - تجد باب الحرية فيه مفتوحا للتخلى عن ذلك التمام والانضباط . فالشاعر حر فى اختيار ما يشاء من البحور المختلفة بالوزن اختلافا يسع جميع الأشكال التى تلائم الحالات الانفعالية التى يلابسها الشاعر أو تلابسه [1] .

وتناول د/ مخلوف عددا من أدلة الباقلانى بالتفنيد فقال :

- أما القول بأنه لو كان فى القرآن سجع لكان جاريا على غرار كلام العرب ... فإنا لانرى مانعا يمنع أن يكون القرآن كذلك ، بل هو فى واقع الأمر كذلك . واستشهد بقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾[2] [إبراهيم : ٤] ، وقوله يصف القرآن : ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[3] [النحل : ١٠٣] .

وأرجع إعجازه إلى فوته سائر كلامهم فى نظمه وتأليفه ، مراعيا مناسبة اللفظة - من جميع الاعتبارات الفنية - للمعنى . وليس إعجازه من جهة المخالفة فى الجنس ، لأن مخالفة الكلام فى الجنس لا تضفى عليه فنية ، ولا تكسبه صفة البلاغة لذاتها ، فضلا عن أن تبلغ به حد الإعجاز[4] .

- وأما القول : إنه لو كان سجعا لصح أن يقال فيه : هو سجع معجز ؛ فإنا لا نرى مانعا يمنع من ذلك ، ما دامت قد تحققت فيه صفة الإعجاز[5] .

- وعاب تفسير الباقلانى للتقديم والتأخير فى آيات موسى وهارون ، ووصفه بأنه ذهاب عن الحق ، إذ أى إعجاز فى أن يقال مرة : موسى وهارون ، ومرة أخرى :

(١) نفسه [٢٦٤] . وانظر البيومى [١٦٢-٤] . زرزور [٢٥٤] .

(٢) وانظر البيومى [١٦٠] .

(٣) مجلة الأزهر [٨٠٥] . وانظر البيومى [١٦٠].

(٤) مجلة الأزهر [٨٠٥] .

(٥) نفسها [٨٠٥-٦] . الحسناوى [١١٦] . وانظر زرزور [٢٥٤] .

هارون وموسى ، ما لم يكن وراء ذلك تحقيق لغاية أو اعتبار لمعنى ، أو تجميل لصورة ؟ أما المعنى فإنه لا يتغير بتقديم أحد المتعاطفين أو تأخيره ، إذا كان العطف بحرف الواو التى يتساوى معها المتقدم والمتأخر . ولا يبقى والأمر كذلك إلا أن يكون التخالف فى التعبيرين لتحقيق السجع ، الذى هو تحقيق لموقع المقطع فى السمع ، ومجيئه متحدا متوافقا مع ما قبله وما بعده ، غير ناشز ، ولاكز ، ولا خارج عن سياق المقاطع جملة [1] .

وكون الكهان تكلفوا السجع لما أرادوا التمويه والتأثير على من يقصدونهم ، فأخضعوا المعانى للألفاظ ، واقتسروا الألفاظ للمعانى لا ينال من السجع إذا جاء على النسق الأصح ، وجاءت فيه الألفاظ لما استدعتها المعانى ، محققة – مع ذلك – ضربا من الموسيقا يزيد التأثير ، فيبلغ الكلام بإجماع الطرفين غايته من البلاغة ، حتى ليرقى إلى حد الإعجاز كما فى القرآن[2] .

– ويبلغ مذهبه غاية التهافت حين يقول : قد يكون الكلام على مثال السجع ، وإن لم يكن سجعا [3] .

وقال أحمد إبراهيم موسى : الذى نراه مطمئنين إليه هو ما يراه المجيزون باحتياطاتهم ، ولا نرى مانعا من إطلاق اسم السجع على ما فى القرآن من فواصل ، ونرى أن النهى فى الحديث منصب على سجع الكهان ، لأنهم يقصدون إليه قصدا مصرين عامدين ، لأنه يخامر العقول ، ويخدر الأعصاب ، ويؤثر فى النفوس تأثير السحر ، ويلعب بالأفهام لعب الريح بالهشيم ، لما يحدثه من النغمة المؤثرة ، والموسيقا القوية ، التى تطرب لها الأذن ، وتهش النفس . فيغفل العقل عن تمييز الصحيح من الزائف ، ويلهو الفكر عن تمحيص الحق من الباطل[4] .

(١) نفسها [٢٦٥] .
(٢) نفسها [٨٠٧] .
(٣) نفسها [٤٣٧] .
(٤) الصبغ [٤٨-٩] .

وذهب محمد أبو زهرة إلى أن الرمانى متأثر بسجع الكهان الذى قصد به اتحاد الحروف من غير نظر إلى المعنى ، ومن غير أن تكون المعانى فى ذاتها ذات قيمة ، بل لايقصدون إلا إلى رص الكلمات متحرين اتحاد المقاطع[1] .

وأرى أنا أن هذا الحكم من أبى زهرة غير صائب ، وأن الكهان كانوا يرهقون أنفسهم من أجل المعانى التى يضمنونها أقوالهم أكثر من غيرهم ، لأنهم كانوا يبحثون عن معان تكون من الغموض بحيث يفهم منها كل مستمع ما يشاء .

وصرح د/ محمد رجب البيومى بأن السجع المطبوع - فى البيان العربى كافة - ليس حلية لفظية تقف عند الشكل وحده . ولو كان كذلك ما استطاع أن يتخطى العصور القديمة ، من أبعد عهود العربية إلى عصور الثقافة المترفة ، محتفظا بطابعه الآسر ، وبأنصاره الملهمين ، وقرائه المتذوقين . ولكنه - فى خالص أمره - عمل أدبى وجدانى ، يكون صدى لأحاسيس حية ، يزيد فى تجليتها ، ويترجم عنها ترجمة ذات إيحاء وتأثير[2] . وبعض القارئين - والدارسين أيضًا - يظنون السجع المطبوع مقصورا على الألوان العاطفية وحدها ، بحيث لا يحسن الترجمة لدى الحجاج العقلى ، والنقاش النظرى .. ومن هنا جلّ القرآن - فى رأيهم - عن السجع ، لأن ميدانه ميدان النقاش المفحم والحِجاج الملجم . وذلك مما يخالف الحق ، لأن السجع المطبوع يقنع ويستميل : يقنع بالمنطق الجاد ، والرأى النافذ ، والحجاج الناصع ؛ ويستميل بالتصوير الجيد ، والملاءمة المنسقة ، والإيقاع المؤثر[3] .

ثم أخذ فى تفنيد أقوال الباقلانى ،بصفته أوفى من أفاض فى نفى السجع من القرآن ، فقال :

---

(١) المعجزة [٢٩٢] .

(٢) البيان [١٥٣-٤] . وانظر زرزور [٢٥٢] .

(٣) نفسه [١٥٥] .

- إذا كان السجع مما ألفه الكهان ، فذلك لا يمنع أن تأتى بعض الآيات مسجوعة دون اشتباه بينها وبين سجع الكهان ، لأن السجع الجاهلى لم يكن حجرا محجورا على الكهنة حتى يُلحق به كل سجع يقال . إنما تداوله الخطباء والمتنافرون والمتحدثون تداولا لا يشتبه فى شيء بما تنطق به الكهان من سجعات[١] .

- أما قول أبى بكر : قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعا ، فمحاولة لتعريف السجع تعريفا لا ينطبق على واقعه ، إذ أراد أن يجعل السجع موقوفا على كل فاصلة يتبع فيها المعنى اللفظ . وما أظن أديبا يقدر سجعا ملفقا من هذا النوع ، إذ هو متكلف ، لا يفصح عن قدرة ما ، وفى استطاعة كل قائل أن يأتى به . فكأن الباقلانى قد اعترف بمفهوم السجع القرآنى دون أن يعترف باسمه فقط . وهنا يكون الخلاف لفظيا لاحقيقيا [٢] .

- القول بأن العرب لو علموا أنهم يُتحدَّون بالسجع لاندفعوا إلى معارضته بما لا يتعذر عليهم ، هذا القول ينبئ بأن تأليف الكلام على طريقة السجع القرآنى فى مُكنة من يقدر على السجع فى خطبه ومنافراته . فما عليه إلا أن يؤلف بين الكلمات المتشابهة الأواخر ليبلغ مبلغه من المعارضة ! ولكن الحقيقة أن العرب يعلمون أن فى القرآن ما هو مسجوع العبارة ، وأنهم مهما حاولوا معارضة هذه الأسجاع ، لن يبلغوا بعض ما يريدون ، لأن المسألة ليست هى المعرفة لصفة الكلام ، فما أسهل أن يتحقق ذلك ولكن المسألة مسألة المحاكاة والمعارضة [٣] .

أما تحيرهم فى وصف القرآن بين السحر والشعر ، فليس لأنهم لم يفطنوا إلى أسجاعه البليغة ، ولكن شدة تأثيره النفسى قد قذفت بهم فى حيرة ،جعلتهم يمسكون بأذيال الكلمات متحيرين ، دون أن يهتدوا إلى ما يريدون من شغب وتضليل[٤] .

(١) نفسه [١٦٠-١] . وانظر زرزور [٢٥٤-٥] . العمرى [١٧٢] .
(٢) نفسه [١٦١-٢] . وانظر زرزور [٢٥٥] .
(٣) نفسه [١٦٥] .
(٤) نفسه [١٦٥-٦] .

وإذا كانوا قد ألفوا السجع ، فقد ألفوا الكلام المرسل أيضًا ، وعجزوا عن محاكاة هذين اللونين معا من فنون القول . فلماذا يكون الإلمام بحقيقة السجع وحده ، مما يسهل طريق المعارضة ، فى منطق الإمام الجليل[1] .

وعقب على جواب ابن سنان عن أسباب عدم سجع القرآن كله ، قائلا : هذا الرد لا يشفى كثيرا من ريب معترضة ، لأن القول بأن العرب قد ألفت المسجوع وغير المسجوع فى كلامها ، فجاء القرآن ليوافق بذلك طبقتها العالية فى القول ؛ هذا القول موجز يبلغ بصاحبه مبلغ الضيق ، والأَولى أن نعمل على تفصيله بما يوضح غامضه . ثم فَصَّله [2] .

ثم عقب على جواب ابن الأثير عن السؤال نفسه : هذا الرد متشابه الخطأ أولا وأخيرا ، إذ إن القرآن لم يترك السجع فى بعض آياته لسلوكه مسلك الإيجاز والاختصار، لأن الإيجاز لايمنع السجع بحال ، وما عرف الإيجاز فى كلام العرب بأبلغ مما عرف فى كلمات قصار مسجوعة هى ما يسمى الحكم والأمثال . وأما رده القائل بأن المسجوع أبلغ من غيره ، وقد ترك القرآن السجع ليكون فى غير المسجوع معجزا كعهده بالمسجوع ؛ فهو إغراق فى تقدير السجع نعهده فى أمثال ابن الأثير ممن فتنوا به أكبر افتتان . وكان عليهم أن يعلموا أن السجع فى موضعه جميل ، والترسل فى مكانه جميل[3] .

وعاب د/ محمد حسن شرشر الرمانى لأنه قصر السجع على النوع الثقيل المستكره . ومن ثم لم يسم ما جاء على أسلوبه فى القرآن سجعا ، وإنما سماه فاصلة . وفى كلام الرمانى نظر ، لأن السجع الحسن هو ما تطلبه المعنى ، واستدعاه المقام[4] .

---

(١) نفسه [١٦٦] .

(٢) نفسه [١٦٨-٧٠] .

(٣) نفسه [١٧٠-١] .

(٤) دراسات [٦٤] .

وأضاف عمر السلامي للتدليل على عدم كراهة الرسول صلى الله عليه وسلم للسجع مطلقا وإنما لسجع الكهان خاصة رواية الأزهرى للحديث ، ونصها : إياكم وسجع الكهان . وذكر جماعة ممن أكدوا وجود السجع فى القرآن قديما وحديثا [١] .

وناقش د/ عدنان زرزور الباقلانى كما يلى :

– القرآن عند الباقلانى قد خرج عن الأساليب العربية المعهودة وسبق إلى أسلوب جديد . ولو كان الأمر كذلك لصح الإعجاز فى أول شاعر ، وأول خطيب[٢] .

ووصف الخلاف بين المؤيدين للسجع والرافضين بأنه لفظى أو شكلى بحت[٣] .

وكشف عن رأيه الخاص حين قال : ورد من السجع فى القرآن أجمله وأدقه وأكمله [٤] .

وقال محمد بن سعد الدبل : الحقيقة أنه لا يروقنا هذا التفريق فى المصطلح ، إذا اتحد المفهوم .فإن حجة الذين فرقوا فى التسمية ، فخصوا ما فى القرآن باسم الفواصل ، وما فى غيره باسم السجع ، حجة واهية . وهى قولهم : إن السجع موصوف بالتكلف لأنه من صنع البشر . وحاشا أن يكون شيء من هذا التكلف فى كتاب الله . ولا نرى رأيهم ، لأن المفهوم إذا اتحد وجب أن يتحد المصطلح . أما قولهم : إن السجع فيه تكلف ، فإن كثيرا من السجع لا نرى فيه أثرا لهذا العيب[٥] .

وعقب د/ أحمد جمال العمرى على أقوال الباقلانى قائلا : الحقيقة إن هذا الذى يدفع به الباقلانى السجع عن القرآن ليس فيه مقنع ، إذ إن التسوية بين

---

(١) الإعجاز [٢٢٧-٩] .

(٢) القرآن [٢٥٤] .

(٣) القرآن [٢٥٢،٢٥٥] .

(٤) نفسه [٢٥٦] .

(٥) النظم [٩٥] .

السجع والشعر هنا أمر غير مقبول ، لأن الحق نزه القرآن عن أن يكون شعرا ، ونزه نبيه عن أن يكون شاعرا ، لا للصورة التى يجيء عليها نظم الشعر ، وإنما للمعانى التى يحملها الشعر . وأغلبها منتزع من الخيال والوهم ، وقائم على الكذب والمبالغة . فهذه المعانى يمكن أن يحملها الشعر ، على حين يضيق بها النثر . ولهذا بين القرآن السبب الذى من أجله رفع القرآن عن منزلة الشعر ، فقال عن الشعراء : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ [الشعراء] . فالمخالفة بين القول والعمل تعنى أن القول الذى يقوله هؤلاء الشعراء لا يصدقه العمل ، لأنه مجرد كلام ، لا يستجيب لواقع الحياة ، ولا يتشكل عملا مقبولا . ولو صور كلام الشعراء فى صورة أعمال ، لكانت تلك الأعمال مخلوقات منكرة شائهة يأبى الناس أن يتعاملوا بها .

أما السجع – وإن كان قد اعتمد عليه الكهان فى تصوير همهماتهم وشطحاتهم ، وكان بهذا مقاربا للشعر فى خياله وأباطيله – إلا أن العرب قد عرفت النثر المسجوع فى غير سجع الكهان . عرفته فى خطابتها ، ووصاياها ، وحكمها وأمثالها . فحمل أجمل المعانى ، وأكرم ما عرفت العرب من أخلاق . وخطبة قس ابن ساعدة التى سمعها النبى صلى اللّٰه عليه وسلم من قس خير شاهد لهذا . وحسبها أنها نالت إعجاب الرسول، واستحقت ذكره لها وثناءه عليها .

إن أعجب ما فى قول الباقلانى هنا قوله : إن الكهانة تخالف النبوات وليس كذلك الشعر . وكيف هذا ؟ وكيف غاب عن ذهنه قول الحق . ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ [يس : ٦٩] . أفلا يكون الشعر بعد هذا مخالفا للنبوات[1] .

وأعلن د/ نصر حامد أبو زيد أن من أهم الفروق الأسلوبية بين القرآن المكى والقرآن المدنى مراعاة الفاصلة بين الآيات .

---

(١) مباحث [١٧٢] .

وعلى رغم أن هذه الخصيصة يمكن أن تعد جزءا من الطبيعة اللغوية للغة التأثيرية - لغة الإنذار - فإنها يمكن أن تفسر أيضًا فى ضوء تشابه آليات النص مع آليات النصوص الأخرى فى الثقافة العربية . فقد كانت نبوءات الكهان والعرافين تعتمد على السجع . وكان السجع من ثم دلالة - فى الضمير الثقافى - على أن هذا الكلام ليس من كلام البشر الناطق به [1] .

وتمثل الفاصلة - فى المرحلة المكية - علاقة « تماثل » بين النص والنمط الآخر من النصوص فى الثقافة العربية . وإذا كانت النصوص المدنية يغلب عليها الخروج على نسق الحرص على الفاصلة ، فإن ذلك يدل - فيما يدل - على علاقة « مخالفة » . إن موقف الإسلام من الكهانة مماثل لموقف النص القرآنى من السجع أو الفاصلة ، موقف القبول أولا ثم الرفض بعد ذلك . وتلك هى جدلية القرآن مع الواقع ، وجدلية النص مع النصوص الأخرى فى الثقافة [2] .

وناقش د/ نصر نظرة القدماءعامة فذكر أنهم كما ناقشوا علاقة القرآن بالشعر من منظور التحليل والتحريم ، ناقشوا علاقته بالسجع من منظور التحليل والتحريم كذلك[3] ، وأن محاولتهم سلب صفة السجع عن القرآن كانت تستهدف التفرقة بين الكلام الإلاهى والكلام الإنسانى . وهى تفرقة سعى الأشاعرة إلى تأصيلها والتأكيد عليها ، من منظور تصورهم للكلام بوصفه صفة من صفات الذات الإلاهية ، لا بوصفه فعلا من أفعاله كما تصور المعتزلة . ومن هذا التصور كان الحرص على الفصل بين القرآن وغيره من النصوص[4] . وقد وصل حرصهم على هذا الفصل إلى حد تأكيد القطيعة الكاملة بين النص والواقع ، وذلك سعيا للحفاظ على التقديس الذى ظنوه يتعارض مع انطلاق النص من الواقع وتفاعله به[5] .

(١) مفهوم [٩١] . وانظ ستيوارت [٨] .

(٢) مفهوم [١٦٤] .

(٣) مفهوم [١٦١] .

(٤) مفهوم [١٦٣] .

(٥) مفهوم [٩٢] .

ثم ناقش الباقلانى خاصة ، فرماه بما رمى به القدماء عامة ، وقال : إن محاولاته إثبات إعجاز القرآن تعتمد على مفهوم انفصاله انفصالا تاما عن النصوص الأخرى داخل الثقافة ، سواء فى ذلك الشعر أو النثر . وفى سبيل ذلك حاول قدر جهده أن يطعن فى بلاغة الشعر الجاهلى . وحين سعى إلى إثبات خلو القرآن من السجع ، وضع تعريفا له من شأنه أن يقلل قيمته[١] . وهكذا افترض أنه مجرد زينة خارجية مفروضة ومن خلال ثنائية اللفظ والمعنى ، التى سادت تراثنا النقدى ، حاول أن يثبت أن المعنى فى السجع يتبع اللفظ على حين أن فواصل القرآن يتبع فيها اللفظ المعنى . وهى من ثم نوع من التجنيس وليست سجعا .

وإذا كان كثير من الشواهد القرآنية يبدو - إذا سلمنا بثنائية اللفظ والمعنى - أن المعنى فيها يتبع اللفظ تحقيقا لتلاؤم الفواصل ، فإن مفهوم الباقلانى للفصل بين الفاصلة والسجع يتبدد دائمًا [٢] .

ويبدو أن الباقلانى يفر من مجرد إطلاق لفظ « السجع » على فواصل الآيات ، بدليل أنه يعود ليسلم بوجود الظاهرة ، وإن كان يطلق عليها اسم « التجنيس » . وليس هذا المسلك بعيدا بآية حال عن مسلكه إزاء نفى الشعر[٣] .

وإذا كان يسهل عليه أن ينكر التماثل بين القرآن والشعر ، فإن إنكاره للتماثل بين القرآن والسجع لا يعتمد على تحليل لمعطيات النص من حيث الشكل كما فعل فى حالة الشعر ، بل يعتمد على مجموعة من الحجج المنطقية [٤] .

وأعلن ديفين ستيوارت أن علماء المسلمين يتفقون على أن الوحى القرآنى إنما نزل فى لغة تتسق وما يسمى بالكلام البليغ عند العرب . وذكر أن السجع كان من أكثر صور التعبير شيوعا فى الجاهلية ، كما كان هذا الشكل مستخدما بصورة

---

(١) مفهوم [١٦٢] .

(٢) مفهوم [١٦٢-٣] . وانظر ستيوارت [١٠] .

(٣) مفهوم [١٦٢-٣] .

(٤) مفهوم [١٦١] .

خاصة فى الخطابة والعبارات ذات المحتوى الدينى أو الميتافيزيقى . وذكر أن جولد تسيهر ذهب إلى حد القول بأن العربى لا يمكن أن يسلم بصحة نسبة كلام إلى مصدر إلاهى إن لم يكن مسجوعًا . ومن ثم كانت النتيجة الواضحة عنده أنه كان من الطبيعى أن يجيء الأسلوب القرآنى متضمنا السجع[1] .

ورمى د/ ديفين ستيوارت الرمانى والباقلانى فى احتجاجهما على نفى السجع بالتحيز ومجانبة الصواب ، ود/ عبد الله الطيب بعدم الوعى بجهات النظر المتباينة حول القضية فى نطاق التراث العربى الإسلامى . كما رمى مقالة بارت Paret – الذى ذهب إلى أن القرآن مسجوع من أوله إلى آخره – بأنها ذهبت فى خضوعها للتحيز والهوى إلى أقصى مدى ، فأخضعت النص لقالب سابق من خلال بحث لا يتسم برهافة الحس[2] .

ورأى أن نفى السجع يرجع إلى نظرية إعجاز القرآن والرغبة فى الدفاع عن النبوة . فإن نظرية الإعجاز اعتدت – عند بعضهم – بأن القرآن لا يجوز أن يقارن بأى نوع من أنواع الإنشاء الدنيوى ، حيث إن هذا القرآن إنما هو كلام الله ، وإن القول بأنه مسجوع يؤدى إلى نسبة شيء دنيوى إلى الله . كما اعتاد أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقللوا من شأن الرسالة بالزعم أنها لا تعدو أن تكون كلام كاهن أو شاعر[3] .

وحدد المنهج السليم للدراسة فقال : إن محاولة البحث فى مشكلة السجع فى القرآن ، وتحديد ماهية هذا السجع نفسه ، تقتضى ألا نفرض على مادة البحث تقاليد سابقة ، يستوى فى ذلك أن تكون تلك التقاليد عربية إسلامية أو غربية استشراقية ، لأن مثل هذا التوجه لن يؤدى إلا إلى صورة من صور الفهم القاصر .

---

(١) مجلة فصول [٧-٨] .

(٢) مجلة فصول [١٠-١] .

(٣) نفسها [٨] .

الأحرى بنا إذن أن نفهم التقاليد فى نطاق ما لدينا من تراث نقدى حول السجع والقرآن(١) .

ورأى أن الخطوة الأولى – وهى فى الحق خطوة تمهيدية – هى معرفة النسبة المئوية للسجع فى القرآن .

فقام بالنظر فى الكلمات الأخيرة فى الآيات ، وسجل أعداد الآيات المقفاة فى كل سورة على حدة . فوجد أن النسبة تبلغ ٨٥٫٩٪ تقريبا ، وأن سورتين فحسب خلتا من السجع خلوا تاما ، وهما سورة قريش والنصر ، و٣٣ سورة جاءت مسجوعة من أولها إلى آخرها (٢) .

وأراد أن يفرق بين الفواصل وغيرها فقال : أول ما نقوله فى هذا الصدد إن السجع لا يستلزم قافية واحدة . وهو فى ذلك يشبه الرجز ، ويختلف عن القصيدة . ويميل النص القرآنى إلى توحيد القافية ، وإن احتوى على أمثلة لتعدد القوافى فى السورة الواحدة . وعلى سبيل المثال ، فإن سورة الرحمن – وعدد آياتها ٧٨ – تنتهى بروى واحد ، هو الألف والنون . ويختلف القرآن فى هذا عن أشكال السجع التى شاعت فيما تلاه من قرون ، مثلما هو الحال فى الرسائل والمقامات . إذ من النادر أن يضطرد استخدام قافية واحدة فيها لأكثر من ثمانى أو عشر مرات(٣) .

كما أن عدد القوافى الشائعة فى القرآن محدود على حين يظهر فى النصوص الأخرى تنويع أوسع فى استخدام القوافى .

ومن جهة أخرى ، فإن النص القرآنى يسمح بوجود القوافى غير التامة ، وهو ما لا نجده فى النصوص الأخرى .

---

(١) نفسها [١١] .

(٢) نفسها [١٢] .

(٣) نفسها [١٢] .

والسجعة فى القرآن أطول - طولا واضحا - منها فيما تلاه من نصوص برغم أن قصار السور المكية تميل إلى السجعات القصيرة إلى حد ما .

كما أن طول الوحدة المسجوعة فى القرآن يصل إلى مدى أكبر مما وجد فى النصوص التى تلته .

كما يظهر فى تشكيل الوحدات فى القرآن درجة أعلى من التنويع .

وأخيرا ، فإن وحدات السجع العروضى من النوع الرباعى والهرمى أكثر شيوعا فى القرآن بدرجة ظاهرة . وتميل النصوص التى تلت القرآن إلى أن تتألف من عبارات متوازية كما يصبح تأثير القوافى المضاعفة مهما فى هذه النصوص[1] .

وعاد فى ختام بحثه إلى الكشف صراحة عن رأيه والفروق أيضًا ، فقال : إن تحليل الكتابات النقدية القديمة حول السجع ، والبحث فى الشكل القرآنى ، يؤديان إلى إمكان تعريف السجع تعريفا أكمل - وبرغم النظر إلى السجع بوصفه أحد فروع النثر ، فإنه - فى حقيقة الأمر - نوع متميز من الكتابة . فهو يتميز عن النثر المرسل وعن الشعر المنظوم. إنه يتألف من عبارات مقفاة اصطلح على تسميتها سجعات أو قرائن . وتختلف قواعد القافية فى السجع عنها فى الشعر .

وأظهر اختلاف بينهما يكمن فى أن الكلمات الأخيرة فى العبارة المسجوعة تنتهى بالسكون .

ويبنى السجع على وزن لفظى . فكل عبارة تتفق فى عدد كلماتها مع العبارة الأخرى التى تقيم معها السجع . وعلى هذا ، فإن الوحدة الأساسية فى القواعد العروضية للسجع هى اللفظ وليس المقطع أو التفعيلة .

ويمثل المطلع عنصرا بنائيا مهما فى الوحدة المسجوعة ، وإن كان يقع خارج البنية العروضية للقرائن . وبرغم شيوع المطالع فإنها ليست ملزمة ، إذ هناك كثير من السور القرآنية التى تخلو منها ، كما تخلو منها نماذج أخرى من الكتابات ، غير أنه

(١) نفسها [٣٠] .

يراعى فى استخدام المطالع قيود معينة ، إذ ينبغى ألا تكون أطول من القرينة التالية لها .

إن التوازى العروضى فى نهايات القرائن هو من التقاليد المرعية ، ولكنه ليس ملزما . ويتم التوازى العروضى بأن تتفق الكلمات المتناظرة من حيث قالبها الصرفى . ويقتصر هذا التناغم – من حيث تقاليد النثر – على الكلمة الأخيرة فى القرينة ، وإن كانت بعض القرائن يظهر فيها التوازى العروضى الكامل[1] .

---

(١) نفسها [٢٩] .

الفصل الثالث

تقسيم الفواصل

(أ) وفق العلاقة بينها وبين سائر الكلام :

١ - التصدير : رد الأعجاز على الصدور .

جعل عبد الله بن المعتز «٢٤٧-٢٩٦/٨٦١-٩٠٩» الباب الرابع من أبواب « البديع » لما سماه « رد أعجاز الكلام على ما تقدمها » ، وخلط فيه الحديث عن الشعر والنثر والقرآن ، وتناول فيه العلاقة بين القافية والفاصلة والكلام الذى قبلها أى العلاقات بين أجزاء النص . وقسم الباب على ثلاثة أقسام :

١ - ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة فى نصفه الأول ، مثل قول الشاعر :

تُلقَى إذا ما الأمر كان عرمرما   فى جيش رأيٍ لا يُفلُّ عرمرم

٢ - ما يوافق آخر كلمة منه أول كلمة فى نصفه الأول كقوله :

سريع إلى ابن العم يشتم عرضه   وليس إلى داعى الندى بسريع

٣ - ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه ، كقول الشاعر :

عميد بنى سليم أقصدتْه   سهامُ الموت وهى له سهام

وقال الله تعالى : ﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾[1] [الإسراء : ٢١] .

وذكر أبو محمد الحسن بن على بن وكيع التنيسى «٣٩٣/١٠٠٣» وهو يتحدث عن الشعر أن بعض الأدباء لقب هذا الفن : الترديد ، وبعضهم سماه : التصدير ، وهو أن يبتدئ الشاعر بكلمة فى البيت ، ثم يعيدها فى عجزه أو نصفه

---

(١) البديع [٤٧-٨] . معترك [٤٨/١] . الإتقان [١١٩/٢] . الجندى [١٨٥/٢-٦] - . أمين [٢٠٦] الحسناوى [٢٨٩] .

وانظر أبو هلال [٤٢٩] . الرازى [١٣٥-٦] . العلوى [٣٩٥/٢] .

ثم يردها فى النصف الآخر. وإذا نظم الشعر على هذه الصفة ، تيسر استخراج قوافيه قبل أن تطرق أسماع مستمعيه (١) .

وسار مسيرتهما أبو هلال العسكرى : فجعل هذا الفن أحد فصول كتابه ، وعنونه بالاسم الذى عرف به بين الأدباء ، وهو « رد الأعجاز على الصدور » ، وقال فيه : أول ما ينبغى أن تعلمه أنك إذا قدمت ألفاظا تقتضى جوابا ، فالمرضى أن تأتى بتلك الألفاظ فى الجواب . ولا تنتقل عنها إلى غيرها مما هو فى معناها ، كقول الله تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾(٢) [الشورى : ٤٠] . واستدل من ذلك على أن لهذه الظاهرة موقعا جليلا من البلاغة ، ولها فى المنظوم خاصة محلا خطيرا (٣) .

وزاد على ابن المعتز ما يقع فى حشو النصفين كقول النمر :

يود الفتى طول السلامة والغنى   فكيف ترى طول السلامة يفعل(٤)

ورأى فخر الدين محمد بن عمر الرازى «٥٤٤-٦٠٦/١١٥٠-١٢١٠» . أن وجوه المشابهة أربعة :

الأول : أن يشترك اللفظان صورة ومعنى .

الثانى : أن يشتركا صورة لا معنى .

الثالث : أن يشتركا فى الاشتقاق .

الرابع : أن يشتركا فى شبهة الاشتقاق(٥) .

---

(١) المنصف [٦١] .

وانظر بديع ابن أبى الإصبع [٣٦] ، وتحريره [١١٦] . السبكى [٤/٤٣٣] . الزركشى [٩٤/١] الإتقان [١١٩/٢] .من بلاغة [٨٦] . الجندى [١٨٥/٢] . أمين [٢٠٦] . العانى [١٢٢] . عتر [٢٥٧] . زرزور [٢٤٦] . الحسناوى [٢٨٠،٢٨٩] .

(٢) الصناعتين [٤٢٩] .

(٣) الصناعتين [٤٢٩] . وانظر العلوى [٣٩٤/٢] . الإتقان [١١٩/٢] . من بلاغة [٨٦] .

(٤) الصناعتين [٤٣٢] .   (٥) نهاية [١٣٤-٥] .

ثم قسمها - من حيث موقع اللفظين فيها كما فعل ابن المعتز إلى :

١ - إما أن تكون اللفظتان المتشابهتان طرفيتين .

٢ - أو حشويتين .

٣ - أو يكون الصدر طرفيا والعجز حشويا .

٤ - أو يكون الصدر حشويا والعجز طرفيا [١] .

ثم أعلن أنه لم يظفر بأمثلة من القسمين الثانى والثالث من هذا التقسيم ،وظفر بأمثلة من وجوه الشبه الأربعة فى القسمين الأول والرابع[٢] .

ولم يكتف بذلك ، فأضاف أن كل واحد من وجوه الشبه فى القسم الرابع ينقسم إلى أربعة أقسام ، هى :

١ - إما أن يقع الصدر فى حشو المصراع الأول ،

٢ - أو فى آخره ،

٣ - و فى أول المصراع الثانى ،

٤ - أو فى وسطه . ولم يظفر بأمثلة من هذا القسم[٣] .

وعرف ابن أبى الإصبع رد الأعجاز بأنه عبارة عن كل كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظية غالبا أو معنوية نادرا ، تحصل بها الملاءمة والتوهم بين قسمى كل كلام[٤] .

وقسمه قسمين : لفظى ومعنوى[٥] . وذكر أن الأقسام الثلاثة التى ذكرها ابن المعتز من الضرب الأول الذى رابطته لفظية . وأما ما رابطته معنوية فمنه قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة : ١٠٥] فإن معنى صدر الكلام يتقاضى معنى عجزه [٦]!

(١) نهاية [١٣٥] .

(٢) نهاية [١٣٥-٩٩] .

(٣) نهاية [١٣٦] .

(٤) بديع [٣٦] .

(٥) بديع [٣٧] . السبكى [٤/٤٤٤] .

(٦) بديع [٣٧] .

وذكر د/ على الجندى أنه استحسن أن يسمى أول أقسام ابن المعتز تصدير التقفية ، والثانى تصدير الطرفين ، والثالث تصدير الحشو(١) .

وذكر محمد بن سليمان المعروف بابن النقيب أن رد الأعجاز على الصدور من ضروب البيان وفنون التلعب باللسان(٢) .

وعرفه جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزوينى فى النثر : بأن يجعل أحد اللفظين المكررين أوالمتجانسين أو الملحقين بهما فى أول الفقرة ، والآخر فى آخرها ، نحو : ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾(٣) [الأحزاب : ٣٧] .

وجعله يحيى بن حمزة العلوى يأتى على عشرة ضروب أوردها ومثّل لها ، ولكنى أكتفى بذكرها :

الضرب الأول : أن يتفق الصدر والعجز فى صورة الكلمة المكررة .

الضرب الثانى : أن يتفقا صورة ويختلفا معنى .

الضرب الثالث : أن يتفقا معنى ويختلفا صورة .

الضرب الرابع : أن يتفقا اشتقاقا ويختلفا صورة .

الضرب الخامس : أن يختلفا اشتقاقا ويتفقا صورة .

الضرب السادس : أن يقع أحد اللفظين فى حشو المصراع الأول من البيت ثم يقع الآخر فى عجز المصراع الثانى .

الضرب السابع : أن تقع إحدى الكلمتين فى آخر المصراع الأول موافقة لما فى عجز المصراع الثانى .

---

(١) صور [٢/١٨٦] .

(٢) مقدمة [٤٩٧] .

(٣) التلخيص [٣٩٣] . الإيضاح [٥٤٣] .

وانظر السبكى [٤/٤٣٣] . التفتازانى [٤/٤٣٣] .

الضرب الثامن : أن يلاقى أحد اللفظين الآخر فى الاشتقاق ويخالفه فى الصورة .

الضرب التاسع : أن يقع أحدهما فى أول المصراع الثانى موافقا لما فى عجزه صورة ومعنى .

الضرب العاشر : أن يكونا مشتبهين فى الاشتقاق لفظا ، والمعنى بخلافه .

ولا أجد فرقا بين الضربين الرابع والثامن . وحكم العلوى على الضرب الثانى بأنه أحسن من الأول وأدخل فى الإعجاب(١) .

واستدل د/ أحمد أحمد بدوى بالتصدير على التحام الفاصلة بالآية التحاما تاما ، يستقر فى النفس ، وتتقبله أعظم قبول(٢) .

٢ - التوشيح

وأتى أبو هلال من أنواع العلاقة بين الفاصلة وما قبلها من كلام بما ذكر أن العلماء سموه التوشيح ، وأنه يرى أنه لو سمى « تبيينا » لكان أقرب . وعرّفه بأن ينبئ أول الكلام عن آخره ، حتى لو سمعت صدره وقفت على عجزه قبل بلوغ السماع إليه(٣) ، واستجاده (٤) ، ومثّل له بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس ١٩] فإذا وقفت على « فيما » عرف السامع أن بعده « يختلفون » لما تقدم من الدلالة عليه (٥) .

---

(١) الطراز [٢/٣٩٢-٧] . وانظر الجندى [٢/١٨٦] .

(٢) من بلاغة [٨٦] .

(٣) الصناعتين [٤٢٥] .

وانظر ابن سنان [١٥١-٢] . بديع ابن أبى الإصبع [٩٠] . تحريره [٢٢٨] . الزركشى [١/٩٥] . من بلاغة [٨٦-٧] . أمين [٢٠٦] العانى [١٢٣] . عتر [٢٥٧] . زرزور [٢٤٧] .

(٤) الصناعتين [٤٢٥] . ابن سنان [١٥١] .

(٥) الصناعتين [٤٢٥-٦] .

وذكر أن هناك ضربا آخر منه ، لم يسمه ، ولكن حدده بأن يعرف السامع مقطع الكلام وإن لم يجد ذكره فيما تقدم . ومثل له بقوله : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس : ١٤] . فإذا وقفت على « لننظر » مع ما تقدم من قوله : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ علم أن بعده « تعملون » لأن المعنى يقتضيه[١] . وأضاف ابن سنان أن بعض الناس سمى هذا الفن : التسهيم[٢] .

وذكر ابن أبى الإصبع أن هذا الباب مما فرّعه قدامة بن جعفر ، وعرفه بأن يكون فى أول البيت معنى ، إذا عُلم عُلمت منه قافية البيت ، بشرط أن يكون المعنى المتقدم بلفظه من جنس معنى القافية بلفظه أو من لوازم لفظه[٣] .

وفرق بينه وبين التصدير بأن دلالة التصدير لفظية ، ودلالة التوشيح معنوية [٤] .

واتجه الزركشى اتجاه من يضعون القواعد . فأعلن : اعلم أن من المواضع التى يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره ، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله فلابد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولا ، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض[٥] .

وبناء على هذا وجد فى القرآن أربعة أنواع يتفق فيها الائتلاف بين الفواصل وبقية الآيات ، فعرّفها ، وأبان الفروق بينها ، وهى : التمكين ، والتوشيح ، والإيغال ، والتصدير[٦] .

---

(١) الصناعتين [٤٢٦] .

(٢) سر [١٥٢] .

(٣) تحرير [٢٢٨] . وانظر نقد الشعر [٩٦] .

(٤) تحرير [٢٣١] . وانظر الزركشى [٧٩/١] . معترك [٤٩/١] . الإتقان [١١٩/٢] العانى [١٢٣] . عتر [٢٥٧،٢٥٩] .

(٥) البرهان [٧٨/١] .

(٦) البرهان [٧٨/١] . وانظر العانى [١٢٢] .

وذهب فى تعليل التسمية إلى أن أول الكلام وآخره نُزِّلا منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح[1] .

وأضاف أن ابن وكيع سماه : المطمع ، لأن صدره مطمع فى عجزه [2] .

ولما رجعت إلى المنصف المطبوع وجدت ابن وكيع كان يتحدث عن التسهيم لا التوشيح[3] .

واتجه ابن الأثير اتجاها مختلفا ، إذ عرفه بأن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرين مختلفين [وقافيتين] . فإذا وقف من البيت على القافية الأولى ، كان شعرا مستقيما من أحد البحور . وإذا أضاف إلى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى ، كان أيضا شعرا مستقيما من بحر آخر[4] ، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى كالوشاح[5] .

كذلك يجرى الأمر فى القرينتين من الكلام المنثور . فإن كل قرينة منهما تصاغ من سجعتين[6] .

وهذا لا يكاد يستعمل [فى النثر] إلا قليلا . وليس من الحسن فى شيء[7] . واستعماله فى الشعر أحسن منه فى الكلام المنثور[8] .

وأضاف محمد بن سليمان المعروف بابن النقيب أن هذا النوع [يوجد] فى القرآن ما يشبهه ، وهو ما ورد فى الآيات من الوقف الكافى والتمام . إن وقفت

---

(١) البرهان [٩٥/١] . وانظر معترك [٤٩/١] . الإتقان [١١٩/٢] . الجندى [٢٠٥/٢] . العانى [١٢٤] . الحسناوى [٢٩٠] . عبد الغفار [٣٢٨] .

(٢) البرهان [٩٥/١] . وانظر الحسناوى [٢٩٠] . عبد الغفار [٣٢٤] .

(٣) المنصف [٦٨-٩] .

(٤) المثل [٢١٦/٣] . وانظر ابن النقيب [٤٨٣] . العلوى [١٧٠/٣] . الحسناوى [١٥٧] .

(٥) المثل [٢١٦/٣] . وانظر العلوى [٧٠/٣] .

(٦) المثل [٢١٦/٣] . وانظر العلوى [٧٠/٣] . الحسناوى [١٥٧] .

(٧) المثل [٢١٦/٣] .

(٨) المثل [٢١٦/٣] . وانظر العلوى [٧٢/٣] .

على الوقف الكافي كان حسنا . وإن وقفت على التمام كان أجود . ومثل له بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة : ٤] إن وقفت على ﴿ مِن قَبْلِكَ ﴾ كان وقفا حسنا . وإن وقفت على ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ كان أحسن ، وهو تمام . وكذلك كل ما أشبهه (١) .

وأضاف يحيى بن حمزة العلوى أنه يقال له التشريع أيضًا (٢) ، لأن ما هذا حاله من الشعر ، فإن النفس تَشْرَع إلى تمام القافية وكمالها (٣) . وزاد تعليل ابن الأثير للتسمية وضوحا فقال : فلما كان ما يضاف إلى القافية الأولى زائدا على الثانية سمى توشيحا ، لأن الوشاح ما يكون من الحلى على الكشح ، زائدا عليه (٤) .

٣ - الإيغال

وذكر أبو هلال نوعا آخر يسمى « الإيغال » وعرفه بأن يستوفى الأديب معنى الكلام قبل أن يبلغ إلى مقطعه ، ثم يأتى بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا (٥) . وذكر أن هذه الظاهرة تدخل فى باب التتميم ، وإنما تسمى إيغالا إذا وقعت فى الفواصل والمقاطع(٦) .

وأصل الكلمة من قولهم : أوغل فى الأمر إذا أبعد الذهاب فيه (٧) .

---

(١) مقدمة [٤٨٤] .

(٢) الطراز [٣/٧٠] . وانظر بديع [٢٣١] . تحرير [٥٢٣] . معترك [١/٥٠] . الإتقان [٢/١١٩]. الحسناوى [١٥٧] . ستيوارت [٢٦] .

(٣) الطراز [٣/٧٠] .

(٤) الطراز [٣/٧٠] .

(٥) الصناعتين [٤٢٢] . وانظر بديع ابن أبى الإصبع [٩١] . وتحريره [٢٣٢-٣] . الجندى [٢/٢٠٥] . العانى [١٢٤] . عتر [٢٥٨-٩] .

(٦) الصناعتين [٤٢٤] .

(٧) الصناعتين [٤٢٢] .

وعلل ابن أبى الإصبع هذه التسمية بأن أصلها من الإيغال فى السير ، وهو السرعة . فكأن المتكلم قد تجاوز حد المعنى الذى هو آخذ فيه ، وبلغ إلى زيادته عن الحد[1] .

وقسّمه إلى :

إيغال احتياط كقوله : ﴿ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل : ٨٠] .

وإيغال تخيير كقوله : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[2] ؟ [المائدة : ٥٠] .

وقال العلوى : هو فى مصطلح علماء البيان عبارة عن الإتيان فى مقطع البيت وعجزه ، أو فى الفقرة الواحدة بنعت لما قبله ، مفيد للتأكيد والزيادة فيه . ومثاله قول الخنساء :

وإن صخرا لتأتمّ الهداة به ⁂ كأنه علم ، فى رأسه نار

فقولها « فى رأسه نار » من الإيغال الحسن ، لأنها لم تكتف بكونه جبلا عاليا مشهورا، بل زادت – لكثرة إيغالها فى مدحه وشهرته – بقولها « فى رأسه نار » لما فيه من زيادة الظهور والانكشاف ، لأن الجبل ظاهر ، فكيف به إذا كان فى رأسه نار ؟ والنار ظاهرة فكيف حالها إذا كانت فى رأس جبل[3] ؟

وفرق الزركشى بين التصدير والتوشيح والإيغال فقال : إن تقدم لفظ الفاصلة بعينه فى أول الآية سمى تصديرا ، وإن كان فى أثناء الصدر سمى توشيحا ، وإن أفادت معنى زائدا بعد تمام المعنى سمى إيغالا[4] .

---

(١) تحرير [٢٣٤] . وانظر العلوى [١٣١/٣] . الزركشى [٩٦/١] . الحسناوى [٢٩١] .

(٢) بديع [٩١-٢] . تحرير [٢٣٤-٤٠] .

(٣) الطراز [١٣١/٣] .

(٤) البرهان [٧٨/١-٩] . وانظر العانى [١٢٣] .

وسماه السيوطى بالإمعان أيضًا [1] ، وعرفه بأنه ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها [2] .

وذكر أن بعضهم زعم أنه خاص بالشعر[3] . ورد بأنه وقع فى القرآن[4] . من ذلك ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ ﴾ . [يس] . فقوله : ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ إيغال ، لأنه يتم المعنى بدونه ، إذ الرسول مهتد لا محالة . لكن فيه زيادة مبالغة فى الحث على اتباع الرسل والترغيب فيه [5] .

وأتى د/ على الجندى بأقوال أخرى فى اشتقاقه ، فقال : اشتقاقه عند ابن دريد من الإبعاد ، يقال : أوغل فى الأرض : إذا أبعد ، وقال الأصمعى : الإيغال : سرعة الدخول فى الشيء ، يقال : أوغل فى الأمر : إذا دخل فيه بسرعة [6] .

وذكر أيضًا أن الزيادة التى يأتى بها الإيغال تكون جملة كما تكون مفردا [7] ، وأنه ضرب من المبالغة [8] . وكشف أن الحسن بن رشيق القيروانى «٣٩٠-٤٦٣/ ١٠٠٠-١٠٧١» هو الذى زعم اختصاصه بالشعر[9] .

وجعل د/ حسن ضياء الدين عتر الإيغال مرة أن تأتى الفاصلة على غير تمهيد سابق ، فتفيد زيادة فى معنى الآية [10] ؛ وأخرى أن ترد الآية بمعنى تام ، وتأتى فاصلتها بزيادة فى ذلك المعنى على الحد الذى بلغته الآية [11] .

---

(١) الإتقان [٢/٨٢] . وانظر الجندى [٢/٢٠٥] . العانى [١٢٤] .

(٢) الإتقان [٢/٨٢] . وانظر الجندى [٢/٢٠٥] . العانى [١٢٤] .

(٣) الإتقان [٢/٨٢] .

(٤) الإتقان [٢/٨٢] .

(٥) الإتقان [٢/٨٢] .

(٦) صور [٢/٢٠٥] .

(٧) صور [٢/٢٠٥] .

(٨) صور [٢/٢٠٥] .

(٩) صور [٢/٢٠٥] .

(١٠) بينات [٢٥٨] .

(١١) بينات [٢٥٩] .

« ٤ ، ٥ » التتميم والتكميل

وذكر أبو هلال نوعا سماه التتميم والتكميل ، وعرّفه بأن توفى المعنى حظه من الجودة ، وتعطيه نصيبيه من الصحة ، ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده أو لفظا يكون فيه توكيده إلا تذكره . ومثل له بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ ﴾ [فصلت : ٣٠] . فقوله « استقاموا » دخل تحته جميع الطاعات ، فتم المعنى[١] . فهو من جوامع الكلم[٢] .

وعقد ابن أبى الإصبع بابا سماه « باب التمام » قال فيه . وهو التتميم ، الاسم الأول لقدامة ، والثانى للحاتمى[٣] .

وعرّفه بأن تأتى فى الكلام كلمة ، إذا طُرحت من الكلام نقص معناه فى ذاته أو صفاته ، ولفظه تام ؛ وإن كان فى الموزون نقص وزنه مع نقص معناه . فيكون الإتيان بها لتتميم الوزن والمعنى معا [٤] . فإن تممت الوزن فقط فذلك من الحشو المعيب [٥] .

وعرف التكميل بأن يأتى المتكلم أو الشاعر بمعنى من معانى المدح أو من أغراض الشعر ، ثم يرى مدحه – بالاقتصار على ذلك المعنى فقط – غير كامل ، فيكمله بمعنى آخر ، كمن أراد مدح إنسان بالشجاعة ، ورأى مدحه – بالاقتصار عليها دون الكرم مثلا – غير كامل ، فكمله بذكر الكرم ، أو بالبأس دون الحلم ، وما أشبهه . وقد جاء منه فى الكتاب العزيز : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] فإنه سبحانه علم أنه لو اقتصر

(١) الصناعتين [٤٣٤] .
(٢) الصناعتين [٤٣٤] .
(٣) بديع [٤٥] .
(٤) بديع [٤٥-٦] .
(٥) بديع [٤٦] .

على وصفهم بالمذلة على المؤمنين – وإن كانت صفة مدح ، إذ وصفهم بالانقياد لأمور إخوانهم المؤمنين –كان المدح غير كامل ، فكمّل مدحهم بأن وصفهم بالعزة على الكافرين[١] .

وفرق في « البديع » بين التكميل والتتميم فقال : إما أن يرد على معنى تام في ذاته أوفي صفاته ، أولا . فإن كان الأول فهو التكميل ، وإن كان الثاني فهو التتميم . وقد غلط أكثر المؤلفين في هذا الموضع . ولم يفرقوا بين التتميم والتكميل[٢] .

وفرق بينهما في « التحرير » فقال : الفرق بين التتميم والتكميل أن التتميم يرد على المعنى الناقص فيتممه ، والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله ، إذ الكمال أمر زائد على التمام . والتتميم لا يكون إلا في المعاني دون الفنون . أعني بالمعاني معاني النفس لا معاني البديع ، التي هي أنواعه . وأعني بالفنون أغراض المتكلم ومقاصده . والتكميل فيهما معا . هذا إذا لم يُرد بالتتميم تتميم الوزن[٣] .

وعرف ابن النقيب التتميم بأن تُردف الكلام بكلمة ترفع عنه اللبس ، وتقربه إلى الفهم ، وتزيل عنه الوهم ، وتقرره في النفس[٤] . وهو في القرآن كثير[٥] .

وذكر العلوي أن التتميم – في مصطلح علماء البيان – عبارة عن تقييد الكلام بفضلة :

إما للمبالغة كقول زهير :

من يلق يوما – على علاته – هرما يلق السماحة منه والندى خلقا

فقوله : « على علاته » تتميم للمبالغة ، والمراد بها أي على حالاته .

---

(١) تحرير [٣٥٧] . ابن النقيب [١٨٣] .

(٢) [٤٦] .

(٣) وانظر العلوي [٢٤١،٣٦٢] [٣/١١٠-١] .

(٤) مقدمة [١٨٤] .   (٥) نفسه .

أو للصيانة عن احتمال الخطأ ، كقول أحد الشعراء :

فسقى ديارك - غير مفسدها - صَـوْبُ الربيـع وديمةٌ تَهْمى

فقوله « غير مفسدها » فضلة واردة لرفع الإيهام الحاصل ممن يدعو على الديار بكثرة المطر ليكون مفسدا لها .

أو لتقويم الوزن ، كقول المتنبى :

وخفوقُ قلب ، لو رأيت لهيبَه - يا جنتى - لرأيت فيه جهنمـا

أورد « يا جنتى » لإقامة الوزن[1] .

وذكر أن الإكمال مقول على أن تذكر شيئًا من أفانين الكلام ، فترى فى إفادته المدح كأنه ناقص لكونه موهما بعيب من جهة دلالة مفهومه ، فتأتى بجملة فتكمله بها تكون رافعة لذلك العيب المتوهم[2] .

وذكر أن التفرقة بين التتميم والإكمال من جهة اللفظ ومن جهة المعنى . أما اللفظية فقد اتفق فيها مع ابن أبى الإصبع . وأما المعنى فقال فيها : التتميم إنما يذكر من أجل رفع احتمال متوهم . فالتتميم أو الإتمام يرفع الخطأ مما ليس ذما ، والإكمال يرفع الذم المتوهم إذا لم يذكر[3] .

وخالف محمد الحسناوى أبا هلال ومن ذهب مذهبه فى تعريف التكميل ، فنقل عن ابن حجة الحموى «٧٦٧-٨٣٧/١٣٦٦-١٤٣٣» أن التكميل يرد على معنى يحتاج إلى الكمال[4] .

---

(١) الطراز [٣/١٠٤-٦] .

(٢) الطراز [٣/١٠٩] .

(٣) الطراز [٣/١١٠-١] .

(٤) الفاصلة [٢٤٦] .

(٦) التسهيم

عرّفه ابن أبى الإصبع بأن يكون ما يتقدم من الكلام دليلا على ما يتأخر منه أو العكس . ومنه فى الكتاب العزيز ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ ﴾[١] [الواقعة] .

وعلل التسمية بأنها من الثوب المسهّم ، وهو الذى يدل أحد سهامه على الذى يليه ، لكون لونه يقتضى أن يليه لون مخصوص له ، بمجاور اللون الذى قبله أو بعده [٢] .

وفرق بينه وبين التوشيح من ثلاثة وجوه :

١ – أن التسهيم يُعرف به من أول الكلام آخرُه ، ويعلم مقطعه من حشوه ، من غير أن تتقدم سجعة النثر ولا قافية الشعر . والتوشيح لا تعرف السجعة والقافية منه إلا بعد أن تتقدم معرفتهما .

٢ – أن التوشيح لا يدلك أوله إلا على القافية فحسب . والتسهيم يدل تارة على عجز البيت ، وطورا على ما دون العجز ، بشرط الزيادة على القافية .

٣ – أن التسهيم يدل تارة أوله على آخره ، وطورا آخره على أوله ، بخلاف التوشيح[٣] .

كما فرق بينه وبين التصدير ، بأن تقاضى التصدير لفظى ، وتقاضى التسهيم معنوى[٤] .

وواضح أنه أخذ كلام قدامة عن الشعر ، وطبقه عليه وعلى النثر ، غير أنه تركه كما هو ، فظهر كأنما الحديث عن الشعر وحده .

---

(١) بديع [١٠١] . تحرير [٢٦٣] .

(٢) تحرير [٢٦٣] .   (٣) تحرير [٢٦٧] .

(٤) بديع [٣٧، ١٠٠] . السبكى [٤/٤٤٤–٥] .

وفرق ابن أبى الإصبع بين التمكين والتوشيح ، فذكر أن التوشيح لابد أن يتقدم القافية معنى يدل عليها . وليس كذلك التمكين ، ولا تكون كلمة التوشيح إلا فى أول الصدر ، وإلا فلا توشيح[1] .

(٧) التمكين

وعقد ابن أبى الإصبع بابا لائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام بدأه بالاعتراف بأنه من مخترعات قدامة بن جعفر ، وسماه من بعده التمكين[2] .

وعرفه بأن يمهد الناثر لسجعة فقرته ، والشاعر لقافية بيته ، تمهيدا تأتى به القافية متمكنة فى مكانها ، مستقرة فى قرارها ، ومطمئنة فى موضوعها ، غير نافرة ولا قلقة ، متعلقا معناها بمعنى البيت كله تعلقا تاما ، بحيث لو طُرحت من البيت لاختل معناه ، واضطرب مفهومه [3] .

ثم شرح التعريف فذكر أن التمكين لا يكون بحيث يتقدم لفظها بعينه فى أول صدر البيت ، أو فى أثناء الصدر ؛ أو معنى يدل عليها ، ولا أن تفيد معنى زائدًا على معنى البيت . فإن الأول تصدير ، والثانى توشيح ، والثالث إيغال ، ولا يسمى شيء من ذلك تمكينا [4] .

ولا تخلو كل مقاطع آى الكتاب العزيز من أن تكون أحد هذه الأقسام الأربعة [5] .

---

(١) تحرير [٢٣١] .

(٢) بديع [٨٩] . تحرير [٢٢٤] .

(٣) بديع [٨٩] . تحرير [٢٢٤] . العانى [١٢٢] . الحسناوى [٢٨٦] .
وانظر الزركشى [٧٩/١] . الجندى [١٩٢/٢] . أمين [٢٠٤،٢٠٧] . العانى [١٢٢] . عتر [٢٥٨] .

(٤) بديع [٨٩] . تحرير [٢٢٤] . وانظر الزركشى [٧٨/١-٩] .

(٥) بديع [٨٩] . تحرير [٢٢٥] . وانظر الزركشى [٧٨/١] . العانى [١٢٢] . عتر [٢٥٩] .

ومثل للتمكين بقوله : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾[1] [هود : ٨٧] .
فإنه لما تقدم فى الآية ذكر العبادة ، وتلاه ذكر التصرف فى الأموال ، اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب ، لأن الحلم العقل الذى يصح به تكليف العبادات ويحض عليها ، والرشد حسن التصرف فى الأموال[2] .

وعدّ الزركشى التمكين سرا عظيما من أسرار القرآن[3] .

(٨) ظهور العلاقة

وقسم الزركشى الفواصل تبعا لظهور الصلة بينها وبين ما سبقها من كلام أو عدم ظهورها قسمين :

فواصل ظاهرة الصلة

وفواصل خفية أو مشكلة ، لا تستخرج إلا بالتأمل من اللبيب[4] .

(٩) مقدار الفاصلة

ولاحظ عبد الكريم الخطيب أن من الفواصل ما يجىء على أنه بعض الآية ، لا تقوم الآيات إلا بها ، ولا تستقل هى بمفهوم فى غير آياتها ، مثل ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ ﴾ [الطارق] فالطارق والطارق والثاقب فواصل الآيات ، وهى بمنزلة الجزء من الكل لا يمكن فصلها[5] .

---

(١) بديع [٨٩-٩٠] . تحرير [٢٢٤] . (٢) بديع [٨٩-٩٠] . تحرير [٢٢٤] .
(٣) البرهان [٧٩/١] . وانظر عتر [٢٥٨] .
(٤) البرهان [٧٨/١، ٨٩، ٩٣] . الحسناوى [٢٨٥] . عبد الغفار [٣٢٧، ٣٣١] .
وانظر معترك [٤٦/١] . الإتقان [١١٨/٢] . من بلاغة [٧٦-٨١] . الجندى [١٩٩/٢] .
الخطيب [٢٢٦/٢] . عتر [٢٥٩] . زرزور [٢٤٥] .
(٥) إعجاز [٢٠٦/٢-٧] [٢١٧] . الحسناوى [٢٧] .
وانظر أمين [٢٠٣] . العمرى [١٧٠] .

وذلك كثير فى القرآن ، بل إن أكثر قصار السور جاءت فواصلها على هذا النحو من الاتصال[1] .

ومن الفواصل ما تكون جملا مستقلة ، تؤدى معنى تاما مستقلا بدلالته ، مثل ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] [البقرة : ٢١٨] .

وجعل محمد الحسناوى النوع الأول من الفواصل على وجهين :

الأول : ما كان جزءا لا تقوم الآيات إلا به .

الثانى : ما جاء وكأنه تعقيب على الآية ، أو تلخيص لمضمونها أو توكيد لمعناها . وقد تصرف القرآن فى هذا تصرفا عجيبا . وقد أخذ الحسناوى هذا التقسيم من ثنايا كلام الخطيب .

كذلك جعل الفواصل التى تستغرق آية ترد فى فواتح السور على شكلين :

الأول المؤلف من مجموع حروف مثل الم أو حم .

الثانى المؤلف من كلمة مثل الرحمن أو الحاقة [3] .

وأتى الحسناوى بتقسيم آخر ، وهو يتحدث عن التزام النص فاصلة بعينها مخالفة لعدد من الفواصل المتفقة قبل الفاصلة الملتزمة ، إذ أعلن أن هذا النوع من الفواصل له أنماط بحسب عدد الفواصل المتفقة قبل الملتزمة .

فقد يكون الملتزم كلمة الفاصلة ، مثل التزام « يعلمون » أو « تعلمون » ٢١ مرة فى سورة البقرة ، و « يعملون » أو « تعملون » سبع مرات فيها .

وقد يكون الملتزم قسما مستقلا من القرينة ، مثل ﴿ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٣٩] وردت خمس مرات فى سورة البقرة : يضاف إليها مرتان على الشكلى الآتى ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥] .

(١) إعجاز [٢/٢١٧] . الحسناوى [١٥٦] .

(٢) إعجاز [٢/٢٠٦] . الحسناوى [٢٧-٨] .

(٣) الفاصلة [١٥٥-٦] . وانظر رضا [١٣٤] . العمرى [١٦٩-٧٠] .

وقد يكون الملتزم آية أو قرينة بأسرها . وهو شيء غير يسير ، لعل أهمه ما تردد فى سور الرحمن والمرسلات والصافات والشعراء .

وقد يكون الملتزم مقطعا من آيتين مجتمعتين أو مفترقتين قليلا كما نرى فى سور الشعراء والصافات والقمر . وفى سورة القمر تناوب مقطع من الآيتين ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر : ١٦] و ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٧] أربع مرات تعقيبا على قصص المكذبين .

ولم يقتصر المقطع الملتزم فى سورة الشعراء على آيتين أو ثلاث بل وصل إلى ست آيات مع تغيير طفيف يلائم السياق[١] .

(١٠) علاقتها بالمقطع

كشف محمد الحسناوى عن وجود علاقة مؤكدة بالمقطع الذى توجد فيه من السورة، ثم ذكر أنها على أنواع[٢] :

النوع الأول : علاقة التقسيم والقفل . وذكر فى موضع آخر أنهما نوعان متقاربان ، غير أن القفل يختص بختام السور ، والتقسيم يختص بخواتم المقاطع أو أوائلها .

وقد اعتمد الكاتب على كتاب « قضايا الشعر المعاصر » لنازك الملائكة . فعرّف التقسيم بأنه تكرار كلمة أو عبارة فى ختام كل مقطع [أو أوله] ، لتقوم بعمل النقطة فى ختام المقطع ، وتوحد السورة فى إتجاه معين ، مثل تكرار الآية ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ فى ختام كل مقطع من مقاطع سورة المرسلات ، وهو ما يمكن تسميته اللازمات .

ومن الوسائل التى تساعد على تكرار التقسيم ، وتنقذه من الرتابة أن يجرى الأديب تغييرا طفيفا على العبارة المكررة . وبالفعل نجد اللازمة ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ

(١) الفاصلة [١٦٠-٢] . (٢) الفاصلة [٢٩٢] .

﴿ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ٦٢] المكررة فى أواخر مقاطع سورة الشعراء ، تصير فى آخر مرة : ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء : ٢١٧] لا لكسر الرتابة وحسب ، بل لحسن الختام ، وتكثيف العبرة من المقاطع السابقة وإلقائها إلى الرسول الكريم .

ولما كان التكرار يجنح بطبيعته إلى أن يفقد الألفاظ أصالتها ، وجِدّتها ، ويبهت لونها ، ويضفى عليها رتابة مملة ، ينبغى أن تكون العبارة المكررة من قوة التعبير وجماله ، ومن الرسوخ والارتباط بما حولها ، بحيث تصمد أمام هذه الرتابة . وتعضد نماذج التكرار فى الذكر الحكيم هذا الحكم النقدى الصحيح .

ومن هذا الصنف نوع يرد فيه التكرار فى أول كل مقطع ، مثل قوله فى سورة الشعراء : ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ ، مع تغيير اسم النبى فى كل مقطع .

وأكثر ما ينجح هذا الصنف فى الموضوعات التى تقدم فكرة أساسية يمكن تقسيمها إلى فقرات ، يتناول كل منها حلقة صغيرة جديدة من المعنى ، مثل تكرار قصص الأنبياء واحدا واحدا مع عاقبة المكذبين لهم ، لتثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم .

أما تكرار القفل فيدخل فيما سماه القدامى « حسن الختام » أو « حسن المقطع » .

ونقل عن الزمخشرى : « قد جعل الله فاتحة سورة المؤمنين : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [المؤمنون : ١] وأورد فى خاتمتها : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧] فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة [1] .

(١) الفاصلة [٢٨١-٢٩٢،٣] .

النوع الثانى : علاقة إيقاع موسيقى . وربط بينها وبين تغير الفواصل . وضرب الأمثلة من سورة مريم ، التى لاءم القص فيها التزام روى « يا » « زكريا ، خفيا ، شقيا .. » فى المقطع الأول . ولاءمت الواو والنون سياق الجدل فى المقطع الثانى « يمترون ، فيكون .. » ثم لما عاد القص فى المقطع التالى عاد الروى « يا » « نبيا ، شيئا » وكذلك الحال فى سور آل عمران والنبأ والنازعات[1] .

(١١) علاقتها بالسورة

كذلك كشف محمد الحسناوى علاقة الفاصلة بالسورة ، وذكر أنها ما أطلق عليه القدماء « خواتم السور » و « حسن الختام » .

وهى على أنواع :

النوع الأول : تعلق فاصلة آخر السورة بمضمون السورة أو بغرضها العام ، كخواتم سور المرسلات والضحى والعاديات والكافرون والانفطار . فسورة المرسلات اتجهت إلى إقناع المكذبين مقطعا بعد مقطع ، وحجة بعد حجة ، معقبة على كل مقطع أو حجة بآية ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات : ٤٥،٤٩] ولما استكملت غرضها العام كانت الخاتمة ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [المرسلات : ٥٠] .

وهذا النوع هو النوع السابق نفسه .

النوع الثانى : تعلق الفاصلة الأخيرة من السورة بفواتحها كما فى سور المؤمنون وص والقلم . يقول فى صدر سورة ص : ﴿ صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ ﴾ [ص : ١] وفى خاتمتها : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

النوع الثالث : تعلق الفاصلة موسيقيا بجو السورة . وهذا ما يبدو جليا فى السور الإحدى عشرة ، ذوات الروى الموحد « المتماثل » : القمر ، المنافقون ، الأعلى ،

(١) الفاصلة [٢٩٣] .

الشمس ، الليل ، القدر ، العصر ، الفيل ، الكوثر ، الإخلاص ، الناس . وقريب منها السور ذوات الروى المتقارب ، لاسيما الفاتحة ويونس والمؤمنون والدخان والقلم والمطففون والتين والماعون .

النوع الرابع : ويتفرع عن النوع الثالث ، وهو تعلق الفواصل موسيقيا بمجموع القرآن من وجهين :

الأول : غلبة فواصل النون الساكنة المردوفة بواو أو ياء .

الثانى : غلبة الوقف على السكون على سائر الفواصل الأخرى ، حتى إن القارئ الشادى [الناشيء] يميز التعبير القرآنى بواحدة من هاتين الظاهرتين أو بهما معا ، بالإضافة إلى مزايا التعبير القرآنى الأخرى .ولا تقل عن هاتين الظاهرتين ظاهرة ثالثة ، ألا وهى اطراد الفاصلة فى سور القرآن وآياته جميعا .

وختم الحسناوى بأن قال : إن باب العلاقات واسع سعة باب الدلالات[1] .

---

(١) الفاصلة [٢٩٣-٤] .

(ب) وفق بنيتها

١ – الروى

(١) الروى المتماثل والمتقارب

كان الرمانى أول من قسم الفواصل حسب حروف الروى فصرح : الفواصل على وجهين :

١ – ذات الحروف المتجانسة ، كقوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝٢ ﴾ الآيات وسماها ابن سنان وأكثر المؤلفين بعده بالحروف المتماثلة .

٢ – ذات الحروف المتقاربة ، كالميم والنون فى ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ ﴾ والدال والباء فى قوله : ﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ ثم قوله : ﴿ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾[١] .

وخشى الرمانى أن يظن ظان أن هذا النوع متدنى الدرجة ، فنص على أن فيه بلاغة وحسن عبارة . ولكن أبا هلال العسكرى جعل هذا النوع دون الأول[٢] .

ونقل السيوطى عن فخر الدين الرازى وغيره أن الفواصل لا تخرج عن هذين النوعين[٣] .

---

(١) النكت [٩٠] . القلقشندى [٢/٢٨٢] . ضيف [١٠٥،١٥٥] . سلطان [٧٣] . شرشر [٦٤–٥] . أبو على [٧٩] . ستيوارت [١٢] .
وانظر الباقلانى [٢٧١] . ابن سنان [١٦٥–٦] . الزركشى [١/٧٢] . معترك [١/٥٣–٤] . الإتقان [٢/١٢٠] . بلاغة بدوى [٨٨] . الجندى [٢/١٠–١١، ١٨٤] . أبو زهرة [٢٩٣] . عائشة [٢٤٢] . عتر [٢٥٦] . زرزور [٢٤٨] . الحسناوى [١٣٩،١٤٦] . الدباغ [٢٤] . رمضان [٥٠] . العمرى [١٧٤] . صالحة [١٢٨] . الحناوى [١٨٨] . أبو على [٧٩] . ستيوارت [١٢] .

(٢) الصناعتين [٢٨٨] . ستيوارت [٢٨] .

(٣) معترك [١/٥٤] . الإتقان [٢/١٢١] . الجندى [٢/١٨٥] . ستيوارت [١٣] .
وانظر من بلاغة [٨٨] . زرزور [٢٤٨] .

وتردد الزركشي فاتفق مرة مع الرازي[1] . وصرح فى مرة أخرى أن الفاصلة قد تكون لا نظير لها فى القرآن ، كقوله عقب الأمر بالغض فى الآية «٣٠» من سورة النور ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾[2] .

وأعلن أحمد بن على المعروف بالقلقشندى أن الرمانى سمى الصنف الأول من الفواصل : السجع الحالى ، والثانى : السجع العاطل[3] ، وأنه على السجع الحالى عمل أكثر الكتاب من زمن القاضى الفاضل إلى عصره ، وأن السجع العاطل سموه الازدواج أيضًا ، وكان عليه عمل السلف من الصحابة ومن قارب زمانهم[4] .

ولاحظ سيد قطب أن تماثل الروى يشتد فى السور القصيرة ، ويقل غالبا فى السور الطويلة [5] .

وحدد د/ أحمد أحمد بدوى موضع الفاصلة المنفردة بنهاية السور ، لتكون كالمقطع الأخير ، نحو قوله فى ختام سورة الضحى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾[6] .

وذهب أنيس المقدسى إلى أن السور المكية لما كانت – عموما – أقدم من المدنية ، وكان موقف النبى فيها – ولا سيما فيما يرجع إلى أوائل الدعوة – موقف الداعية المتحمس لمبدأ روحى ، يرى من الواجب إعلانه والجهاد فى سبيله ؛ كانت هذه السور– فى أكثر مواقفها – أنزع إلى الاتقاد الخطابى ، وأشد انقضاضا على المقاومين . فهى غالبا حملات نارية يجرى الكلام فيها بفقرات قصيرة رنانة ، يكثر

---

(١) البرهان [١/٧٥] . الحسناوى [١٣٩] .

(٢) البرهان [١/٩٣-٤] . وانظر معترك [١/٤٨] . الإتقان [٢/١٢٠] .

(٣) صبح [٢/٢٨٣] . الجندى [٢/١٣،١٨،٤٢] .

(٤) صبح [٢/٢٨٣] . وانظر الجندى [٢/١٨] .

(٥) التصوير [٨٩] .

(٦) من بلاغة [٨٨] . أمين [٢٠٨] . زرزور [٢٥١] . الحسناوى [١٤٨] .

فيها التسجيع . على أن القرآن لا يتقيد بالسجع تقيد المقامات ونظائرها ، بل كثيرا ما ينتهى بفواصل متقاربة غير مقيدة بالقوافى[1] .

وأكمل د/حسن ضياء الدين عتر الصورة ، فذكر أن أكثر ما تكون الفواصل تماثلا فى حروف الروى فى الآيات والسور المكية ، وأكثر ما تكون تقاربا فى الآيات المدنية [2] . وقال أيضًا : قلما يلحظ القارئ فاصلة منفردة عما سواها [3] .

ولاحظ محمد أبو زهرة عليها أمورا ثلاثة :

أولها : تقارب مخارج الحروف فيها ، فالدال والتاء والظاء مخارجها واحدة ، النطق فيها متقارب ، ولا نفرة بينها [4] .

ثانيها : وجود حرف المد قبل الحرف الأخير من كل مقطع .

ثالثها : اتحاد النغم والموسيقا فى كل المقاطع . فهى كلها مؤتلفة فى حروفها وألفاظها وجملها ومقاطعها حتى كونت صورا بيانية تجعل كلام اللّٰه فوق كل مقال .

وبالأمرين الأول والثانى ، كان التقارب فى المقاطع تقاربا بينا يجعل نسق القول واحدا، ولو لم تتحد المقاطع[5] .

وذكر د/ بكرى شيخ أمين أن جميع الحروف التى تتكون منها الفواصل تحمل لحنا إيقاعيا لا يتوافر فى الحروف الأخرى ، وأن حرفين منها سهلا المخارج ، فيهما غنة محببة تساعد على إخراج صوت محبب من الأنف[6] .

---

(١) تطور [٤٨] .

(٢) بينات [٢٥٦] . وانظر أبو حمدة [١٤] . الحسناوى [١٤٧] .

(٣) بينات [٢٥٦] .

(٤) المعجزة [٢٩٤] . وانظر الحسناوى [٢٧٠] .

(٥) المعجزة [٢٩٤] .

(٦) التعبير [٢٠٣] .

وجعل د/ السيد محمد الحكيم من مميزات الأسلوب القرآنى أن فواصله ليست على نهج واحد ، ولا على نسق معين . فقد يلتزم فى بعض السور فاصلة على حرف خاص ، بحيث تأتى جميع الفواصل فى تلك السورة على ذلك الحرف مثل سورة الكوثر .

وقد لا يلتزم ذلك ، فيختلف الحرف الأخير من الفواصل فى أثناء السورة الواحدة كما فى سورة الفاتحة . فقد التزم فى بعض فواصلها حرف الميم ، وفى بعضها حرف النون .

وقد تأتى الفواصل كلها على حرف معين ، وتأتى فيها آية لها فاصلة على حرف خلاف هذا الحرف كسورة المزمل ، حيث جاء فى آخرها : ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ [المزمل : ٢٠] وليس فى الفواصل السابقة حرف الميم[(١)] .

وأضاف د/ عدنان زرزور إلى ما قاله د/ أحمد بدوى أن الفواصل المنفردة وردت أيضا فى ثنايا بعض السور كما فى عبس والبلد والانشقاق[(٢)] .

وأعلن محمد الحسناوى أن الفواصل المنفردة لم ترد فى أواخر السور وحسب ، بل وردت فى بداياتها كقوله فى أول سورة النصر : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ وفى ثنايا السياق كقوله فى الآية «١٧» من سورة الرحمن : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾[(٣)] .

ولاحظ أن البنية الداخلية للقرينة هى التى سوغت انفراد معظم الفواصل المنفردة [(٤)] .

وعلى الرغم من ذلك ، وصف هذه الفواصل بالندرة ، وحصرها فوجدها لا تتجاوز «٢٣» فاصلة ، وردت فى «٢١» سورة ، جاء الانفراد فى فواتح خمس

(١) إعجاز [٩٧-٨] .

(٢) القرآن [٢٥١] .

(٣) الفاصلة [٢١٠] - وانظر ستيوارت [١٣] .

(٤) الفاصلة [٢١١] .

منها ، هى الأعراف والرعد وص والمزمل والنصر ؛ وفى صلب «١٢» هى النساء ، طه ، الأنبياء ، الحج ، الزمر ، الرحمن ، التحريم ، القيامة ، النازعات ، عبس ، الانشقاق ، الكافرون ؛ وفى خواتم أربع هى النجم والانفطار والضحى والمسد(١) .

وذكر الحسناوى أن المتماثل الحروف والمتقاربها غالبان على الفواصل ، لا يكاد أحدهما يزيد عددا على الآخر(٢) .

وقد استقلت الفواصل المتماثلة بإحدى عشرة من سور المفصل « السور القصار » ، ومعظمها مكى(٣) : والمتقاربة بإحدى وأربعين سورة : ما اشتد فيها التقارب : الفاتحة ، التوبة ، يونس ، الحجر ، النحل ، المؤمنون ، الشعراء ، النمل ، القصص ، العنكبوت ، الروم ، السجدة ، يس ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، الحجرات ، الممتحنة ، الجمعة ، التغابن ، الملك ، القلم ، المطففون ، التين ، الماعون . وما ضعف فيها التقارب : الأنعام ، لقمان ، سبأ ، فصلت ، محمد ، الفتح ، ق ، المجادلة ، الصف ، الطلاق ، الجن ، الإنسان ، البروج ، الهمزة ، قريش .

وتبلغ السور ذوات الفواصل المتنوعة إحدى وأربعين ، وهى بقية السور(٤) .

وصرح ديفين ستيوارت : توجد حالات من التقفية غير الكاملة فى القرآن ، التى لم يعتد بها - غالبا - بوصفها تقفية . إن وجود حروف الباء والدال والقاف فى سياقات تكون فيها القافية منتظمة أو متوقعة يؤدى إلى التقفية بين هذه الحروف . وهو ما ينطبق على حرفى اللام والراء بالمثل . وتتحقق هذه التقفية - على سبيل المثال - فى سورة المسد ، حيث كلمات القوافى هى : وتب - كسب - لهب - حطب - مسد . وأيضًا فى سورة الفلق ، حيث كلمات القوافى هى : فلق - خلق - وقب - عقد - حسد . إلى جانب أمثلة أخرى كثيرة . ولا يسمح بمثل

(١) الفاصلة [٢٩٨] .

(٢) الفاصلة [١٤٧] .

(٣) الفاصلة [١٤٧،٢٧٤،٢٨٠،٢٩٧] .

(٤) الفاصلة [٢٩٧-٨] .

هذه التقفية فى الشعر . وعلى قدر ما أعلم ، فإن كتاب السجع الذين جاءوا بعد القرآن لم يستخدموها [1] .

وبرغم أن الروى يتعدد فى سور القرآن ، فإن استخدام الروى الواحد ظاهر أيضا . فمثلا تتكون سورة الأعراف من «٢٠٦» آية ، منها «٢٠٣» آية مقفاة على « و ن » و «وم » و « ين » و « يم » ، ويتوحد الروى فى «١١٨» من آيات سورة المؤمنون ، و «٩٣» من سورة النمل ، و «٨٣» من يس و «٧٨» من الرحمن[2] .

(٢) الترصيع : الروى الداخلى

وأتى أبو هلال بنوع آخر تحت عنوان « الترصيع » ، وعرفه بأن يكون حشو البيت مسجوعا [3] ، وأصله من قولهم : رصعت العقد : إذا فصلته [4] . ومثاله قول امرئ القيس :

سليم الشظا ، عَبل الشوى ، شنج النَّسا
له حجبــات مشــرفات على الفـــال

وكل الأمثلة الأخرى التى أتى بها هنا من الشعر[5] . ووصفها بأنها سجع فى سجع ، وأتى لها بأمثلة من السجع ، وعدها أحسن وجوه السجع[6] .

وعرّفه ابن سنان بأن يعتمَد تصيير مقاطع الأجزاء فى البيت المنظوم أو الفصل من الكلام المنثور مسجوعة [7] . وشبّهه بترصيع الجوهر فى الحلى[8] . وأعلن أن هذا وأمثاله

(١) السجع [١٢] .
(٢) السجع [٢٠] .
(٣) الصناعتين [٤١٦] . وانظر الجندى [٩/٢] .
(٤) الصناعتين [٤١٦] . وانظر ابن الأثير [٣٦١/١] . الجندى [١٩/٢] .
(٥) الصناعتين [٤١٦-٢١] .
(٦) الصناعتين [٢٨٨،٢٩٠] .
(٧) سر [١٨٢] .
(٨) سر [١٨٢] . وانظر الجندى [١٩/٢] .

حسنٌ إذا كان قدرا يسيرا . فإذا كثر وتوالى قبح لدلالته على التكلف وشدة التصنع .
وعرفه فخر الدين الرازى بأن تكون ألفاظ القرائن مستوية الأوزان ، متفقة الأعجاز «الروى»[1] ، نحو ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾[2] [الغاشية] .
وذهب ابن الأثير إلى أن هذا النوع لا يوجد فى كتاب الله ، لما هو عليه من زيادة التكلف[3] .

ورد على من ادعى ذلك ، واستشهد بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار] : ليس الأمر ما وقع له ، فإن لفظة « لفى » قد وردت فى القرينتين معا ، وهذا يخالف شرط الترصيع الذى شرطناه ، لكنه قريب منه [4] .

ثم قال : وقد أجاز بعضهم أن يكون أحد ألفاظ القرينة الأولى مخالفا لما يقابله من القرينة الثانية ؛ وهذا ليس بشيء لمخالفته حقيقة الترصيع[5] . وأرباب هذه الصناعة قد قسموا الترصيع إلى هذين القسمين المذكورين[6] . وهذه القسمة لا أراها صوابا ، لأن حقيقة الترصيع موجودة فى القسم الأول دون الثانى[7] .
وذهب ابن النقيب إلى أن الترصيع كثير فى كتاب الله [8] .

---

(١) سر [١٨٢-٣] .
(٢) نهاية [١٤٤] .
وانظر ابن الأثير [٣٦١/١] . الإشارات [٢٩٨-٩] . التلخيص [٣٩٨] . الإيضاح [٥٤٧] العلوى [٣٧٣/٢] . القلقشندى [٢٨٢/٢] . الجندى [٩/٢] .
(٣) المثل [٣٦١/١] . وانظر العلوى [٣٧٣/٢] .
(٤) المثل [٣٦١/١] . وانظر العلوى [٣٧٣/٢-٧] . الزركشى [٧٧/١] . الحسناوى [١٥٠] .
(٥) المثل [٣٦٢/١] .
(٦) المثل [٣٦٢/١] .
(٧) المثل [٣٦٢/١] .
(٨) مقدمة [٤٧٦] .

وذهب العلوى إلى أن اشتقاقه من قولهم : تاج مرصع ، إذا كان فيه حلية ، والترصيع : التركيب(١) .

وأفاض فى قسمى الترصيع اللذين ذكرهما ابن الأثير ، فقال : يَرِد فى الكلام على وجهين :

الوجه الأول منهما أن يكون كاملا ، وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ القرينة الأولى مساوية لكل لفظة من ألفاظ القرينة الثانية فى الأوزان والقوافى ، من غير مخالفة لإحداهما للثانية فى زيادة ولا نقصان .

وما هذا حاله فإنه يعز وجوده . وقليلا ما يقع فى كلام البلغاء ، لصعوبة مأخذه ، وضيق مسلكه .

ولم يوجد فى القرآن شيء منه . وما ذاك إلا لأنه جاء بالأخف الأسهل ، دون التعمق النادر ، مع أنه قد أخرس الجن والإنس .

الوجه الثانى . ويقال له الناقص ، وهو أن يختلف الوزن وتستوى الأعجاز . ومثاله : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار] . فاختلاف الوزنين فى الأبرار والفجار لا يخرجه عن كونه ترصيعا .

فهذا وأمثاله : هل يكون معدودا من الترصيع أم لا ؟ فالذى عليه الأكثر من أهل البلاغة كالمطرزى وعبد الكريم صاحب البيان وغيرهما أنه – لا محالة – معدود منه ، وإن كان مخالفا فى الزنة ، فأما ابن الأثير فقد أبى عدّه منه ، وزعم أنه لا يُعدّ فى الترصيع إلا الوجه الاول . والأمر فيه قريب . والمختار ما عليه الأكثر .

وعرف السبكى الترصيع بأن يماثل ما فى إحدى القرينتين أو أكثره ما يقابله من الأخرى فى الوزن والتفقية ، نحو قول الحريرى : « فهو يطبع الأسجاع ، بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع ، بزواجر وعظه »(٢) .

(١) الطراز [٣٧٣/٢] . وانظر الجندى [١٩/٢] .

(٢) عروس [٤٤٧/٤] . التفتازانى [٤٤٧/٤] . وانظر ستيوارت [٢٨] .

وروى الزركشي عن بعض المغاربة : سورة الواقعة من نوع الترصيع[1] . ثم رد عليه : تتبّع آخر آياتها يدل على أن فيها موازنة [2] .

وزاد الزركشي تعريف الترصيع وضوحا فاشترط أن يكون المتقدم من القرينتين مؤلفا من كلمات مختلفة ، والثاني مؤلفا من مثلها في ثلاثة أمور : الوزن ، والتقفية ، وتقابل القرائن[3] .

وسمى القلقشندى هذا النوع : التصريع ، واستجاده [4] .

وعنى د/ على الجندى باختلاف البلاغيين فيه ، فقال : يعم النثر والنظم ، عند ابن الأثير والحموى والباقلانى والوطواط . وقصر السكاكى أمثاله على النثر . وجعله العسكرى وابن رشيق خاصا بالشعر . وهما يتبعان فى ذلك قدامة ، حيث جعله من نعوت الوزن ، سواء أكان تقطيع أجزاء البيت مسجوعا أو شبيها بالمسجوع[5] .

وتحدث محمد الحسناوى عن ظاهرة السجع داخل السجع ، غير أنه اتسع بها حتى شملت نوعى السجع المتماثل والمتقارب ، وأنه لم يذكر الاسم الذى أطلقه أبو هلال عليها ، وإنما اتفق مع من رددوا اسمى التشريع والتوءم ، على الرغم من اختلاف تصوره لها عن تصورهم . ومهما يكن من شيء ، فقد آثر أن يسميها « الفاصلة الداخلية » أو « الفواصل الفرعية » .

وأعلن : إذا تأملنا هذه الفواصل وجدناها تنقسم انقسام الفواصل الأصلية إلى : فواصل متماثلة ومتقاربة ومتباعدة .

---

(١) البرهان [٧٧/١] .

(٢) البرهان [٧٧/١] .

(٣) البرهان [٧٧/١] . وانظر معترك [٥٠/١] . الإتقان [١١٩/٢] . الحسناوى [١٥٠] .

(٤) صبح [٢٨٢/٢] . ستيوارت [٢٨] .

(٥) صور [٨/٢] .

وللفواصل الداخلية المتماثلة شواهد كثيرة ، تكاد تغلب عليها التفقية بالواو والنون ، نتيجة انتشار هذه التقفية فى الفواصل الأصلية ، نحو : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم : ١٧] .

ومن هذا القسم ما يتفرع داخليا إلى فرع آخر ، نحو : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل : ٢٣] .

أما الفواصل المتقاربة من هذا النوع فأقل ، نحو : ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف : ٦١] .

ومنها يتفرع فرع آخر كالقسم السابق ، نحو : ﴿ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام : ٧٠] .

ومن الفواصل المتباعدة ، وهى أقل من القسمين الآخرين ، قوله : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٩٨] .

ومن الجدير بالذكر أن الفاصلة الداخلية ظاهرة من ظواهر القرائن والفقرات الطويلة ، لأنها تقوم مقام المرتكزات والمحطات النفسية معنى وموسيقا [1] .

(٣) حروف الروى

كان محمود بن حمزة الكرمانى « نحو ٥٠٥/١١١٢» أول من فطن إلى حروف المد فى فواصل إحدى السور ، فقال : سورة ص بنيت فواصلها على ردف أواخرها بالياء والواو . فقال فيها : الأوتاد ، الأحزاب ، عقاب . وجاء بإزاء ذلك فى ق : ثمود وعيد[2] .

ويبدو أن فى النص شيئًا من الاضطراب . فالحق أن آيات سورة ص مردوفة بالألف إلى الآية «٦٦» ثم تردف بعد ذلك بالياء أو الواو ، وأن آيات سورة ق هى المردوفة كلها بالواو أو الياء .

(١) الفاصلة [١٥٧-٩] .

(٢) البرهان [١٨٣] . وانظر الرافعى [٢٤٦] .الحسناوى [١٧٦-٧،٢٥٦] .

ولحظ الزركشى أنه قد كثر فى القرآن ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون ، وحكمة ذلك وجود التمكن من التطريب بذلك[1] .

وصرح مصطفى صادق الرافعى : أكثر ما تنتهى الفواصل بالنون والميم ، وهما الحرفان الطبيعيان فى الموسيقا نفسها [2] ؛ أو بالمد ، وهو كذلك طبيعى فى القرآن . فإن لم تنته بواحدة من هذه ، كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى ، كان ذلك متابعة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها ، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضعه [3] . وعلى أن ذلك لا يكون - أكثر ما أنت واجده - إلا فى الجمل القصار[4] . ولا يكون إلا بحرف قوى يستتبع القلقلة أو الصفير أو نحوهما مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقى[5] . وهذه هى طريقة الاستهواء الصوتى فى اللغة [6] .

وأعلن عبد الوهاب حمودة أن جميع آيات سورة ق فواصلها مبنية على أن يردف آخر حرف منها بالياء ، أو الواو ، وسورة ص بنيت فواصلها على أن تردف أواخرها بالألف[7] .

---

(١) البرهان [٦٨/١] . السلامى [٢٢٣] . الحسناوى [١٠، ١٨٥، ٢٥٦] .
وانظر معترك [٥٣/١] . الإتقان [١٢٠/٢] . حمودة [٤٥] . الجندى [١٨٤/٢] . أبو زهرة [٣٠٣] . عتر [٢٥٦-٧] . السلامى [٢٢٣] .

(٢) إعجاز [٢٤٦] بدوى [٧٥] . الجندى [١٨٥/٢] . الزفزاف [١٢٤] . أبو زهرة [٣٠٣] . السلامى [٢٢٣] . الحسناوى [٦٣، ٦٧] . وانظر زرزور [٢٣٩] . أمين [٢٠٣] . ستيوارت [١٢] .

(٣) إعجاز [٢٤٦] . الجندى [١٨٥/٢] . الزفزاف [١٢٤] . أبو زهرة [٣٠٣] . السلامى [٢٢٣]. وانظر أمين [٢٠٣] . الحسناوى [٦٣، ٦٧] .

(٤) إعجاز [٢٤٦] . الجندى [١٨٥/٢] أبو زهرة [٣٠٣] السلامى [٢٢٣-٤] . الحسناوى [٦٣].

(٥) إعجاز [٢٤٦] . الجندى [١٨٥/٢] . أبو زهرة [٣٠٣] . الحسناوى [٦٣-٤] .

(٦) إعجاز [٢٤٧] . أبو زهرة [٣٠٣] .الحسناوى [٦٤] .

(٧) لواء [٤٥] . وانظر أبو زهرة [٢٩٤] .

وقال د/ على الجندى عن حرف النون الذى يكثر فى الفواصل : كلنا نحس أن النون حرف نوّاح ، يتضمن شحنة قوية من النغم المشع كيفما استعملته . ومن العجيب أن مادة الرنين قد اكتسبت صفتها من هذا الحرف نفسه [(١)] .

وذكر محمد الحسناوى أن القرآن تناول فى الفواصل حروف الأبجدية العربية أو معظمها ، على تفاوت بينها فى النسبة [(٢)] ، وأنه أهمل الخاء[(٣)] ، ولم يهمل الحروف العصية مثل الطاء والظاء ، وأنه طوع هذه الحروف بالوسائل الثلاث الآتية :

١ - إرداف الروى غير المستساغ بحرف مد ، كما فى سورة البروج .

٢ - ختم هذا الروى بحرف مد ، كما فى سورتى النساء والكهف .

٣ - الجمع بين مدّى الردف والختم ، كما فى سورة النساء [(٤)] .

ولاحظ ديفين ستيوارت أن السور الطويلة - بما فيها سورة البقرة - لم يخرج الروى فيها عن « ين » و « ون » و « يم » و « وم » ، وأن هذه القوافى تظهر فى «٥٥» سورة ، وأن من القوافى الشائعة أيضًا « يل » و « ول » و « ير » و « ور »[(٥)] .

وأتى بالإحصاء الآتى لحروف الروى تبعا لشيوعها فى الفواصل :

ن ٣١٥٢	م : ٧٤٢	ر : ٧١٠	د : ٣٠٨
ى : ٢٤٥	ب : ٢٢١	ل : ٢١١	هـ : ١٢٩
ى : ٩٢	ق : ٦٥	ت : ٤٥	ع : ٣٣
ف : ٢١	ج : ٢٠	ط : ١٩	ز : ١٧
ظ : ١٧	س : ١٤	ص : ١٠	ك : ٩
ث : ٦	ج : ٥	ض : ٤	ش : ٣
و : ٣	ذ : ٢	غ : ١	

(١) صور [١٨٤/٢] .

(٢) الفاصلة [٢٠٩-١٠] .

(٣) الفاصلة [٢٩٧] .

(٤) الفاصلة [٢١٦-٧] .

(٥) مجلة فصول [١٢] .

والفاصلة الأثيرة فيه النون الساكنة المردوفة بواو أو ياء ، وردت «٣٠٥٠» مرة ، «١٧٥٨» مردوفة بالواو ، و «١٢٩٢» مردوفة بالياء .

وعدد الفواصل المردوفة - ما عدا فواصل الضمائر : «٥١٦٥» .

وعدد الفواصل المردوفة منها بياء : «٢٦٧٢» + من الضمائر : (٥) .

وعدد الفواصل المردوفة منها بواو : «٢٠٤٨» + من الضمائر : (٣) .

وعدد الضمائر المردوفة منها بألف : «٤٤٥» + من الضمائر : «٢٩»[١] .

ورأى فى كثرة الفواصل المردوفة بعكس الشعر الدلالات التالية :

أولاها : تميز فواصل القرآن من غيرها .

ثانيها : ميل الفواصل إلى الموسيقا الخفية فى الردف ، غير الصارخة فى الروى .

ثالثها : إتاحة المجال لحروف الروى الساكنة أن تظهر على طبيعتها الأصلية فى السمع والنفس ، لاسيما فى الفواتح بالحروف المقطعة .

رابعها : إثراء التقفية بالدلالات[٢] .

وربط بين كثرة النون المردوفة بواو أو ياء وبين جمع المذكر السالم وثلاثة من الأفعال الخمسة لتشابهها الصوتى . واستدل من ذلك أن هذه الفواصل تعبر عن غاية القرآن فى مخاطبة مجموع البشر من مؤمنين ومشركين ومنافقين[٣] .

وذكر أن الميم والنون المردفتين بواو أو ياء استقلتا بست سور ، كلها مكية ، هى المؤمنون والروم والقلم والمطففون والتين والماعون[٤] .

---

(١) الفاصلة [١٩٦-٧] .

(٢) الفاصلة [٣٠١] .

(٣) الفاصلة [١٩٤] .

(٤) الفاصلة [١٩٦-٧] .

ولم يكتف محمد الحسناوى بهذا ، بل سعى إلى معرفة مخارج حروف الروى ، فخرج إلى القول التالى : لو رحنا نتملى الإيقاع الموسيقى لفواصل سورة الكهف ، لرأينا أمرًا عجبا يأخذ بالألباب والأسماع جميعا . فما السر ؟

لم تكن حروف الروى من مخرج واحد ، بل جاءت عل التوزيع التالى :

١ - واحد وأربعون رويا ذلقيا ، هى :

الراء ٢٤

اللام ١٢

النون ٥

٢ - سبعة وعشرون نطعيا ، هى :

الدال ٢٥

الطاء ٢

٣ - خمسة وعشرون شفويا ، هى :

الباء ١٩

الميم ٤

الفاء ٢

٤ - ستة حلقية ، هى :

العين ٥

الهمزة ١

٥ - ستة لهوية :

القاف ٦

٦ - رويان أسَليان :

الزاى ١

الصاد ١

٧ – رويان شَجريان :

الجيم ١

الضاد ١

إذن اجتمع للروى سبعة مخارج من عشرة فى العربية . والمخارج التى لم ترد فى سورة الكهف هى : الجوفية الهوائية ، واللثوية ، والخيشومية .

أما غياب الأولى – وهى حروف المد الثلاثة – فبسبب طبيعتها فى المد أو حركتها الساكنة . وكذلك غياب الثانية – وهى الظاء والذال والثاء – لشبهها بالأولى من حيث الوقف . وأما الأخيرة – وهى النون والميم المشددتان ، والنون الساكنة والتنوين عند إدغامهما بغنة أو إخفائهما – فلأنها من حروف الروى النادرة فى العربية ، وإن كان القرآن لم يهملها كل الإهمال فى مواضع أخرى[١] .

(٤) لزوم ما لا يلزم

عقد ابن الأثير فصلا لـ « لزوم ما لا يلزم » وعرفه بالتزام المؤلف ما لا يلزمه[٢] ، وهو أن تكون الحروف التى قبل الروى حرفا واحد[٣] .

ووصفه بأنه من أشق هذه الصناعة مذهبا ، وأبعدها مسلكا[٤] .

ثم قال : وقد ورد فى القرآن شيء من هذا اللزوم ، إلا أنه يسير جدا . فمن ذلك قوله : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾[٥] [العلق] .

(١) الفاصلة [٢٧٠-١] .

(٢) المثل [٣٦٥/١] . وانظر التلخيص [٤٠٦] . الإيضاح [٥٥٣] .

(٣) المثل [٣٦٥/١] . وانظر الإشارات [٣٠٣] . التلخيص [٤٠٦] . الإيضاح [٥٥٣] . ابن النقيب [٤٨٩] . معترك [٥١/١] . الإتقان [١٢٠/٢] . من بلاغة [٨٨] . الحسناوى [١٤٦،٢٧٥] . ستيوارت [١٣] .

(٤) المثل [٣٦٥/١] .

(٥) المثل [٣٦٥/١] .

وأضاف ابن النقيب أنه يسمى التضييق والتشديد والإعنات أيضًا [1] .

وأعلن أنه فى القرآن كثير[2] ، بل هو مشحون[3] به ، غير أنه احترس فقال : إنه أتى فيه عفوا من غير قصد .

وربما وقع فى أقوال الفصحاء العرب من غير قصد ، أما المتأخرون فيقصدون ذلك ويتكلفون فى استعماله[4] .

وزاد العلوى فى تعريفه فقال : أن يلتزم الكاتب حرفا مخصوصا قبل الروى أو حركة مخصوصة [5] .

وذكر أنه يقال له : الإعنات ، لأن الأديب - إذا التزمه - فهو إعنات لنفسه ، وكد لقريحته ، وتوسع فى فصاحته وبلاغته[6] . ولذلك ، إن خالفه فلا عيب عليه فى ذلك ، وكان له فى تغييره مندوحة [7] .

وعلل قلته فى القرآن بأنه غير لازم فى البلاغة والفصاحة [8] .

وأضاف السيوطى الأمثلة التالية :

١ - التزام حرف واحد قبل الروى كقوله : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ ﴾ [الضحى] التزم الهاء قبل الراء .

٢ - التزام حرفين نحو : ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ ﴾ [الطور] التزم الطاء والواو .

٣ - التزام ثلاثة أحرف نحو : ﴿ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝٢٠٢ ﴾ [الأعراف] التزم الصاد والراء والواو[9] .

---

(١) مقدمة [٤٨٩-٩٠] .
(٢) مقدمة [٤٨٩] .
(٣) مقدمة [٤٩٠] .
(٤) مقدمة [٤٩٠] .
(٥) الطراز [٢/٣٩٨] .
(٦) الطراز [٢/٣٩٧-٨] .
(٧) الطراز [٢/٣٩٨] .
(٨) الطراز [٢/٣٩٩-٤٠٠] .
(٩) معترك [١/٥٠-١] . الإتقان [٢/١٢٠] . من بلاغة [٨٨-٩] . الحسناوى [١٤٦،٢٧٦] ستيوارت [١٣] . وانظر زرزور [٢٤٨-٩] .

(٥) حركة الروى

وأشار محمد بن على الجرجانى «١٣٢٨/٧٢٩» إلى أنه لا يشترط فى حسن الأسجاع الإعراب ، ويكتفى فى المقصود بالوقف على السكون ، لئلا يلزم الحرج فى الكلام ، ألا ترى أنك لو أعربت لفسد أكثر الأسجاع ،كقول البستى : « إذا ملكٌ لم يكن ذا هبةٍ ، فدعْه فدولتُه ذاهبةٌ »[١] .

وجاء فى محاضرة للدكتور إبراهيم أنيس حول وقف الفواصل ما يلى : لا يكاد الوقف القرآنى يتجه إلى غير الوقف بالسكون إلا فى حالات قليلة منها :

١ - الوقف على المنصوب بالألف مثل : ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴾ ونسبة الوقف بالألف فى آيات القرآن فى حدود ١٢٪ .

٢ - الوقوف على « ها » ضمير المؤنثة الغائبة مثل ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ .

٣ - الوقوف بهاء السكت مع ياء المتكلم فى القليل من الآيات فى سورتى القارعة والحاقة . ولكن المألوف السائد فى ياء المتكلم حين تقع فى رؤوس الآيات هو أن تحذف[٢] .

وفطن كامل السيد شاهين إلى التزام القرآن فى الفواصل حركة واحدة ، وإن اختلف الروى ، كما نرى فى سورة الكهف : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨ ﴾[٣] [الكهف] .

---

(١) الإشارات [٣٠٠] . وانظر التلخيص [٤٠٠] . الإيضاح [٥١٩] . السبكى [٤/٤٥٠] . التفتازانى [٤/٤٥٠] . الزركشى [١/٦٩-٧١] . القلقشندى [٢/٢٨٠] . معترك [١/٥٣] . الإتقان [٢/١٢٠] . حمودة [٤٥] . الجندى [٢/١٩٦] . أسس [٦٠٠] . الحكيم [١١٣] . زرزور [٢٣٧]. الحسناوى [١٠،٧١،١٣٥-١٧٧،٦] ستيوارت [١٣] .

(٢) الحسناوى [٧١،١٣٦-٧] .

(٣) مجلة الوعى الإسلامى [٢١-١٨] . الحسناوى [٨٥،٢٦٨] .

وصرح محمد الحسناوى بأن هذه الظاهرة أمر ذوبال فى موسيقا التقفية ، لأن المألوف فى الشعر العربى والسجع التزام الحركة وحرف الروى معا [1] ، إضافة إلى ما تحدثه من ترنم موسيقى[2] .

(٢) الكلمة الأخيرة

صرح أبو هلال العسكرى : السجع على وجوه .ثم ذكر الوجوه التالية : فمنها أن يكون الجزءان [القرينتان] متوازنين متعادلين . لا يزيد أحدهما على الآخر ، مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه . ومثل لهذا النوع بقول أعرابى لرجل سأل لئيما : « نزلت بوادٍ غير ممطور ، وفناء غير معمور ، ورجل غير مسرور ، فأَقِمْ بنَدَم أو ارتحلْ بَعَدم »[3] .

ومنها أن يكون ألفاظ القرينتين المزدوجتين مسجوعة ، فيكون الكلام سجعا فى سجع ، مثل قول أبى على الفضل بن جعفر البصير : « حتى عاد تعريضك تصريحا ، وتمريضك تصحيحا » . فالتعريض والتمريض سجع ، والتصريح والتصحيح سجع آخر[4] .

والذى هو دونهما : أن تكون القرائن متعادلة ، وتكون الفواصل على أحرف متقاربة المخارج إذا لم يمكن أن تكون من جنس واحد ، كقول بعض الكتاب : « إذا كنتَ لا تُؤْتَى من نَقْص كَرَم ، وكنتُ لا أوتَى من ضعف سبب ، فكيف أخاف منك خيبة أمل ، أو عدولا عن اغتفار زلل ، أو فتورا عن لمّ شَعَث ، أو قصورا عن إصلاح خلل »[5] .

---

(١) الفاصلة [٢٦٩] .

(٢) الفاصلة [٢٨٠] .

(٣) الصناعتين [٢٨٧-٨] .

(٤) الصناعتين [٢٨٧-٨] .

(٥) الصناعتين [٢٨٧-٨] .

وواضح أن أبا هلال أولا خلط السجع فى الوجهين الأولين بالازدواج فى الوجه الثالث ، وأطلق على الثلاثة اسم السجع ؛ وثانيا لم يتخذ أساسا واحدا للتقسيم . فأقام الوجه الأول على طول القرائن ، وربما توازن ما تحتوى عليه كل منها من ألفاظ ؛ والثانى على الموسيقا الداخلية ؛ والثالث على اختلاف الروى ، وربما تعادل ما تحتوى عليه القرائن من ألفاظ .

وأحسب أنه أراد بالنوع الثالث خاصة ما سماه من بعده : التوازن ، أو الموازنة . فقد قسم الفخر الرازى السجع ثلاثة أقسام : المتوازن ، والمتوازى ، والمطرف .

(١) التوازن

عرفه الرازى بما اتفقت فيه كلمتاه الأخيرتان فى عدد الحروف ، واختلفتا فى الحرف الأخير . ومثل له بقوله : ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾[١] [الغاشية] .

وسرعان ما أحس أن هذا من باب الازدواج لا السجع ، فأعلن : هذا القسم خارج عن الحد المذكور[٢] .

وعرفه نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير بأن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية فى الوزن[٣] . وعندما نتابع النظر فى الأمثلة التى أتى بها ، والتعليق عليها ، نتبين أنه أراد بالفاصلة الكلمة الأخيرة من القرينة . فمثله مثل الرازى ، غير أن إشارة هذا إلى « الاتفاق فى عدد الحورف » غامضة ، وإشارة ابن الأثير إلى « الوزن » واضحة .

واتفق الرجلان على دخول التوازن على المزدوج ، حتى قال ابن الأثير : هذا النوع من الكلام هو أخو السجع فى المعادلة دون المماثلة ، لأن السجع اعتدالا وزيادة ، هى تماثل الروى . وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود فى السجع ، ولا تماثل فى فواصلها [٤] . فيقال إذن : كل سجع موازنة ، وليس كل موازنة سجعا . على هذا فالسجع أخص من الموازنة [٥] .

---

(١) نهاية [١٤٢-٣] .

(٢) نهاية [١٤٣] . وانظر ابن الأثير [٣٧٨/١] .

(٣) المثل [٣٧٧/١] . الجندى [١١/٢] . وانظر تحرير ابن أبى الإصبع [٢٩٧] . الإشارات [٣٠٢]. التلخيص [٤٠٤] . الإيضاح [٥٤٢] . السبكى [٤٥٧/٤] . التفتازانى [٤٥٧] . العلوى [٣٨/٣] . الجندى [١١/٢] . الخطيب [٢١٦/٢] زرزور [٢٤٨] . العمرى [١٧٥] . ستيوارت [٢٧] .

(٤) المثل [٣٧٨/١] .الجندى [١١/٢] .

(٥) المثل [٣٧٨/١] . الجندى [١١/٢] . وانظر العلوى [٣٨/٣] .

وأثنى ابن الأثير على الموازنة ، فذكر أن للكلام بها طلاوة ورونقا ، سببه الاعتدال ، الذى يُطلب فى جميع الأشياء[1] ، وإذا اتصفت مقاطع الكلام بهذا الاعتدال ، وقعت من النفس موقع الاسحسان[2] .

وأخيرا صرح ابن الأثير بأن أمثال التوازن فى القرآن كثير[3] ، بل معظم آياته جارية على هذا النهج[4] . حتى إنه لا تخلو منه سورة من السور[5] .

ولقد تصفحته ، فوجدته لا يكاد يخرج منه شيء عن السجع والموازنة [6] .

وسمى عبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبى الإصبع الموازنة : المماثلة ، وعرفها بتعريف ابن الأثير فقال : أن تتماثل ألفاظ الكلام أو بعضها فى الوزن دون التقفية [7] ، كقوله : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ ﴾ [الطارق] . فالطارق والثاقب وحافظ متماثلات في الوزن دون التقفية [8] .

وأضاف أنه قد تأتى بعض ألفاظ المماثلة مقفاة من غير قصد ، لأن التقفية فى هذا الباب غير لازمة [9] .

---

(١) المثل [١/٣٧٨] . الجندى [٢/٤٨] .

(٢) المثل [١/٣٧٨] .

(٣) المثل [١/٣٧٩] . الجندى [٢/٤٣] . وانظر الزركشى [١/٧٧] . زرزور [٢٤٨] . الحسناوى [٢٤٧] .

(٤) المثل [١/٣٧٩] . الجندى [٢/٤٣،٤٨] . الحسناوى [٢٤٧] .

(٥) المثل [١/٣٧٩] . الجندى [٢/٤٣،٤٨] . الحسناوى [٢٤٧] .

(٦) المثل [١/٣٨٠] .

(٧) تحرير [٢٩٧] . وانظر الإشارات [٣٠٢-٣] . الحسناوى [٢٤٧] .

(٨) تحرير [٢٩٧] .

(٩) تحرير [٢٩٧] .

وخالف يحيى بن حمزة العلوى الفخر الرازى وابن الأثير ، فعدّ الموازنة أحد أنواع السجع ، لأن السجع عنده قد يكون مع اتفاق الأواخر والوزن ، وقد يكون مع اختلاف الأواخر[1] .

ثم أثنى على الموازنة فأعلن أن الكلام متى كان خارجا على مخرجها ، كان متسق النظام ، رشيق الاعتدال[2] .

وعرف الزركشى المتوازن بما روعى فى مقاطع الكلام منه الوزن فقط ، نحو ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦ ﴾[3] [الغاشية] .

واتفق مع ابن الأثير على كثرته فى القرآن . وأضاف إليه أن هذه الكثرة تظهر فى المفصل خاصة فى قصاره[4] .

ووافق جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ابن أبى الإصبع فى التسمية والتعريف ، غير أنه زاده وضوحا وبعدا فقال : المتماثل : أن يتساويا فى الوزن دون التقفية ، وتكون ألفاظ القرينة الأولى مقابلة لما فى الثانية [5] . فهو بالنسبة إلى المرصع كالمتوازن إلى المتوازى[6] . ومثاله : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ۝١١٧ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١١٨ ﴾ [الصافات] : فالكتاب والصراط متوازنان ، وكذا المستبين والمستقيم . واختلفا فى الحرف الأخير[7] .

وأتى القلقشندى بالتعريفين . فقد جعل الازدواج مرتبتين :

(١) الطراز [٣/٣٨] . وانظر ستيوارت [٢٧] .
(٢) الطراز [٣/٣٨] .
(٣) البرهان [١/٧٧] .
(٤) البرهان [١/٧٧] . زرزور [٢٤٨] .
(٥) معترك [١/٥٠] . الإتقان [٢/١١٩] . وانظر الجندى [٢/١٠] . الحسناوى [٢٤٧] .
(٦) معترك [١/٥٠] . الإتقان [٢/١١٩] .
(٧) معترك [١/٥٠] . الإتقان [٢/١١٩] .

المرتبة الأولى : أن يراعى الوزن فى جميع كلمات القرينتين أو فى أكثرها ، مع مقابلة الكلمة بما يعادلها وزنا (١) ، ويُسمى التوازن ، وهو أحسنها وأعلاها (٢) . ومثل له بآيتى سورة الصافات .

المرتبة الثانية : ألا يراعى التوازن إلا فى الكلمتين الأخيرتين من القرينتين(٣) ، ويسمى التوازن أيضًا (٤) . ومثل له بآيتى سورة الغاشية .

وأشار د/ على الجندى إلى اختلاف العلماء فى الصلة بين الموازنة والمماثلة (٥) .

ثم صرح بأن البلغاء اختلفوا فى قيمة التوازن :

فالحموى يفرط فى ذمه - كما هى عادته حين يذم - فيقول : ما تستحق عقود أنواع البديع بسموها أن ينتظم هذا النوع السافل فى أسلاكها ، وما أعلم وجه الإبداع فيه : ما هو ؟ ولا نرى من استخراجه وعدّه بديعا غير الرغبة فى الكثرة (٦) .

ويخالفه ابن الأثير فيرى أن للكلام به طلاوة ورونقا ...

وعقب د/ على الجندى على هذا الاختلاف قائلا : ولكن ابن الأثير يغالى - كعادته فى المغالاة - فيذكر أن معظم آيات القرآن جاءعلى هذا النهج ... كذلك بالغ أبو هلال العسكرى فى مدح التوازن حتى قصر الحسن عليه . ولكنه يعتد فى وصف القرآن بالازدواج ، فلا يذهب به الغلو مذهب ابن الأثير ، فيذكر أن الازدواج كثر فيه ... وفرق بين أن يكثر الشيء وبين أن يعمّ . ولكن التوازن عند العسكرى أقل من السجع الحالى منزلة (٧) .

---

(١) صبح [٢/٢٨٣] . الجندى [٢/١١] .
(٢) صبح [٢/٢٨٣] .
(٣) صبح [٢/٢٨٣] . الجندى [٢/١١] . ستيوارت [٢٧] .
(٤) صبح [٢/٢٨٣] .
(٥) صور [٢/١٠] .
(٦) صور [٢/٤٧] .
(٧) صور [٢/٤٨] .

ويذهب أحمد حسن الزيات مذهب العسكرى فى تفخيم شأن التوازن . ولكن يخالفه فى تفضيل السجع الحالى عليه ، فيقول : التوازن موسقة فطرية فى نفوس العرب ، جعلوا بها النثر أشبه بالنظم فى جمال الرصف وحسن الإيقاع . فهو صفة لازمة من صفات الأسلوب . لا تكاد تنفك عنه فى جميع أغراضه ومختلف صوره[1] . وهو فى ذلك يخالف السجع . فإن للسجع موضوعات ومواضع لا يطلب إلا لها ، ولا يحسن إلا فيها . ولذلك يقبل فى غرض دون غرض ، ويجمل فى صورة دون صورة [2] .

وأعلن الجندى عن رأيه قائلا : وأنا أخالف الحموى فى تهجينه التوازن وأعدّها من زلاته . ولا أدرى لها سببا – لأنه لم يذكر السبب – ولعله لا يروقه إلا النوع الغليظ المثقل بالحلى . وهى شنشنة نعرفها من أصحاب البديعيات وبخاصة الحموى[3] . فالحق إذن ما رآه العسكرى وابن الأثير والزيات من جمال التوازن ، وحسن وقعه فى النفوس بكلماته ذات الأجراس المرنَّة والإيقاع الأخاذ[4] .

وأعتقد أن د/ الجندى فى هذا التعليق الطويل أغفل أن من يتكلم عنهم يصدرون عن تعريفات مختلفة للتوازن ، بحيث يوحد بعضها بينه وبين الازدواج المجرد ، ويفرق بعضها بينهما ، فيجعل التوازن نمطا خاصا ، يبث الجمال فى كل كلمات قرائنه أو أكثرها ، ولا يقصره على الكلمة الأخيرة وحدها كالازدواج . ومن ثم تداخلت الصور فى كلامه ، وشابها الغموض .

وربما يؤكد لنا هذا الاعتقاد الشرط الذى قرر ضرورته لجودة التوازن ، ولم يتحدث فيه إلا عن الكلمة الأخيرة ، قال : لم يترك البلغاء هذا الضرب البديعى

---

(١) صور [٢/٤٩] .
(٢) صور [٢/٤٩] .
(٣) صور [٢/٤٩] .
(٤) صور [٢/٤٩] .

المعتاز هَمَلا ، بل قيدوه بشرط يحفظ عليه ماءه ورواءه ، ويوفر له حظه من البراعة والرشاقة . وهذا الشرط هو التناسب اللفظى ، أعنى التشاكل بين الألفاظ من طريق الصيغة ، واتحاد الزنة فى مقاطع الفصول . فنصوا على أن تكون الفواصل على زنة واحدة ، وإن لم يمكن أن تكون على روى واحد ، حتى يقع التعادل والتوازن(١) .

وختم حديثه بأن التوازن قد ورد فى القرآن والحديث النبوى وآثار الصحابة والتابعين(٢) .

وتوسع د/عبد الله الطيب فى دراسة التوازن ، فرآه بحق يتشعب إلى شعبتين :

الأولى : الموازنة الكلية ، وهى ما ينظر فيها إلى أقسام الكلام من حيث إن كل واحد منها « كل » .

الثانية : الموازنة الجزئية ، وهى ما ينظر فيها إلى أجزاء الأقسام وتفاصيلها لإيجاد الصلة بينها .

ورأى أن الموازنة الكلية سبيلها فى مؤاخاة الأقسام ومكافأتها أن توجد بينها أحد هذه العناصر :

١ - التوافق ، كقوله فى الآية «٣٩» من سورة الفرقان : ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ .

٢ - التضاد ، كقوله فى الآية «٨٢» من سورة التوبة : ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ .

٣ - التكامل ، فى قوله فى الآيتين «١، ٢» من سورة عبس : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ ﴾ .

---

(١) صور [٢/٥١-٢] .

(٢) صور [٢/٥٤] .

٤ – الإجمال والتفصيل ، سماه ابن حجة الحموى ومن سبقه التقسيم ، ومثل له بقوله فى الآية «٣٢» من سورة فاطر : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ .

وهناك نوع آخر يمكن أن ندرجه هنا ، وهو ما سماه البلاغيون الجمع مع التفريق ، فى قوله فى الآية «١٢» من سورة الإسراء : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ .

٥ – التدرج ، مثل قوله فى الآية «٣٥» من سورة النور : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ .

أما الموازنة الجزئية فتؤاخى فى واحد من الأنواع التالية :

١ – التكرار ، ملفوظا أو ملحوظا .

٢ – التجنيس الازدواجى : وهو أن ينظر إلى ناحية الزمان من بنية الكلمات ، فيقارب بينها فى الزنة . وهو على أشكال :

(أ) الازدواجى المحض مثل الآيات «٤٢–٥٢» من سورة النجم .

(ب) الازدواجى السجعى ، نحو قوله فى الآية «١٥٢» من سورة البقرة : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ .

(ج) الازدواجى المقسم ، نحو قوله فى الآية «١٧» من سورة الرحمن : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ .

(د) الازدواجى المرصع ، وهو الجمع بين التوازن واتفاق الروى والتسجيع ، كما فى الآية السابقة .

(هـ) الازدواجى المطابق ، وهو ما روعى فيه موازنة الأضداد ، نحو قوله فى الآية «٦٣» من سورة النمل : ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ .

٣ – الموازنة الموضعية ، وهى أن يكون لفظ مناظرا لآخر فى موضعه من القرينة الأخرى .

٤ – الطباق[1] .

وذكر محمد الحسناوى أن الموازنة التى اتفقت كلمات قرينتها أو أكثرها فى الوزن دون التقفية تسمى المماثلة ، وهى – عند البلاغيين –أحسن من الموازنة العادية وأعلى درجة [2] .

والخلاصة أن الجميع اتفقوا على أن الموازنة تكون فى الازدواج دون السجع . لم يشذ غير ابن أبى الإصبع الذى رأى أن الروى قد يتحد أحيانا من غير قصد ، واتفق معه محمد الحسناوى .

ثم اختلفوا فيما عدا ذلك : فسمى أكثرهم هذه الظاهرة الموازنة ، وسماها كثيرون : المماثلة ، والحموى : المناسبة الناقصة .

وقصرها الرازى وابن الأثير وابن أبى الإصبع والزركشى على الكلمة الأخيرة ، وعممها السيوطى فى جميع ألفاظ القرائن . واكتفى القلقشندى والجندى بإيراد الرأيين .

وقطع الرازى وابن الأثير بأن الموازنة ليست من السجع فى شيء . وعدها العلوى صراحة من السجع لأنه لا يشترط وحدة الروى فيه . وذمها الحموى ، ولكن بقية العلماء أثنوا عليها .

وأشار ابن الأثير والزركشى إلى كثرتها فى القرآن ، واكتفى الجندى بوجودها فيه وفى الأحاديث وكلام العرب .

---

(١) المرشد [٢/٢٢٨-٢٣٢] . الفاصلة [٢٤٧-٢٥٢] .

(٢) الفاصلة [٢٤٧] .

(٢) التوازى

عرفه الرازى بأن تكون الكلمتان فيه متساويتين فى عدد الحروف ، وفى نوع الحرف الأخير « الروى » ، نحو : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾(١) [الغاشية] .

وعرفه ابن النقيب برعاية الكلمتين الأخيرتين فى الوزن والروى(٢) .

وعرفه العلوى باتفاق الأعجاز فى الفواصل والأوزان(٣) .

وعرفه السبكى بأن تكون الفاصلة مساوية لأختها ، دون أن يكون بين ألفاظ القرينتين تقابل(٤) .

وجعله الزركشى أشرف الأنواع الثلاثة (٥) .

وصرح د/ على الجندى بأن المتوازى أو الموازى سمى بذلك لتوازى الفاصلتين ، أى توافقهما وزنا وتقفية دون رعاية غيرهما من ألفاظ القرينتين(٦) .

ولم يعرف محمد الحسناوى التوازى ، ولكن الأمثلة التى أتى بها تبين أنه يقع فى جميع ألفاظ القرائن ، بحيث يقابل كل واحد نظيره فى القرينة الثانية ، كقوله :

---

(١) نهاية [١٤٢] .

(٢) مقدمة [٤٧١] . وانظر الخطيب [٢١٦/٢] . الجندى [٣٨/٢] . العمرى [١٧٥] . ستيوارت [٢٧] .

(٣) الطراز [١٨/٣] . العمرى [١٧٥] . وانظر الزركشى [٧٥/١] . معترك [٥٠/١] . الإتقان [١١٩/٢] . الحسناوى [١٤٩] .

(٤) عروس [٤٤٨/٤] . التفتازانى [٤٤٨/٤] . وانظر معترك [٥٠/١] . الإتقان [١١٩/٢] . الحسناوى [١٤٩] .

(٥) البرهان [٧٥/١] .

(٦) صور [٣٨/٢] .

﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا
وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا
وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا

وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا
وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا
وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾

نجد الآيات يمكن أن نقسمها إلى الوحدات التالية :

الوحدة الأولى : تتألف من الآيات الثلاث الأولى ، وتتوازى كما يلى : أداة القسم ، فالمقسم به ، فأداة الشرط ، ففعل الشرط ، فالضمير « ها » .

الوحدة الثانية : تتألف من الآيات الثلاث التالية ، وتتوازى كما يلى : أداة القسم ، فالمقسم به ، فأداة العطف ، فاسم الموصول « ما » ، فالفعل ، فضمير الفعل « ها » .

وكذلك تتوازى الوحدة الثالثة ، التى تتألف من آيتين فقط .

ليس ذلك فحسب ، بل هناك توازٍ بين الوحدتين الأوليين فى الابتدء بالقسم ، والانتهاء بالفعل مع ضمير[1] .

وأعلن الحسناوى : هذا النوع من التوازى يشيع فى السور القصار . أما فى السور الطوال فله أنواع أخرى :

منها توازى جزيئات قليلة فى بدايات القرائن ، مثل قوله فى سورة الجن :

﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجن : ٣] .

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴾ [الجن : ٤] .

---

(١) الفاصلة [٢٣٣-٥] .

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الجن : ٥] .

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝ ﴾ [الجن] .

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ [الجن : ٨] .

﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ... ﴾[1] [الجن : ٩] .

فهذه القرائن تبدأ بحرف الواو ، فحرف التأكيد « أن » مفتوح الهمزة ، فاسمه الضمير ، فخبره المؤلف غالبا من جملة فعلية .

ومنها توازى جزئيات أكثر فى بدايات القرائن ، كقوله فى سورة النور :

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور : ١٠] .

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٤] .

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] [النور : ١٤] .

ومنها توازى معظم القرائن من البدايات ، نحو قوله فى سورة القصص :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ [القصص : ٧١] .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾؟! [القصص : ٧١] .

وقد يقع التوازى فى وسط القرائن حتى فى آيات الأحكام[3] .

ومن التوازى ما يرد فى أواخر القرائن ، على شكل تعقيب ، أو تذييل ، كقوله فى سورة البقرة :

---

(١) ومثلها الآيات [١٠-١٤] .

(٢) ومثلها الآية [٢١] .

(٣) الفاصلة [٢٣٧-٨] .

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [البقرة] .

وذكر أن التوازى هنا انطوى على أكثر من جملة : وهو بهذا الحجم قليل . أما الحجم الأصغر فكثير جدا ، ويشيع فى قرائن السور الطوال . وأتى بعدة نماذج منه فى سورة آل عمران وحدها ، مثل :

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ثلاث مرات فى الآيات «٧٧،١٧٧،١٨٨» .

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ مرتان فى الآيتين «١٠٥،١٧٦»[١] .

ويصير التوازى أحيانا إلى التكرار ، حين لا يقتصر على التشابه فى صيغة التركيب وترتيب الأجزاء ، ويتجاوزهما إلى إعادة النسق بحروفه . ويتحول أحيانا إلى التوازن حين يضيف إلى ترتيب الأجزاء ووحدة الصيغة : وحدة الوزن[٢] .

(٣) التطريف

عرّف الفخر الرازى المطرف بما اختلفت فيه الكلمتان الأخيرتان فى العدد ، واتفقتا فى الحرف الأخير ، كقوله : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾[٣] [نوح] .

واكتفى محمد بن على الجرجانى بتعريفه بما اختلفت فيه الكلمتان الأخيرتان فى الوزن ، باعتبار أن الروى موحد ضرورة [٤] .

(١) الفاصلة [٢٣٣-٤١] .

(٢) الفاصلة [٢٣٨] .

(٣) نهاية [١٤٢] . وانظر الجندى [٣٩/٢] .

(٤) الإشارات [٢٩٨] . وانظر التلخيص [٣٩٨] . الإيضاح [٥٤٧] . العلوى [١٩/٣] . السبكى [٤٤٥/٤-٦] . التفتازانى [٤٤٦/٤] . الزركشى [٧٦/١] . القلقشندى [٢٨٣/٢] . معترك [٤٩/١]. الإتقان . [١١٩/٢] الخطيب [٢١٦/٢] . الحسناوى [١٤٩] . العمرى [١٧٥] . ستيوارت [٢٧] .

وعرفه القلقشندى بما اتفق فى حرف الروى ، مع قطع النظر عن التوازن فى شيء ، من أجزاء القرينة فى آخر أو غيره[1] .

وأفاض د/ على الجندى فى تعليل تسميته ، فقال : اختلف فى سبب التسمية : فقيل: سمى بذلك لأنه خارج فى التوغل فى الحسن إلى الطرف . والمراد بالطرف هنا الطرف الأعلى ، بخلاف غيره . فيكون معنى ذلك أن الحسن توغل فى هذا النوع حتى بلغ منه الغاية والنهاية .

وهذا التعليل مشكل ، لأنه يفيد أن المطرف أحسن الأقسام الثلاثة ، وقد قدمنا أن المرصع عندهم أكمل الجميع .

وقيل : سمى بذلك ، لأن ما وقع به التوافق – وهو الاتحاد بين الفاصلتين – إنما هو فى الطرف ،وهو الحرف الأخير ، دون ما يعم ، وهو الوزن .

وقال العصام : سمى بذلك أخذا من الطريف – وهو الحديث من المال – لأن الوزن فى الفاصلة الثانية حديث ، وليس هو الوزن الذى كان فى الأولى .

ولاشك أن أرجح هذه الأقوال وأظهرها هو أن سبب التسمية يرجع إلى التوافق فى الطرف ، وهو الحرف الأخير . والذى أراه أنه سمى بذلك أخذا من « طَرّفت المرأة بنانها » إذا خضبته . فمعنى مطرف إذن مزين الأطراف ، تشبيها له بأطراف المرأة المخضبة ، لأن الحلية وقعت فى أطرافه[2] .

(حـ) طول الفاصلة

واتخذ ابن الأثير من أقوال أبى هلال العسكرى عن طول القرائن قاعدة بنى عليها نظاما كاملا ، يقسم الفواصل – تبعا لأطوال قرائنها – التقسيم الثلاثى الآتى :

---

(١) صور [٢/٣٩-٤٠] .

(٢) صور [٢/٣٩-٤٠] .

الأول : أن تكون القرينتان متساويتين ، لا تزيد إحداهما على الأخرى ، كقوله : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ ﴾[1] [الضحى] وأمثال ذلك فى القرآن كثيرة [2] .

الثانى : أن تكون القرينة الثانية أطول من الأولى ، طولا لا تخرج به عن الاعتدال خروجا كثيرا ، كقوله : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝ ﴾[3] [الفرقان] ألا ترى أن القرينة الأولى ثمان لفظات ، والقرينتين الثانية والثالثة تسع تسع[4] . ومثال هذا فى القرآن كثير أيضًا [5] . واستقبح الخروج الكبير[6] .

الثالث : أن تكون القرينة الثانية أقصر من السابقة عليها [7] . وعابه أيضًا [8] .

---

(١) المثل [١/٣٣٣] . ستيوارت [٢٣] .
وانظر العلوى [٣/٢٥] . ابن النقيب [٤٧٣] . القلقشندى [٢/٢٨٧-٨] . الجندى [١/٢١٣] . أسس [٦٠٣] . زرزور [٢٥٨] . الحسناوى [١٥٤] .

(٢) المثل [١/٣٣٣] . وانظر العلوى [٣/٢٥] .

(٣) المثل [١/٣٣٣] . ستيوارت [٢٣،٤٠] .
وانظر ابن النقيب [٤٧٣-٤] . العلوى [٣/٢٥] . القلقشندى [٢/٢٨٨] . الجندى [١/٢١٤] . أسس [٦٠٣] . الحسناوى [١٥٤،٢٢٢] .

(٤) المثل [١/٣٣٣] . ستيوارت [٢٤] . وانظر العلوى [٣/٢٥-٦] . القلقشندى [٢/٢٨٨] . الجندى [٢١٤] .

(٥) المثل [١/٣٣٤] .

(٦) المثل [١/٣٣٣] . وانظر العلوى [٣/٢٥-٦] . القلقشندى [٢/٢٨٨] .

(٧) المثل [١/٣٣٥] . ستيوارت [١٨-٩،٢٤] .
وانظر العلوى [٣/٢٥،٢٧] . القلقشندى [٢/٢٨٨] . الجندى [١/٢١٦] . أسس [٦٠٣] . الحسناوى [١٥٤] .

(٨) المثل [١/٣٣٥] . القلقشندى [٢/٢٨٨] . ستيوارت [٢٤] .
وانظر العلوى [٣/٢٧] . الجندى [١/٢١٦] . الحسناوى [٢٢١] .

واستثنى من القسم الثانى ما ضم من السجع ثلاث قرائن . فإن القرينتين الأوليين تحسبان فى عدة واحدة ، وينبغى أن تكون الثالثة ذات طول يزيد عليهما . فإذا كانت الأولى والثانية أربع لفظات أربع لفظات ، تكون الثالثة عشر لفظات أو إحدى عشرة : مثال ذلك : « الصديق من لم يَغْتَض عنك بخالف ، ولم يعاملك معاملة حالف ، وإذا بلّغته أذنه وشاية أقام عليها حد سارق أو قاذف »[1] وإن زادت الأولى والثانية عن هذه العدة ، تزاد الثالثة بالحساب . وكذلك إذا نقصت الأولى والثانية عن هذه العدة [2] .

إلا أنه ينبغى ألا تجعل ذلك قياسا مطردا فى القرائن الثلاث أين وقعت من الكلام . بل تعلّم أن الجواز يعمّ الجانبين : من التساوى فى القرائن الثلاث جميعا ومن زيادة القرينة الثالثة [3] . ألا ترى أنه قد ورد ثلاث قرائن متساويات فى القرآن كقوله : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الواقعة] . فهذه القرآن كلها من لفظتين لفظتين . ولو جعلت الثالثة منها خمس لفظات أو ستا لما كان ذلك عيبا [4] .

وقال يحيى بن حمزة العلوى : لا يكاد يوجد الضرب الثالث فى القرآن ، وإنما الكثير فيه هما الضربان الآخران[5] .

وعندما فرغ ابن الأثير من التقسيم الثلاثى السابق ، عمد إلى تقسيم آخر ، ذهب فيه إلى أن السجع – على اختلاف أقسامه – ضربان :

(١) المثل [١/٣٣٤] . القلقشندى [٢/٢٨٩] . الجندى [١/٢١٤،٢١٨] . ستيوارت [٢٥] . وانظر ابن النقيب [٤٧٣] . العلوى [٣/٢٦] . الحسناوى [١٥٥،٢٢٠] .

(٢) المثل [١/٣٣٤] . القلقشندى [٢/٢٨٩] . الجندى [١/٢١٨-٩] .

(٣) المثل [١/٣٣٥] . وانظر العلوى [٣/٢٦] . الجندى [١/٢١٩] .

(٤) المثل [١/٣٣٥] .

(٥) الطراز [٣/٢٧] .

الضرب الأول : السجع القصير ، الذى تكون فيه كل واحدة من القرينتين مؤلفة من ألفاظ قليلة لا تتعدى العشر[1] .

وهذا الضرب أوعر السجع مذهبا ، وأبعده متناولا ، ولا يكاد استعماله يقع إلا نادرا [2] ، لأن المعنى : إذا صيغ بألفاظ قصيرة ، عزت مواتاة السجع فيه ، لقصر تلك الألفاظ ، وضيق المجال فى استجلابه[3] .

الضرب الثانى : السجع الطويل ، وهو ما تعدى عشر كلمات،[4] . وهو ضد القصير فى سهولته ، لأن الألفاظ تطول فيه . ويُستجلَب له السجع من هاهنا وهاهنا [5] .

وتتفاوت درجات كل واحد من هذين الضربين فى عدة ألفاظه :

فمن القصير ما تألف من لفظتين وثلاث وأربع إلى العشر[6] .

ومن الطويل ما يقرب من القصير ، فيتألف من إحدى عشرة لفظة إلى اثنتى عشرة لفظة [7] . وأكثره خمس عشرة لفظة [8] .

ومنه ما يتألف من عشرين لفظة فما حولها [9] .

---

(١) المثل [١/٣٣٥-٣٣٦] . ستيوارت [١٨-٩] . وانظر الجندى [١/٢١٠] .

(٢) المثل [١/٣٣٦] . وانظر العلوى [٣/٢٣] . القلقشندى [٢/٢٨٦] . الجندى [١/٢١٠] .

(٣) المثل [١/٣٣٦] . وانظر الجندى [١/٢١٠] .

(٤) المثل [١/٣٣٦] . ستيوارت [١٩] . وانظر الحسناوى [١٥٢] .

(٥) المثل [١/٣٣٦] .

(٦) المثل [١/٣٣٦] . وانظر ابن النقيب [٤٧٣] العلوى [٣/٢٤] . القلقشندى [٢/٢٨٦] . أسس [٦٠٣] . ستيوارت [١٩] .

(٧) المثل [١/٣٣٧] . وانظر القلقشندى [٢/٢٨٦] . الجندى [١/٢١١] .

(٨) المثل [١/٣٣٧] . وانظر ابن النقيب [٤٧٣] العلوى [٣/٢٤] . القلقشندى [٢/٢٨٦] . أسس [٦٠٣] . الجندى [١/٢١١] ستيوارت [١٨-٩] .

(٩) المثل [١/٣٣٧] . ستيوارت [١٩] . وانظر ابن النقيب [٤٧٣] . العلوى [٣/٢٤] . القلقشندى [٢/٢٨٧] . الجندى [١/٢١٢] .

ومنه ما يزيدعلى هذه العدة ، وهو غير مضبوط[1] .

وأرجع السبكى قبح طول القرينة الثانية على الأولى إذا كان كبيرا إلى أن السمع ألف الانتهاء إلى غاية فى القرينة الأولى . فإذا زيد عليها ثقل عليه الزائد ، لأنه يكون عند وصوله إلى مقدار الأولى كمن توقع الظفر بمقصوده ، من فهم المراد ، ولم يجده أمامه [2] .

وقد عد د/ على الجندى هذا القول كلاما بالغا غاية الدقة فى التعليل ، ومن اللمحات القليلة التى استطاع القدامى - بفطرتهم - أن يزاوجوا فيها بين البلاغة وعلم النفس الحديث[3] .

وعلق ديفين ستيوارت على كلام ابن الأثير قائلا :إن القاعدة العامة الضمنية عنده هى أنه فى الوحدات المسجوعة المؤلفة من عدة قرائن ، وحيث تتساوى أطوال القرائن ، فإنه من المقبول أن تأتى القرينة الطويلة تالية للقصيرة ، وليس العكس . والمثال المألوف لهذا مأخوذ من الفاتحة .

﴿ [ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ] رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ

ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ .

فالقرينة الأولى هنا مؤلفة من كلمتين ، وكذلك الثانية ، على حين تتألف الثالثة من ثلاث كلمات . وعلى أساس حسابى ، يمكن أن نستنتج من كلامه أن اختلاف أطوال القرائن المسموح به لا يتعدى كلمة أو اثنتين[4] .

---

(١) المثل [٣٣٧/١] . القلقشندى [٢٨٧/٢] . ستيوارت [١٩-٢٠] .
وانظر ابن النقيب [٤٧٣] . العلوى [٢٤/٣] . الجندى [٢١٢/١] .

(٢) عروس [١٤٩/٤] . الجندى [٢١٤/١] .

(٣) صور [٢١٥/١] .

(٤) مجلة فصول [٢٤] .

وعقب على عيبه الضرب الذى تجيء فيه القرينة التالية أقصر من سابقتها : إن المرء ليعجب : كيف يتسنى له أن يحلل سورة الناس :

﴿ [قُلْ : أَعُوذُ] بِرَبِّ ٱلنَّاسِ

مَلِكِ ٱلنَّاسِ

إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ

مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ

ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ

مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾

إن القرائن الثلاث الأولى تتسق مع شكل الضرب الأول عند ابن الأثير ، لأن كلا منها يتألف من كلمتين . ولكن القرائن الثلاث الأخيرة تضعنا إزاء إشكال واضح ، إذ إن الآية الأخيرة أقصر من الآيتين السابقتين عليها قصرا واضحا . فعدد كلماتها ثلاث ، بينما عدد كلمات الآيتين السابقتين أربع وخمس كلمات[1] .

وقسم محمد بن على الجرجانى السجع ثلاثة أقسام أيضًا ، فهو إما : قصير ، كقوله : ﴿ وَٱلْمُرْسَلَـٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَـٰصِفَـٰتِ عَصْفًا ۝٢ ﴾ [المرسلات] .

أو طويل ، كقوله : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤٣ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٤٤ ﴾ [الأنفال] .

أو متوسط بينهما ، كقوله : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ ﴾[2] [القمر] .

---

(١) نفسها [٢٥] .

(٢) الإشارات [٢٩٩] . وانظر القزوينى : الإيضاح [٥٤٨-٩] ، السبكى [٤/٤٥٥] . الزركشى [١/٧٧-٨] . الجندى [١/٢١٠] . ستيوارت [١٩] .

وأضاف القزويني نمطا آخر ، يتكون من ثلاث قرائن ، الثانية منها أطول من الأولى ، والثالثة أطول من الثانية . ومثاله سورة العصر :

﴿ وَٱلْعَصْرِ
إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[1] .

ولم يفرق القزويني بوضوح بين الحالات التي تكون فيها القرينة أطول قليلا أو كثيرا من القرينة السابقة عليها ، أو ما يشبه ذلك من حالات .

وسمى ديفين ستيوارت هذا النمط : التركيب الهرمي ، وذكر أنه يظهر في بدايات السور خاصة ، كما نرى في سورة الضحى ، وأنه نادر الوقوع في غير القرآن[2] .

وقال يحيى بن حمزة العلوي : أقل ما يكون القصير من كلمتين لا غير ، لأن ما نقص عن ذلك فليس مؤلفا مسجوعا[3] ، وصرح بأن أكثر سورة النجم من قصير السجع[4] .

وذهب القلقشندي إلى أن أمثال السجع القصير في القرآن كثيرة ، إلا أن الزائد على ذلك أكثر[5] .

وقال عما تكون من عشرين كلمة من القرائن : هذا غاية ما انتهى إليه الطول في القرآن . وينبغي أن يكون ذلك نهاية الطول في السجع ، وقوفا مع ما ورد به القرآن ، الذي هو أفصح كلام ، وأقوم نظام[6] .

---

(١) الإيضاح [٥٤٨] . ستيوارت [٢٥] .
(٢) مجلة عصور [٢٥] .
(٣) الطراز [٢٣/٣] . وانظر القلقشندي [٢٨٦/٢] . الجندي [٢٠١/١] .
(٤) الطراز [٢٩/٣] .
(٥) صبح [٢٨٦/٢] . الجندي [٢١٦/١] .
(٦) صبح [٢٨٧/٢] . الجندي [٢١٢/١] . ستيوارت [١٩، ٢٠] .

وقد عقب ديفين ستيوارت على هذا القول قائلا : يلوح لنا أن القلقشندى يذهب إلى أن الآيات : إذا طالت عن هذا الحد الذى ذكره ، لا تدخل فى باب السجع ، لأنها عندئذ سوف تخلّ بالتوازن والتناظر الواضحين فيما ذكره . إن القرآن يحتوى على كثير من الآيات ، التى – وإن كانت تجمعها قافية واحدة – فإن طولها يتجاوز تسعة عشر لفظا ، مما يخرجها عن أن تكون سجعا . فعلى سبيل المثال ، فإن الآيات الثلاث «٢٨١،٢٨٢،٢٨٣» من سورة البقرة ، تجمعها قافية « ون » و « يم » . غير أن عدد ألفاظها هو «١٥» و «١٢٧» و «٣٢» على الترتيب[1] .

وأعلن القلقشندى أيضًا : لا يخفى حكم [القرينة] الرابعة فى الزيادة مع الثالثة . قال فى « حسن التوسل » : ولابد من الزيادة فى آخر القرائن[2] .

وشبه سيد قطب تنوع الفواصل بين القصر والطول باختلاف بحور الشعر فى الديوان الواحد . ثم قال : وقصارى ما يقال فيه : إن الفواصل تقصر غالبا فى السور القصار ، وأنها تتوسط أو تطول فى السور المتوسطة والطوال[3] .

وقد سبق د/ على الجندى ديفين ستيوارت إلى ما فهمه من قول القلقشندى . فأعلن أن الذى أراه أن ما يعد سجعا هو القصير ، فى أدنى درجاته . وأما ما زاد على ذلك فلا أسميه سجعا فنيا ، وإن اتفقت أواخره فكل كلام يحتاج فيه القارئ إلى الوقف ليستريح ويزدرد نفَسه ، ليس عندى من السجع فى قليل ولا كثير . ولا وزن لقولهم : إن السامع يكثر تلذذه بما يزيد منه تشوقا إلى ما يرد على سمعه .

---

(١) مجلة فصول [١٩،٢٠] .

(٢) صبح [٢/٢٩٠] . وانظر الحسناوى [٢٢٢] .

(٣) التصوير [٨٨-٩] .

فالأذن الموسيقية يعييها أن تظل مرهفة ، حتى يمر عليها هذا الخيط المديد من الكلمات ، ولا تطرب لتلقى قافية يختم بها كلام طويل ممل ، تقطعه الصُعداء ، ويُنسى أولَه آخرُه[1] .

وعقب على تقسيمات ابن الأثير وحدودها : قائلا : هذه المقاييس فى جملتها صحيحة ، وهى تتفق مع الذوق السليم ، وتنطبق على قواعد الموسيقا . فينبغى أن يسترشد بها المسجّع ، ويعيش فى جوها .

ولكن لا يسعنا إلا أن نعجب من كلامه وولعه بالعد والإحصاء حتى كان من قوله : وإن زادت الأولى والثانية عن هذه العدة ، زيدت الثالثة بالحساب ...

وقد نحمد له هذا الجهد المضنى فى قياس الأسجاع ، ووزنها ، وعدّ حروفها . ولكن كيف غاب عنه أن البلاغة شيء وراء ذلك كله ، شيء يبرأ من الأرقام حسا ومعنى ، وأنه لم يوجد قط من استحق اسم بليغ ، يلتزم هذه القواعد المعقدة التى كدّ ذهنه فى استنباطها .

أترى أحدا من البلغاء كان يفكر – حين يكتب – فى تقدير أسجاعه طولا وعرضا ، حتى لو كان ابن الأثير نفسه[2] .

ورضى د/ الجندى بالتقسيم الرباعى التالى :

١ – أن تكون القرائن متساوية فى عدد الكلمات ، ولا تضر الزيادة فى عدد الحروف .

٢ – أن تكون القرينة الثانية أطول من الأولى .

٣ – أن تكون القرينة الثانية أقصر من الأولى .

٤ – أن تكون الأولى والثانية متساويتين ، والثالثة زائدة عليهما [3] .

---

(١) صور [١/٢١٢-٣] .

(٢) صور [١/٢١٩] .

(٣) صور [١/٢١٣-٨] .

وأضاف الحسناوى إلى الأنواع : أن تكون القرينة الأولى أقصر ، والثانية والثالثة متساويتين كقوله فى الآيات «١١-١٣» من سورة الفرقان : ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ ... دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴾ فالأولى من ثمانى كلمات ، وكل من الثانية والثالثة من تسع[1] .

وقد جعل ديفين ستيوارت طول القرائن أحد اهتماماته الرئيسة فى بحثه الخاص بالفواصل .

وقد استهله بأن ليست التقفية هى الخاصة الشعرية والوحيدة للسجع فهناك ضوابط للطول النسبى للعبارات المسجوعة . وبرغم أن السجع لا يخضع للعروض الكمى Quantitative meter فإنه يخضع لعروض من نوع ما [2] .

وتساءل : كيف يمكن للمرء أن يضع مقياسا لطول الجمل المسجوعة ؟

وافتتح الجواب عن هذا التساؤل بأن الدارسين – منذ زمن طويل – أقروا بأن السجع له خواص الكلام الموزون . ثم استعرض – فى إجمال شديد – أقوالا لإجناتس جولدتسيهر Goldziher وفرتز كرنكو Krenow ود/ زكى مبارك وريجس بلاشير Blachere وشيندلين Scheindlin وعبد الفتاح كيليطو وبيير كرابون Crappon وحاييم شينين Heyim Y.Sheynin وأدونيس[3] . ونعرف منه أن بلاشير وشيندلين اعتمدا فى وزن السجع على ما تحتوى القرينة عليه من مقاطع . فقد عرّف أولهما السجع بأنه نوع من النثر يتميز باستخدام وحدات موزونة ، يتراوح عدد مقاطعها ما بين أربعة إلى ثمانية مقاطع ، وأحيانا أكثر من ذلك . وتنتهى هذه الوحدات بقافية .

---

(١) الفاصلة [١٥٥] .

(٢) مجلة فصول [١٤] .

(٣) نفسها [١٤-٥] .

وعاب ستيوارت هذا القول من بلاشير ، وعقب عليه بقوله : حين نصف طول القرينة على أساس عدد المقاطع - كما فعل بلاشير - فإن ذلك يؤدى إلى خلط فى فهم الأساس العروضى للسجع .

كما استغرب من شيندلين أن يقرر - بغير وجه حق - أن ابن الأثير يحبذ تساوى عدد المقاطع فى العبارات المسجوعة ، وأنه يؤكد هذا أكثر مما فعل أبو هلال العسكرى . ورأى أن الانسياق وراء فكرة المقاطع نتيجة للعادة المتأصلة فى عدّ المقاطع فى العروض الشعرى ، انصياع مبالغ فيه لنظام الخليل بن أحمد[1] .

ثم وقف وقفة طويلة مع ابن الأثير الذى كان يعجب به ويرى أنه من أوائل البلاغيين الذين ناقشوا فكرة طول القرينة بشيء من التفصيل ، وواحد من القلائل الذين فعلوا ذلك على أساسى حسابى ، بحيث اعتمد كثير من النقاد بعده على صنيعه .

وذكر أنه حدد طول القرينة على أساس ما تحتوى عليه من ألفاظ ولم يرد فى كلامه شيء عن المقاطع أوتفاعيل الخليل . واستدل من ذلك على أن اللفظة عنده هى الوحدة الأساسية لأوزان السجع ، وأن كل لفظة تمثل تفعيلة فى هذه الأوزان ، بغض النظر عن طول الكلمة أو طول مقاطعها . بعبارة أخرى : تقوم الألفاظ فى السجع مقام التفاعيل فى الشعر[2] .

وذكر أيضًا أن شينين ، الذى قام بتحليل عروضى مفصل لعدد من مقامات الحريرى والهمذانى ، وصل إلى ما يتفق مع قول ابن الأثير دون أن يرى عمله .

واستبان ستيوارت من الأمثلة التى جاء بها ابن الأثير وحللها هو أو هما كلاهما : أن أدوات مثل حرفى الجر الباء واللام وواو العطف وفاء السببية ... إلخ لا تعد ألفاظا قائمة بذاتها . وينطبق ذلك على اللواحق ، لأنها - شأنها شأن بعض

(١) نفسها .

(٢) نفسها [١٢] .

الأدوات - لا تقوم بنفسها بل ترتبط دائما بألفاظ أخرى . ولكن الحروف والأدوات التى تقوم بنفسها مثل: هل ولم ومن وعن ، تعدّ تفعيلات ، شأنها شأن الكلمات القائمة بنفسها . وسمح - فى بعض الحالات - بقدر من الحرية فى تقرير ما إذا كانت بعض الأدوات تستقل بنفسها أم لا [1] .

ووقف ستيوارت أمام اختلاف أطوال القرائن التى وقف عندها قبله أبو هلال وابن الأثير ، وحاولا وضع النظم لها . وقد اهتدى إلى كشف لطيف فى هذا المقام بفضل عبارات لابن الأثير ، هو ما سماه العبارة الافتتاحية أو المطلع .

قال : يسمح لنا أحد أمثلة ابن الأثير بمعرفة خاصية من خواص السجع ، وهى خاصية ذات أهمية بالغة حين نحلل شكل النص المسجوع . ففى العبارة المسجوعة التالية التى ألفها ابن الأثير نفسه :

[الصديق من] لم يعتد عنك بخالف

ولم يعاملك معاملة حالف

فى هذه العبارة يقرر ابن الأثير أن كل قرينة تشتمل على أربعة ألفاظ ، لأن الأولى « لم يعتد عنك بخالف » . وهذا يعنى - ضمنا - أن عبارة « الصديق من » ليست جزءا من القرينة . وعلى هذا فإنها عبارة افتتاحية خارج بنية السجعة . إن هذا النوع من العبارات الافتتاحية شائع ، وإن كان غير ملزم . وقد جاء مثلها فى القرآن ، كما فى قوله : ﴿ [ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ] : رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة : ٢ ، ٤] .

ولقد فهم شينين ظاهرة العبارة الافتتاحية بشكل جزئى ، وإن شرحها بشكل مختلف، إذ يرى أنه حين تكون العبارة الأولى أطول من الثانية بكثير ، فإنها يمكن أن تقسم قسمين ، بحيث يكون القسم الثانى مساويا للعبارة الأولى ، ويمكن أن

(١) نفسها [١٦-٧] .

يهمل القسم الأول من الناحية العروضية ، وهو ما أسميناه العبارة الافتتاحية ، على حين يكون القسم الثانى هو العبارة المسجوعة .

وإنه لمن الأولى أن نعد العبارة الافتتاحية وحدة منفصلة ، وأن نقرر أن السجع – بما هو سجع – يبدأ بعدها . والحق إن هذه الافتتاحية ملمح يميز بين السجع والشعر ، الذى لا يندّ فيه شيء عن النظام العروضى للقصيدة ، فى حين أن المطلع يقع خارج الهيكل العروضى للسجع[1] .

ثم درس ستيوارت المطالع التى اهتدى إليها فوصل إلى النتائج التى عبر عنها فى قوله : إن حدود الاختلاف بين المطالع فى القرآن لا تتسع اتساعا كبيرا . إنها – فى الغالب – قصيرة بل إنها تكون – فى بعض الحالات – كلمة واحدة ، مثل :

﴿ إِذَا : زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ : مَا لَهَا ﴾[2] .

وكان المطلع فى مَثَل ابن الأثير الذى ذكرناه يتكون من كلمتين والقرينة من أربع كلمات . وفى بعض الحالات يتساوى طول المطلع مع طول القرائن كما فى آيات سورة الفاتحة التى ذكرناها . ويبدو أن أفضل طول للمطلع هو ذلك الذى يكون أقل طولا من القرينة أو مساويا لها .

وقد أفاده هذا الكشف كثيرا فى التسوية بين القرائن القرآنية التى كان القدماء يذهبون إلى عدم تساويها .

وعارض ستيوارت قول أبى هلال مصرحا حقا إن نظام الوحدات السجعية القصيرة ، وبخاصة التى تتراوح بين ثلاث إلى خمس قرائن ، شائع جدا فى القرآن ، ولكن كيف يتسنى لنا أن نوفق بين اعتراض العسكرى على ما زاد عن أربع قرائن

(١) مجلة فصول [١٧-٨،٢٩] .
(٢) نفسها [١٨] .

ومفتتح سورة التكوير الذى يشتمل على أربع عشرة قرينة ، تكون وحدة متماسكة دون أى تقسيم داخلى ، وتتحلى بروى واحد ، ودرجة عالية من التوازن بين القرائن التى ينتظمها تركيب نحوى واحد ، من أولها إلى آخرها [1] ؟

يضاف إلى ذلك أن القرآن يمدنا بأعداد كبيرة من السطور المتوالية المتحدة القافية ، بحيث يصل عددها إلى أربعين أو أكثر أحيانا ، غير أنه من الواضح - فى بنيتها - أن السطور تنقسم إلى وحدات أصغر[2] .

وأعطانا ستيوارت عدة أمور تفصل بين الوحدات السجعية المختلفة ، قال : يعتقد شينين أن تغيير الروى الوسيلة الوحيدة للفصل بينها ، بل توجد وسائل عدة أخرى فى القرآن . ولدينا فى سورة العاديات مثل واضح لهذا النوع فى البناء :

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾	الوحدة الأولى
فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا	الوحدة الثانية
إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ	الوحدة الثالثة

---

(١) نفسها [٢٢] .

(٢) نفسها [٢٢-٣] .

[أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا] بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ
وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ
إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ

الوحدة الرابعة

تنقسم السورة إلى أربع وحدات سجعية ، لكل واحدة منها روى مختلف . كما تتميز الوحدات بأطوال قرائنها . فالأولى قرائنها من كلمتين ، والثانية من ثلاث ، والثالثة من أربع ، والرابعة من ثلاث . فيما عدا القرينة الأخيرة ، إذ عدد كلماتها خمس[1] .

وهناك وسيلة أخرى شائعة للفصل بين الوحدات ، ألا وهى تغيير طول القرينة دون تغيير الروى . إن هذه الوسيلة أشيع فى القرآن مما فى النصوص الأخرى كالمقامات مثلا. وهى ظاهرة تدل على اتجاه النص إلى توحيد الروى .

مثال ذلك سورة الناس :

﴿ [قُلْ : أَعُوذُ] بِرَبِّ ٱلنَّاسِ
مَلِكِ ٱلنَّاسِ
إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ

الوحدة الأولى

مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ
ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ
مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾

الوحدة الثانية

تنقسم هذه السورة إلى وحدتين برغم وحدة القافية ،وتتألف كل وحدة منهما من ثلاث قرائن . أما الوحدة الأولى فتتألف قرائنها من كلمتين ، على حين تتألف قرائن الوحدة الثانية من أربع ثم خمس ، ثم ثلاث كلمات .

---

(١) مجلة فصول [٢١-٣] .

وهناك وسيلة بنيوية أخرى ، لا تظهر كثيرا ، تتمثل فى استخدام آية تفصل بين الوحدات ، مثلما هو الحال فى سورة الرحمن والقمر . إن آية ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ تتكرر «٣١» مرة فى آيات سورة الرحمن البالغ عددها «٧٨» آية ، وتفصل بين «٢٨» مزدوجا ، وثلاث ثلاثيات ، داخل السورة [١] .

(١) نفسها [٢٣،٢٦-٧،٣٠] .

(د) علاقة الفواصل بعضها ببعض

١ – المخالفة بينها

ذكر الزركشي أن الفواصل قد تجتمع في موضع واحد ويخالف بينها : مثل أوائل سورة النحل[1] .

فقد بدأ – سبحانه – فيها بذكر الأفلاك ، فقال : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل : ٣] ثم ذكر خلق الإنسان فقال : ﴿ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ [النحل : ٤] وأشار إلى عجائب الحيوان فقال : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ ﴾ [النحل : ٥] ثم عجائب النبات فقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١ ﴾ [النحل] فجعل مقطع هذه الآية التفكر، لأنه استدلال بحدوث الأنواع المختلفة من النبات على وجود الإله القادر المختار .

وفي ذلك جواب عن سؤال مقدر ، وهو : لم لا يجوز أن يكون المؤثر فيه طبائع الفصول وحركات الشمس والقمر ؟

ولما كان الدليل لا يتم إلا بالجواب عن هذا السؤال ، لا جرم كان مجال التفكر والنظر والتأمل باقيا .

وقد أجاب – تعالى – عن هذا السؤال من وجهين :

أحدهما : أن تغيرات العالم الأسفل مربوطة بأحوال حركات الأفلاك ، فتلك الحركات حيث حصلت . فإن كان حصولها بسبب أفلاك أخرى ، لزم التسلسل . وإن كان من الخالق الحكيم ، فذلك هو الإقرار بوجود الإله . وهذا هو المراد بقوله :

---

(١) البرهان [٨٤/١] . وانظر معترك [٤١/١] . الإتقان [١١٦/٢] . من بلاغة [٨١] . الجندى [١٩٦/٢] . الحسناوى [٢٨٨] .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل : ١٢] فجعل مقطع هذه الآية التعقل ، وكأنه قيل : إن كنت عاقلا فاعلم أن التسلسل باطل ، فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موجدُها غير متحرك ، وهو الإله القادر المختار .

والثانى : أن نسبة الكواكب والطبائع إلى جميع أجزاء الورقة الواحدة والحبة الواحدة واحدة . ثم إنا نرى الورقة الواحدة من الورد : أحد وجهيها فى غاية الحمرة ، والآخر فى غاية السواد . فلو كان المؤثر موجبا بالذات لامتنع حصول هذا التفاوت فى الآثار . فعلمنا أن المؤثر قادر مختار . وهذا هو المراد من قوله : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١٣] ، كأنه قيل : قد ذكرنا ما يرسخ فى عقلك أن الموجب بالذات والطبع لا يختلف تأثيره ، فإذا نظرت إلى حصول هذا الاختلاف علمت أن المؤثر ليس هو الطبائع ، بل الفاعل المختار . فلهذا جعل مقطع الآية التذكر[1] .

٢ – المخالفة مع وحدة المتحدث عنه

وجعل الزركشى من بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين فى موضعين ، والمتحدَّث عنه واحد ، وذلك لسبب لطيف[2] . مثال ذلك قوله فى الآية «٣٤» من سورة إبراهيم : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ مع قوله فى الآية «١٨» من سورة النحل : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

---

(١) البرهان [١/٨٤-٥] . وانظر معترك [١/٤١-٢] . الإتقان [٢/١١٦] . من بلاغة [٨١-٤] . الحسناوى [٢٨٨-٩] .

(٢) البرهان [١/٨٦] . زرزور [٢٤٥] . الحسناوى [٢٨٩] . وانظر معترك [١/٤٤] . الإتقان [٢/١١٧] . من بلاغة [٨٤] . الجندى [٢/١٩٧] . الخطيب [٢/٢٢٤] . أمين [٢٠٥] . الدباغ [٢٤] .

قال القاضى ناصر الدين أحمد بن محمد المعروف بابن المنير «٦٢٠-٦٨٣/ ١٢٢٣-١٢٨٤» فى تفسيره الكبير : كأنه يقول : إذا حصلت النعم الكثيرة ، فأنت آخذها وأنا معطيها . فحصل لك عند أخذها وصفان : كونك ظلوما ، وكونك كفارا ؛ وحصل لى عند إعطائها وصفان : وهما أنى غفور رحيم ، أقابل ظلمك بغفرانى ، وكفرك برحمتى. فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير ، ولا أجازى جفاءك إلا بالوفاء .

وهو حسن . لكن بقى سؤال آخر ، وهو ما الحكمة فى تخصيص آية النحل بوصف المنعِم ، وآية إبراهيم بوصف المنعَم عليه ؟

والجواب أن سياق الآية فى سورة إبراهيم فى وصف الإنسان وما جُبل عليه . فناسب ذكر ذلك عقب أوصافه . وأما آية النحل فسيقت فى وصف الله ، وإثبات ألوهيته ، وتحقيق صفاته . فناسبت ذكر وصفه سبحانه . فتأمل هذه التراكيب : ما أرقاها فى درجة البلاغة [1] .

٣ - الاتفاق مع اختلاف المتحدث عنه

وقال الزركشى : عكس السابقة اتفاق الفاصلتين ، والمتحدث عنه مختلف[2] ، كقوله فى الآيتين «٥٨،٥٩» من سورة النور : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ

---

(١) البرهان [٨٦/١-٧] . زوزور [٢٤٥-٦] . الحسناوى [٢٨٩] .
وانظر معترك [٤٤/١-٥] . الإتقان [١١٧/٢] . من بلاغة [٨٤] . الجندى [١٩٧/٢-٨] . الخطيب [٢٢٤/٢-٦] . أمين [٢٠٥-٦] . الدباغ [٢٤] .

(٢) البرهان [٨٨/١] . وانظر معترك [٤٥] . الإتقان [١١٩/٢] . الجندى [١٩٨/٢] .

ٱلْأَيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

قال عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام «٥٧٧-٦٦٠/١١٨١-١٢٦٢» فى تفسير الآية الأولى : « عليم » بمصالح عباده « حكيم » فى بيان مراده . وقال فى الثانية « عليم » بمصالح الأنام « حكيم » ببيان الأحكام[١] .

(هـ) التغـير

رأينا الجاحظ ومن لف لفه يكرهون الإكثار من السجع فى العمل الواحد ، بل وصل الامر بأبى هلال أن وضع حدا أقصى لطول السجع غير المتكلف ، وبابن سنان أن نهى عن إنشاء رسالة مسجوعة على روى واحد كلها . وكانوا يخشون – فى ذلك – أمرين: الاضطرار إلى التكلف ، وإثارة الملل ، ومن ثم حبذوا تغيير الروى فى العمل الأدبى الواحد ، بين الفترة والفترة ، وذهب محمد رشيد رضا إلى أن مجىء بعض الفواصل مختلفة وزنا وقافية عن سائرها يزيدها حسنا ، ويخرجها عن أن تكون رتيبة [٢] .

وتساءل سيد قطب : يتنوع نظام الفواصل والقوافى كما تتعدد ألوان الإيقاع الموسيقى ، فهل يجرى ذلك على سنن خاصة ، ويؤدى إلى أهداف مقصودة ؟

ثم أجاب : أما نظام الفواصل والقوافى فقد لاحظنا أنه يتنوع فى السور المختلفة ، وقد يتنوع فى السورة الواحدة .

أما تنوع هذا النظام فى السورة الواحدة فقد لاحظنا – فى مرات كثيرة – أن الفاصلة والقافية لا تتغيران لمجرد التنويع ، وقد تبين لنا – فى بعض المواضع – سر هذا التغير . وخفى علينا السر فى مواضع أخرى . فلم نرد أن نتمحل له لنثبت أنه ظاهرة عامة كالتصور والتخييل والتجسيم والإيقاع[٣] .

(١) البرهان [٨٨/١] . وانظر معترك [٤٥/١-٦] . الإتقان [١١٩/٢] . الجندى [١٩٨/٢] .
(٢) الحمصى [٣١٦] .　　(٣) التصوير [٨٨-٩] .

فمن المواضع التى لاحظنا فيها أن تغير نظام الفاصلة والقافية يعنى شيئا خاصا ما جاء فى سورة مريم . فالسورة تبدأ بقصة زكريا ويحيى ، وتليها قصة مريم وعيسى ، وتسير الفاصلة والقافية على روى واحد - الياء والألف - إلى أن تنتهى القصتان . وفجأة يتغير هذا النسق بعد آخر آية فى قصة عيسى . يتغير نظام الفاصلة فتطول ، ويتغير نظام القافية فتصبح بالنون أو بالميم وقبلهما مد طويل ، وكأنما هو فى هذه الآيات الأخيرة يصدر حكما بعد نهاية القصة مستمدا منها . ولهجة الحكم تقتضى أسلوبا موسيقيا غير أسلوب الاستعراض ، وتقتضى إيقاعا قويا رصينا بدل إيقاع القصة الرضى المسترسل . ونحن نستأنس فى هذا الاستنباط بملاحظة أخرى ، ذلك أنه بمجرد الانتهاء من إصدار هذا الحكم وإلقاء ذلك القرار ، عاد إلى النظام الأول فى القافية والفاصلة ، لأنه عاد إلى قصص جديد[1] .

وعلل د/ أحمد أحمد بدوى التغير بأن تلك الآية التى غير رويها كأنما تتطلب عناية خاصة ، تستدعى قدرا كبيرا من الرعاية ، تثيره هذه المخالفة لنسق الآيات ، فأنت ترى قافيتى « طعامه » و « الصاخة » فى الآيتين «٢٤،٣٣» من سورة عبس قد أثارتا - بخروجهما على النسق - انتباه السامع ، ودفعتاه إلى التريث وإنعام النظر[2] .

وعقد محمد الحسناوى فصلا لما يقع فى القرآن من تغير ، استهله بكلام عام عن النظام والتغير ، اعتمد فيه على كتب النقد الأدبى الحديث .

فأعلن أن العامل الأساسى الذى يقوم عليه قانون النظام هو إثارة التوقع وإشباع هذا التوقع ، بعكس العامل الذى ينهض عليه قانون التغير ، ألا وهو إحداث الصدمة للتوقع عن طريق المفاجأة[3] .

---

(١) التصوير [٨٩-٩١] .

(٢) من بلاغة [٢٤٨] .

(٣) الفاصلة [٢٠٥] .

وغالبا ما يكون لخيبة التوقعات أهمية أكبر من أهمية تحققها .

والنظم الذى لا نجد فيه غيرما نتوقعه بالضبط دائما ، بدلا من أن نجد فيه ما يطور استجابتنا الكلية هو مجرد نظم رتيب يبعث على الضيق .

فإن كان ما يُحدث هذه الصدمة هو ظهور شيء جديد يثير الاهتمام على نحو مؤكد ، فإن الأثر الذى يتولد فى نفوسنا هو أثر الشيء الطريف Picturesque . أما إذا لم يوجد ما يعوض هذه الصدمة فحينئذ نحس بما فى الموضوع من قبح ونقص .

والفرق بين تغير فجائى لذيذ وآخر لا يبعث إلا على الضيق والكدر ويقضى على الإيقاع كلية ، هو – على وجه الدقة فى هذه الحالة ، كما هو فى الحالات الأخرى – مسألة تتعلق بالجمع بين الدوافع المختلفة والتوفيق بينها على نحو دقيق جدا ، بحيث إن وسائل البحث الحالية تعجز عن سبر أغوارها . ولكننا نقول بصفة عامة : إن التأثير الذى تولده المفاجأة يعتمد على ما إذا كان العنصر الجديد يمكن استيعابه فى الاستجابة الكلية أو إذا كان الذهن مضطرا إلى أن يبدأ بداية جديدة كلية عند وصول هذا العنصر الجديد. وبعبارة مألوفة نقول : إن التأثير يعتمد على ما إذا كانت هناك علاقة تربط بين الأجزاء التى تؤلف الكل .

فالمفاجأة إذن تلعب دورا لا يقل أهمية عن دور الإشباع[(١)] .

بعد هذا التمهيد شرع يتناول نماذج التغيير فى الفواصل . فكان أول نموذج استرعى انتباهه العدول عن حروف الروى المتماثلة إلى الحروف المتقاربة ، والفواصل المنفردة . وأتى من سورة الانفطار بمثال لهما :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ

ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ

فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ

(١) نفسها [٢٠٧-٨] .

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ
وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ
كِرَامًا كَٰتِبِينَ
يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ
إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ
وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ
يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ
وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ
ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار : ٦ - ١٩] .

ففواصل الياء والنون أو الواو والنون تتماثل مع نفسها ، وتتقارب مع فواصل الياء والميم . وهى جميعا تختلف عن فاصلتى الكاف . أما الفاصلة الأخيرة « لله » فانفردت بحرف الروى الهاء ، كما انفردت بنوع المد الذى سبق الهاء .

الفاصلة الأولى « الكريم » - برغم اتساقها مع فواصل الياء والنون أو الياء والميم - لم تجىء مجاورة لها فى المكان مباشرة ، مما يحدث الصدمة فى الانتقال منها إلى الكاف « فعدلك » . حتى إذا جاءت فواصل : الدين ، لحافظين ، كاتبين ، استثمرت هذه المفاجأة خير استثمار .

وما كدنا ننسى الصدمة حتى فوجئنا بصدمة الفاصلة الأخيرة « للّه » ، تلك الفاصلة التى تركز الانتباه بانفرادها أولا ، وتميزها ثانيا ، وانتهاء النص عندها ثالثا ، لنكتة بلاغية دينية ترمى إلى رد الأمر كله إلى اللّه الذى تضمنت الفاصلة اسمه ،

فى الوقت الذى كان النص - بمجموعه ومضمونه - يمهد لهذه الخاتمة الشامخة باستقرار القرار على السكون بعد ألف المد[1] .

وخرج من تأمله فى الفواصل بالأمور التالية :

١ - لم يبلغ التغير حد إهمال الفاصلة ، مما يؤكد أهمية التقفية فى البيان العربى .

٢ - أغلب السور - لا سيما الطوال - أخذت بنموذج التغير .

٣ - اتسع مجال تغير حروف الروى حتى تناول معظم حروف الأبجدية .

٤ - نموذج التغير فى الروى قسمان : قسم يغير مقطعا مقطعا ، وقسم يغير بغير مقاطع . ويتوفر القسمان فى النص الذى تناولناه من سورة الانفطار[2] .

ولاحظ فى القسم الأول من التغير مايلى :

(أ) قد يكون التغير محدودا فى مقطعين أو ثلاثة أو أربعة ، كما يكون فى مقاطع كثيرة تصل إلى عشرة مقاطع أو أكثر .

(ب) قد يكون التغير بسيطا يتوالى مقطعا مقطعا ، وهو الغالب. كما يكون مركبا : أى يعرّج التوالى على روى سابق ، وهو الأقل .

(جـ) قد يكون التغير بمقاطع متقاربة الطول ، وغير متقاربة .

(د) قد يكون التغير بمقاطع مختومة بلازمة ، وغير مختومة .

(هـ) معظم سور هذا القسم - إن لم نقل كلها - سور مكية [3] .

وكان النموذج الثانى للتغير اختلاف طول القرينة من فاصلة إلى فاصلة ، أو من مقطع فواصل إلى مقطع آخر. ونص سورة الانفطار يتضمن النوعين معا . فيوجد سبع كلمات فى القرينة الأولى .

وأربع فى الثانية ،

---

(١) نفسها [٢٠٦-٨] .

(٢) نفسها [٢٠٩] .

(٣) نفسها [٢١١] .

وست فى الثالثة ،

وأربع فى الرابعة.. إلخ [١] .

وأدى به هذا الصنيع إلى تخطئة بعض أقوال البلاغين الشائعة ، مثل :

عدم زيادة القرينة الثانية عن الأولى بزيادة عن الثلث .

عدم قصر القرينة الثانية عن الأولى .

ينبغى أن يكون كل قرينة أطول مما قبلها [٢] .

وخلص إلى أن لقانون التغير دلالات مختلفة ، منها – على سبيل التمثيل لا الحصر – الدلالات الجمالية والفكرية والفنية الموضعية والعقدية .

– أما الدلالة الجمالية فأراد بها توخى الصدمة السعيدة .

– وأما الدلالة الفكرية فعنى بها الحرية فى عقد الفواصل .

– وأما الدلالة الفنية الموضعية ، فلكل تغير دلالته الخاصة .

– وأما الدلالة العقدية فعنى بها عدم خضوع القرآن إلى ما يخضع إليه كلام البشر – كالشعر – من ضرورات. ذلك أن تنويع الفواصل أو القرائن لم يكن ضربا من تحاشى الضرورة التى يحوج إليها التزام روى بعينه – كما هو فى غير القرآن من شعر وسجع– أو التزام نسق من القرائن محدد ، بل التغير قانون جمالى ساحر[٣] .

وأخيرا صرح ديفين ستيوارت بأنه من المسموح به ، بل ربما كان من المستحب ، أن يتغير الروى من حين لآخر فى الكتابات المسجوعة . وبرغم أن القوافى تتعدد فى سور القرآن فإن استخدام الروى الواحد ظاهر فيه أيضا . وتحتوى بعض قصار السور على اختلاف فى القوافى ، مثل سورة العاديات التى تحتوى على أربع قواف مختلفة ، برغم أن عدد آياتها إحدى عشرة [٤] .

---

(١) نفسها [٢١٩] .

(٢) نفسها [٢٢٠-٢] .

(٣) نفسها [٢٢٢،٢٢٤،٢٢٩] .

(٤) مجلة فصول [٢٠] .

تذييل

أود أن أختم الحديث عن تقسيم الفواصل والأسجاع بأن الأنواع التى ذكرتها ليست كل الأنواع التى ذكرها علماء البلاغة ، وإنما هى جزء فقط ، وأن المتأخرين من هؤلاء العلماء خاصة أولعوا بالتقسيمات وفروع التقسيمات ، حتى كاد التقسيم يفقد دلالته وأهميته .

وراعيت فيما ذكرت من أنواع القدم ، أى أن تكون من ابتكار العلماء الأولين ، لدلالتها على تفكيرهم ، والاهتمام بأقوال هؤلاء العلماء ، وتتبع المجرى الأساسى لهذه الأقوال ، مع الإشارة السريعة إلى الأقوال المختلفة عنها .

وإنما عنيت بها لأن العلماء عدوها من البديع ، أى من المحسنات البلاغية ، ومعنى ذلك أنها من معايير الجودة عندهم . ومن ثم اكتفيت بإيرادها هنا ولم أذكرها فى فصل معايير الجودة .

وتبين لنا هذه الجولة مدى اختلاف العلماء فى المصطلحات التى استخدموها فى التقسيم ، وفى تصوراتهم للأقسام التى أجروها ، مما أثر فى أحكامهم فى مدى الجودة بل فى الجودة نفسها ، وفى وجود هذا النوع فى القرآن أو عدم وجوده .

○ ○ ○

الفصل الرابع

وظائف الفواصل ومعايير جودتها

تعريفها

عقد على بن عيسى الرمانى فى كتابه « النكت فى إعجاز القرآن » بابا للفواصل ، استهله بتعريفها بحروف متشاكلة فى المقاطع توجب حسن إفهام المعانى(١) .

وقال أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى [٣٧١ - ٤٤٤/ ٩٨١ - ١٠٥٣] كلمة آخر الجملة (٢) .

وفرق بين الفواصل ورؤوس الآى على أساس أن الفاصلة هى الكلام المنفصل مما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس. وكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية . فالفاصلة تعم النوعين .

واستشهد على هذا بسيبويه قائلا : ولأجل معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه فى تمثيل القوافى ﴿ يَوْمَ يَأْتِ ﴾ [هود : ١٠٥] و ﴿ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ [الكهف : ٦٤] ، وهما غير رأس آيتين بإجماع ، مع ﴿ إِذَا يَسْرِ ﴾ [الفجر : ٤] ، وهو رأس آية باتفاق(٣) .

---

(١) [٨٩] ، وانظر الباقلانى [٢٧٠] ، الزركشى [٥٨،٥٣/١] ، الخطيب [٢١٢،٢٠٦/٢] . ضيف [١٠٥] . أبو زهرة ٢٩٢، عائشة [٢٣٩] ، عتر [٢٥٥] ، سلطان [٧٣] ، شرشر [٦٤]، السلامى [٢٢٨] ، الحسناوى [٢٦] ، رمضان [٥٠] ، أبو على [٧٨] ، الحناوى [١٨٧] .
وانظر ابن سنان [١٦٥] ، الإتقان [١١٠/٢] ، الخطيب [٢٠٦/٢] ، ثلاث [١٧٣] ، العانى [١٢١] ، عتر [٢٥٥] ، سلطان[٢١٩،٧٣] ، الدبل [٩٣] ، العمرى [١٦٩] ، عبد الغفار [٣١٦] ، صالحة [١٢٨] .

(٢) الزركشى [٥٣/١] ، الإتقان [١١٠/٢] ، الجندى [١٩٥/١] ، [١٦٧/٢] ، ضيف [١٠٥] ، الآلوسى لمحسن [٢٥٠] ، زرزور [٢٣٦] ، الحسناوى [٢٦] ، الدبل [٩٣] .

(٣) الزركشى [٥٣/١-٤] الإتقان [١١٠/٢] ، الجندى [١٦٧/٢-٨] . الآلوسى لمحسن [٢٤٩]. العانى [١٢١-١١] زرزور [٢٣٦]. الدبل [٩٣] .

واعترض عليه إبراهيم بن عمر الجعبرى [٦٤٠- ٧٣٢/ ١٢٤٢- ١٣٣٢] بأن هذا خلاف المصطلح . ولا دليل له فى تمثيل سيبويه ، لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية (١) .

وقال أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى إنما الفواصل فى الآى كالقوافى فى الشعر(٢) .

وقال حازم بن محمد القرطاجنى وردت الفواصل فى القرآن بإزاء ورود الأسجاع فى كلام العرب(٣) .

وقال بدر الدين الزركشى: هى كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر ، وقرينة النثر(٤) .

وعرف د. أحمد أحمد بدوى الفاصلة بالكلمة التى تختم بها الآية من القرآن(٥) ، وعبد الكريم الخطيب بالمقطع الأخير من الآية (٦) ، وبكرى شيخ أمين بالنهاية التى تذيل الآيات بها (٧) .

وبدأ محمد الحسناوى فى كتابه « الفاصلة » بتعريفها . فأبان المعانى اللغوية لمادة « فصل » ثم معانيها الاصطلاحية فى النحو والعروض والترقيم وعلوم القرآن. ثم نقل عن ابن منظور تعليلا للاصطلاح الذى نعنى به . وختم بأقوال العلماء فى تعريف هذا الاصطلاح والتعليق عليها (٨) .

---

(١) الزركشى [٥٣/١] ، الإتقان [١١٠/٢] .

(٢) دلائل [٣٨٧] . اللسان : فصل . بدوى : من بلاغة [٨٩،٧٥] ، ثلاث [١٨٢] ، بكرى [٢٠٣] ، الحكيم [١١١] ، الحسناوى [٢٦] ، رمضان [٤٩] .

(٣) منهاج [٣٨٨] ، الزركشى [٦٠/١] ، الجندى [١٧٣/٢] .

(٤) البرهان [٩٨،٥٣/١] ، الآلوسى لمحسن [٢٤٨] ، زرزور [٢٣٦] .

وانظر معترك [٢٩/١] ، الإتقان [١١٠/٢] ، من بلاغة [٨٩] ، الجندى [١٦٦/٢] ، زغلول [٢٧٧] ، الحسناوى [١٣٢،٩٢،١٣،٩] ، زرزور [٢٣٦] ، رمضان [٤٩] .

(٥) من بلاغة [٧٥] . وانظر القاضى [٥] ، الجندى [١٦٦/٢،١٩٥/١] ، عتر [٢٥٥] ، الحسناوى [٩] ، زرزور [٢٣٦] .

(٦) إعجاز [٢٠٦/٢] ، وانظر العمرى [١٦٩] .

(٧) التعبير [٢٠٣] .

(٨) [٢٣-٨] .

ولاحظ - على الرغم من تباين التعريفات - أنها تتفق على ما يلى :

١ - موقع الفاصلة آخر الآية .

٢ - التشاكل فى الحروف والمقاطع .

٣ - دورها فى تحسين الكلام .

٤ - دورها فى استراحة الكلام .

٥ - توضيحها بالمقارنة إلى القافية أو السجع أو الاثنين معا .

وخلص إلى تعريف رآه جامعا مانعا ، نصه: الفاصلة: كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر ، ومع التفصيل : هى توافق أواخر الآى فى حروف الروى ، أو فى الوزن ، مما يقتضيه المعنى ، وتستريح إليه النفوس(١) .

وعرفها د. أحمد جمال العمرى بالمقطع الأخير من الآية ، الذى يحدث إيقاعا صوتيا منتظما مع غيره من المقاطع(٢) ، ثم قال: والفواصل -كما عرفها علماء البيان- هى الحروف المتشاكلة فى المقاطع ، التى قصد بها حسن إفهام المعانى ، بما يقع فى السمع ، ويؤثر فى النفس من إيقاعها وحسن جرسها (٣) .

○○○

(١) [٢٩] .

(٢) مباحث [١٦٩] .

(٣) مباحث [١٦٩] .

الفروق بين الفواصل والقوافى

على الرغم أن الزركشى مثّل الفاصلة بالقافية ، فإنه وضح بعض الفروق بينهما ، فأعلن :

– الأصل فى الفاصلة والقرينة المتجردة فى الآية والسجعة المساواة ويجوز الانتقال فى الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر ، بخلاف قافية القصيدة (1) .

– ما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحذو والإتباع والتوجيه ، ليس بعيب فى الفاصلة (2) .

– الإيطاء والتضمين قبيحان فى الشعر ، وغير قبيحين فى القرآن(3) .

وشرح السيوطى الإيطاء بتكرار الفاصلة بلفظها كقوله فى الآية [93] من سورة الإسراء : ﴿ هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ وختم الآيتين بعدها بها ؛ والتضمين بأن يكون ما بعد الفاصلة متعلقا بها كقوله فى الآيتين [137،138] من سورة الصافات : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾(4) .

وشرح ديفين ستيورات الإشباع بالحركة التى تسبق حرف الروى المتحرك ، والتوجيه بالحركة التى تسبق الروى الساكن(5) .

وأضيف إليه أن الحذو حركة ما قبل الردف ، وهو حرف العلة الذى يسبق الروى دون حاجز بينهما (6) .

---

(1) البرهان [1/99] ، الحسناوى [133،141] ، وانظر ستيوارت [12،20] .

(2) البرهان [1/98–9] ، معترك [1/30] ، الإتقان [2/110] ، الجندى [2/168] ، الحسناوى [132–3،142] ، وانظر ستيوارت [13] .

(3) البرهان [1/59] ، وانظر من بلاغة [89] ، زرزور [250] ، الحسناوى [141] .

(4) معترك [1/54] . الإتقان [2/121] . الجندى [1/169] .

(5) مجلة فصول [13] .

(6) القافية [66،78] .

وأضاف د. عدنان زرزور إلى فروق الزركشي : مجيء بعض الفواصل المفردة ، وبخاصة فى نهاية بعض السور ، وكذلك فى ثنايا بعضها (1) .

وفى هذا الفرق نظر ، لورود ما يماثل الفواصل المفردة فى الموشحات والأراجيز وشعر المقطعات .

☆

الخلاصة أن أول من عرف الفاصلة – وهو الرماني – التفت إلى ظاهرتين : تشابه الحروف ، ووقوعها فى الخواتم ؛ وأن هذا التعريف هو الذى شاع حينا تحت اسم الباقلاني الذى تبناه وأجرى عليه تغييرا غير ذى قيمة ، وأخيرا – وبخاصة بعد تحقيق كتاب الرماني – تحت اسم صاحبه .

والتفت الداني إلى الظاهرة الثانية ، وجعل الفاصلة الكلمة الأخيرة فى الجملة ، وحازم إلى التشابه بين الفاصلة والسجعة ، وابن منظور بينها وبين القافية .

وأصلح الزركشي عبارة الداني فجعل الكلمة الأخيرة فى الآية لا الجملة . ثم استفاد مما سبقه من أقوال ، فربط بينها وبين القوافى والأسجاع. ومع ذلك منع أن تسمى الفواصل قوافى ، والقوافى فواصل ، وذكر أن كثيرا مما يعاب فى القوافى ليس بعيب فى الفواصل ، وأن الفواصل تتميز بمرونة تحرم منها القوافى .

وعاد د. أحمد أحمد بدوى إلى أبسط التعريفات ، مقتصرا على ظاهرة الختام .

وأقرب التعريفات إلى الصواب قول عبد الكريم الخطيب: إنها المقطع الأخير من الآية ، لأن هذا المقطع كثيرا ما يكون جملة تامة ، وكثيرا ما يكون كلمة واحدة ، وأحيانا بينهما .

○○○

---

(1) القرآن [٢٥١] . وانظر الحكيم [٩٧] . الحسناوى [١٤٠] .

وظائفها

كان الرماني أول من فطن إلى وظيفة الفواصل ، فأعلن أنها توجب حسن إفهام المعاني[١] ، لأنه طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يُدَل بها عليها [٢] .

واقتصر الباقلاني على أنها يقع بها إفهام المعاني[٣] .

وقال الزركشي : تقع الفاصلة ، عند الاستراحة في الخطاب ، لتحسين الكلام بها [٤] .

وجعل د. أحمد أحمد بدوي لها غايتين :

١ – أداء جزء من معنى الآية ، ينقص ويختل بنقصانها ، أي أنها تكمل معنى الآية .

٢ – إتمام النغم الموسيقي للآية [٥] .

وكان ما جاء به عبد الكريم الخطيب شرحا لكلام الباقلاني ، واعتراضا عليه ، قال: المراد بقوله : « يقع بها إفهام المعاني » أنها تعقيب على المعاني التي تضمنتها الآية ، وفي هذا التعقيب يُرَى وجه جديد لتلك المعاني ، فتزداد وضوحا وبيانا [٦] .

---

(١) النكت [٨٩] ، الخطيب [٢/٢١٢] ، ضيف [١٠٥] ، أبو زهرة [٢٩٢] ، عائشة [٢٣٩] ، عتر [٢٥٥] ، سلطان [٧٣،٢١٩] ، شرشر [٦٤] ، السلامي [٢٨٨] ، الحسناوي [٢٦] ، الدبل [٩٣] ، صالحة [١٢٨] ، الحناوي [١٨٧] ، ستيوارت [١٠] .
وانظر الإتقان [٢/١١٠] ، عبد الوهاب [٣١٦] ، رمضان [٥٠] ، العمري [١٦٩] .

(٢) النكت [٩٠] ، الزركشي [١/٥٣] عائشة [٢٣٦] ، عتر [٢٥٥] ، شرشر [٦٤] ، الدبل [٩٣] ، أبو علي [٧٨] .

(٣) إعجاز [٢٧٠] ، الإتقان [٢/١١٠] ، الخطيب [٢٠٦] .
وانظر العاني [١٢١] ، العمري [١٦٩] عبد الغفار [٣١٦] .

(٤) البرهان [١/٥٤] الخطيب [٢/٢٠٧] ، الآلوسي لمحسن [٢٤٨] ، الحسناوي [١٥،٢٨] ، العمري [١٧٠] .

(٥) من بلاغة [٧٥-٦، ٨٧] . وانظر أمين [٢٠٧] ، عتر [٢٥٥] ، الحسناوي [١٩٢] .

(٦) إعجاز [٢/٢٠٦] ، وانظر العمري [١٦٩] رضا [١٣٤] ، عبد الغفار [٣١٦-٨] .

وإذن يكون من وظيفة الفاصلة تلخيص معنى الآية تلخيصا يبرز به المعنى المراد منها (١) ، أو بمعنى آخر هى إشارة مضيئة إلى مركز الثقل فى الآية (٢) .

وعلى هذا فالتعريف الذى عرّف به القاضى أبو بكر الفاصلة ليس تعريفا جامعا مانعا كما يقولون ، إذ إن قوله يلزم منه أن يكون للفاصلة دلالة مستقلة ، تتقابل مع المعنى الذى تحمله الآية التى هى فاصلتها . وهذا ما لا يمكن أن يتحقق فى كثير من الفواصل التى هى بعض الآية أو الفواصل التى هى آيات مستقلة بذاتها .

وإذن فليس من الحتم اللازم أن تكون وظيفة الفاصلة محصورة فى تأكيد معنى الآية التى تصحبها ، أو تلخيص هذا المعنى ، أو تقريره ؛ بل إن للفاصلة وظائف غير هذا (٣) .

وأعلن د. السيد عبد الغفار أن الفاصلة - إلى جانب ما تضفيه من جمال وروعة فى التعبير القرآنى - من عوامل إظهار المعنى الوارد فى الآية ، وتلاؤمه تمام الملاءمه (٤) .

ويتضح من هذا أن الرمانى فطن إلى أهم وظيفتين للفواصل ، وهما :

- إفهام المعنى .
- إبرازه فى أحسن صورة .

ولكنه أتى بهما مبهمتين تحتاجان إلى الإيضاح ، ففعل ذلك د. أحمد أحمد بدوى ، الذى حدد الإفهام بجزء من المعانى يكمل المراد من الآيات ، وحدد الحسن بالتنغيم الموسيقى .

وأبان الخطيب - فى تضاعيف إنكاره أقوال الباقلانى - عناصر إتمام المعنى ، فكشف أنها إما تأكيد معنى الآية ، أو تلخيصه ، أو تقريره ، ثم لم يكتف بهذه وظائف للفواصل . وانفرد الزركشى بالإشارة إلى استراحة المتكلم أو القارىء عندها .

---

(١) إعجاز [٢٠٦/٢] ، الحسناوى [١٥٦] ، وانظر العمرى [١٦٩] .

(٢) إعجاز [٢٠٦/٢] ، وانظر العمرى [١٦٩] .

(٣) إعجاز [٢٠٧/٢] ، وانظر العمرى [١٧٠] .

(٤) قضايا [٣١٦-٨] .

فوائدها

تعرض الرمانى أيضا لما أسماه الفوائد فى الفواصل ، وأوردها كمايلى :

١ - دلالتها على المقاطع .

٢ - تحسينها الكلام بالتشاكل .

٣ - إبداؤها بالنظائر فى الآى (١) .

وجلى أن ثانية الفوائد هى الغاية الأساسية للفواصل عنده .

وصرح مصطفى صادق الرافعى أن الله يسر القرآن للحفظ بأسباب كثيرة ، أظهرها فى المنفعة وأولها فى المنزلة ، هذه السور القصار ، التى تخرج من الكلمات المعدودة إلى الآيات القليلة ، والتى هى - مع ذلك - أكثر ما تجىء آياتها على فاصلة واحدة أو فواصل قليلة ، مع قصر ما بين الفاصلة والفاصلة . فكل آية وضعها كأنها سورة من كلمات قليلة ولا يضيق بها نفس الطفل الصغير. وهى تتماسك بهذه الفواصل التى تأتى على حرف واحد أو حرفين أو حروف قليلة متقاربة فلا يستظهر الطفل بعض هذه السور حتى يلتئم نظم القرآن على لسانه ، ويثبت أثره فى نفسه ، فلا يكون بعد إلا أن يمر فيه مرا (٢) .

وإذا أردت أن تبلغ عجبا من هذا المعنى فتأمل آخر سورة فى القرآن ، وأول ما يحفظه الأطفال ، وهى سورة الناس . وانظر كيف جاءت فى نظمها وكيف تكررت الفاصلة ، وهى لفظة الناس وكيف لا ترى فى فواصلها إلا هذا الحرف « السين » الذى هو أشد الحروف صفيرا ، وأطربها موقعا ، من سمع الطفل الصغير ،

---

(١) النكت [٩١] . الحسناوى [١٤] . الدبل [٩٣] . رمضان [٥٠] . العمرى [١٧٥] . أبو على [٧٩] ، الحناوى [١٨٩] .

(٢) إعجاز [٢٢٦] . شحاتة [١٤٤-٥] . وانظر زرزور [٢٥٩] . الحسناوى [١٩٣] .

وأبعثها لنشاطه واجتماعه. وكيف تناسب مقاطع السورة عند النطق بها تردد النفس فى أصغر طفل يقوى على الكلام ، حتى كأنها تجرى معه وكأنها فُصلت على مقداره [1] .

وذكر محمد بن عبد العظيم الزرقانى ثلاث فوائد أخرى لمعرفة الآيات التى عرفت بالفواصل ، وهى :

الأولى : العلم بأن كل ثلاث آيات قصار معجزة للنبى ﷺ ، وفى حكمها الآية الطويلة التى تعدل بطولها تلك الثلاث القصار[2] .

الثانية : حسن الوقف على رؤوس الآى عند من يرى أن الوقف على الفواصل سنة[3] .

الثالثة : اعتبار الآيات فى الصلاة والخطبة ، لأن صحتهما مشروطة بعدد من الآيات[4] .

وأضاف عبد الفتاح القاضى :

١ - الحصول على الأجر الموعود به على قراءة عدد معين من الآيات فى الصلاة .

٢ - نيل الأجر الموعود به على تعلم عدد مخصوص من الآيات أو قراءته عند النوم .

٣ - اعتبار هذا الفن عند الإمالة ، فإن من القراء من يوجب إمالة رؤوس سور خاصة ، مثل طه والنجم والأعلى[5] .

ووسع محمد الحسناوى الفائدة التى ذكرها الرافعى ، فأشار إلى دور الفواصل فى تيسير القرآن فهما وحفظا ، استظهارا وسلامة ، وإحصاء[6] .

---

(١) إعجاز [٢٢٧] ، شحاتة [١٤٥-٦] ، الحسناوى [٦٤] .

(٢) المناهل [٣٣٧/١] ، الحسناوى [١٤-٥] .

(٣) المناهل [٣٣٨/١] ، الحسناوى [١٥] ، وانظر القاضى [٦] .

(٤) المناهل [١/ ٣٣٩] الحسناوى [١٥]، وانظر القاضى [٥ - ٦] .

(٥) نفائس [٥ - ٦] .

(٦) الفاصلة [٢٩٩] .

كان أبو هلال العسكرى أول من تعرض لمعايير جودة السجع أو الفواصل ، وأعطانا منها ستة معايير :

فكان أولها البراءة من التكلف .

وثانيها الخلو من التعسف[١] .

فإذا سلم السجع منهما لم يكن فى جميع صنوف الكلام أحسن منه [٢] . وكانت علامتهما عنده الإكثار والموالاة [٣] .

ومن العبث أن نتتبع مواقف الأدباء والنقاد من هذا المعيار. فما من واحد منهم لم يذم التكلف والتعسف. وقد كنت أود أن أجعلهما معيارا واحدا ، لولا أن أبا هلال تعامل معهما تعامل الاثنين .

ووضح ابن الأثير التكلف فى المثال الآتى: إذا صورت فى نفسك معنى من المعانى . ثم أردت أن تصوغه بلفظ مسجوع ، ولم يواتك ذلك إلا بزيادة فى ذلك اللفظ ، أو نقصان منه ، ولا يكون محتاجا إلى الزيادة ولا إلى النقصان؛ فإذا فعلت ذلك فإنه هو الذى يذم من السجع ويستقبح ، لما فيه من التكلف والتعسف[٤] .

المعيار الثالث عند أبى هلال عدم الإكثار والموالاة. قال: إن أمكن أن يكون كل فاصلتين على حرف واحد أو ثلاث أو أربع ، لا يتجاوز ذلك ، كان أحسن ، فإن جاوز نسب إلى التكلف[٥] . وقال : قلما يسلم [السجع] إذا طال من استكراه وتنافر[٦] . وقال وهو يتحدث عن التصريع : مثل هذا : إذا اتفق فى موضع من

(١) الصناعتين [٢٨٦] ، وانظر القلقشندى [٢/ ٢٩٠] .
(٢) الصناعتين [٢٨٦] .
(٣) الصناعتين [٤١٩] .
(٤) المثل [١/٢٧٦-٧] ، الجندى [١٤٢/٢] وانظر العلوى [٢٢/٣] .
(٥) الصناعتين [٢٨٨] . الجندى [٢١٣/١] .
(٦) الصناعتين [١٧٦] ، أسس [٦٠٣] .

القصيدة أو موضعين كان حسنا. فإذا كثر وتوالى دلّ على التكلف[1]. وقد ارتكب قوم من القدماء الموالاة بين أبيات كثيرة من هذا الجنس ، فظهر فيها أثر التكلف ، وبان عليها سمة التعسف[2] .

ووافقه ابن سنان فقال : مما يجب اعتماده فى هذا ألا تجعل الرسالة كلها مسجوعة على حرف واحد ، لأن ذلك يقع تعرضا للتكرار ، وميلا إلى التكلف[3] .

وسار فى ركابهما ابن أبى الإصبع ، فقال : لا تجعل كلامك كله مبنيا على السجع ، فتظهر عليه الكلفة ، ويتبين فيه أثر المشقة ، وتتكلف – لأجل السجع – ارتكاب المعنى الساقط ، واللفظ النازل[4] .

وقال د. على الجندى: هو رأى جمهرة البلغاء[5] .

المعيار الرابع تساوى القرائن – أو ما سماه أبو هلال توازن الأجزاء وتعادلها – لا تزيد إحداها على الأخرى ، ومع ذلك فالزيادة القليلة مغتفرة لا يعتدّ بها [6] . فإن لم يكن ذلك ، فينبغى أن تكون القرينة التالية أطول من سابقتها [7] .

ووصل الأمر بالزركشى إلى أن جعل الأصل فى القرينة المساواة [8] . فلا عجب أن ارتفع به قوم إلى أعلى مراتب السجع .

---

(١) الصناعتين [٤١٩] ، وانظر ابن سنان [١٨٢] .

(٢) الصناعتين [٤١٩] .

(٣) سر [١٨٣،١٧١]، الجندى [١٤٨/٢] . ستيوارت [٢٠] .

(٤) القلقشندى [٣١٦/٢] ، أسس [٦٠٣] .

(٥) صور [١٤٨/٢] .

(٦) الصناعتين [٢٨٧] . الجندى [٢١٧/١] . ستيوارت [١٧] . وانظر نهاية [١٤٣] ، الحكيم [١١٢] .

(٧) الصناعتين [٢٨٧] ، وانظر ابن سنان [١٨٥] ، معترك [٥٢/١] ، الإتقان [١٢٠/٢] ، الحسناوى [٢٢٢] .

(٨) البرهان [٧٩/١] ، وانظر معترك [٣٠/١] ، الإتقان [١١٠/٢] ، الحسناوى [١٣٣] .

المعيار الخامس توازن القوافي ، وإن لم يمكن أن تكون على روى واحد ، كقول بعضهم : اصبر على حرّ اللقاء ، ومضض النزال ، وشدة المصاع ، ومداومة المراس . فلو قال : على حر حرب ، ومضض المنازلة؛ لبطل رونق التوازن ، وذهب حسن التعادل [1] .

المعيار السادس التصدير. فقد ذهب إلى أن له موقعا جليلا[2] .

المعيار السابع: مراعاة المعاني: مر بنا أن أبا هلال صرح فى الثناء على بلاغة القرآن بأنه فاق فى تمكين المعنى كلام البشر[3] .

وجعل عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى من مراعاة المعنى والعفوية معيارا لجودة السجع . فأعلن : وعلى الجملة ، فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا ، ولا سجعا حسنا ، حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه ، وحتى تجده لا تبتغى به بدلا ، ولا تجد عنه حِوَلا .

ومن هاهنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحقه بالحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهب لطلبه ، أو ما هو - لحسن ملاءمته ، وإن كان مطلوبا - بهذه المنزلة ، مثل قول القائل : اللهم هب لى حمدا ، وهب لى مجدا ، فلا مجد إلا بفعال ، ولافعال إلا بجمال .

ولست تجد هذا الضرب يكثر فى شىء ويستمر كثرته واستمراره فى كلام القدماء .

وإن أنت تتبعته من الأثر وكلام النبى ﷺ تثق كل الثقة بوجودك له على الصفة التى قدمت .

فقد تبين من هذه الجملة من الشواهد أن المعنى المقتضى اختصاص هذا النحو بالقبول ، هو أن المتكلم لم يَقُد المعنى نحو التجنيس والسجع ، بل قاده المعنى إليهما ، حتى إنه لو رام تركهما إلى خلافهما مما لا تجنيس فيه ولا سجع ، لدخل

---

(١) الصناعتين [٢٨٩] ، والمصاع : القتال .
(٢) الصناعتين [٤٢٩] .
(٣) الصناعتين [٢٨٥] .

من عقوق المعنى وإدخال الوحشة عليه ، فى شبيه بما ينسب إليه المتكلف للتجنيس المستكره ، والسجع النافر. ولن تجد أيمن ظاهرا ، وأحسن أولا وآخرا ، وأهدى إلى الإحسان ، وأجلب للاستحسان من أن ترسل المعانى على سجيتها ، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ فإنها - إذا تركت وما تريد - لم تكتس إلا ما يليق بها ، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها (١) .

وهذا المعيار هو الذى أشار إليه الرمانى بتبعية الألفاظ للمعانى ، واعتمد على فقدانه في نفي وجود السجع فى القرآن. وهو من المعايير المجمع على وجوب توفرها فى السجع الجيد .

فقد اشترط ابن الأثير أن يكون اللفظ فى السجع تابعا للمعنى ، لا أن يكون المعنى فيه تابعا للفظ(٢) . فإنه يجيء - عند ذلك - كظاهر مموّه على باطن مشوه (٣) ، أو كغمد من ذهب على نصل من خشب(٤) .

وسمى الزركشى هذا المعيار المناسبة ، وقال: اعلم أن من المواضع التى يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره ، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله. فلابد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولا ، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض(٥) .

وسماه د. على الجندى التكافؤ بين اللفظ والمعنى ، فلا يضام المعنى لأجل المبنى(٦) .

---

(١) أسرار [١١-٤] سلطان [٢٢٠] .

(٢) المثل [٢٧٦/١] عرجون [١٧٨] ، عائشة [٢٤٤] ، ستيوارت [١٠] .
وانظر العلوى [٢٢/٣] ، القلقشندى [١٩٠/٢] .

(٣) المثل [٢٧٦/١] ، عائشة [٢٤٤] ، وانظر العلوى [٢١/٣-١] .

(٤) المثل [٢٧٦/١] ، عائشة [٢٤٤] ، ستيوارت [١٠] ، وانظر العلوى [٢١/٣-٢] .

(٥) البرهان [٧٨/١،٨٩،٩١] ، من بلاغة [٧٧-٨١] ، الحسناوى [٢٨٥] .

(٦) صور [١٤١/٢] .

أما العلوى فقد أضاف أن تكون المعانى الحاصلة عن التركيب مألوفة ، غير غريبة ولا مستنكرة ، ولا ركيكة مستبشعة ، لأنها إذا كانت غريبة نفرت عنها الطباع وكانت غير قابلة لها ؛ وإذا كانت ركيكة مجتْها الأسماع(١) .

وزاد القلقشندى أن تكون الألفاظ مونقة المعنى(٢) .

المعيار الثامن : الألفاظ المختارة : قال أبو هلال فى نصه المشار إليه فى المعيار السابق : إن القرآن امتاز عن كلام الناس فى صفاء اللفظ(٣) .

وقال ابن الأثير : ينبغى أن تكون الألفاظ المسجوعة :

حلوة (٤) .

حارة (٥) .

طنانة رنانة (٦) .

لاغثة ولا باردة (٧) . وأعنى أن صاحبها يصرف نظره ، إلى السجع نفسه ، من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة ، ولا إلى تركيبها ، وما يشترط لهما من الحسن(٨) . وهو فى الذى يأتى به من الألفاظ المسجوعة كمن ينقش أثوابا من الكرسف [القطن] أو ينظم عقدا من الخزف الملون(٩) .

وسار العلوى فى طريق ابن الأثير ، وارتضى التنظيم الذى صنعه ، والشروط التى ذكرها ، وأضاف إليها أن تكون الألفاظ المسجوعة : رطبة : صافية على

---

(١) الطراز [٢٢/٣] . (٢) صبح [٢٩٠/٢] .

(٣) الصناعتين [٢٨٥] .

(٤) المثل [٢٧٥/١-٦] أسس [٦٠١] ، وانظر العلوى [٢١/٣] ، القلقشندى [٢٩٠/٢] .

(٥) المثل [٢٧٦/١] ، وانظر القلقشندى [٢٩٠/٢] .

(٦) المثل [٢٧٦/١] ، وانظر العلوى [٢١/٣] .

(٧) المثل [٢٧٦/١] ، وانظر العلوى [٢١/٣] ، القلقشندى [٢٩٠/٢] .

(٨) المثل [٢٧٦/١] .

(٩) المثل [٢٧٦/١] ، وانظر العلوى [٢١/٣] ، القلقشندى [٢٩٠/٢] .

السماع[1] ، طيبة ، تشتاق إلى سماعها الأنفس ، ويلذ سماعها الآذان ، وجَنَّبها الغثاثة والرداءة بدلا من الغثاثة والبرد[2] .

وأضاف د. أحمد أحمد بدوى أن تكون الألفاظ المسجوعة قوية [3] ، ود. على الجندى ألا تكون غريبة. وقال: لعل الغرابة هنا أقبح منها فى أى مكان آخر ، لأن الذهن – إذ ذاك – يتوزع بين ثلاثة أشياء :

فهم الألفاظ الغريبة المجردة ،

وتذوق الحلية ،

وإدراك المعانى جملة ،

فينتشر عليه الأمر بين هذه الثلاثة [4] .

وعلق على شروط ابن الأثير قائلا : قد يبدو عجيبا أن يشترط ابن الأثير فى السجع حدة ألفاظه وطنينها ورنينها. ولكن يبطل العجب إذا عرفنا أن السجع يعتمد على موازنات ومعادلات صوتية ، توفر له حظا من التنغيم ، وأن هذه الكلمات التى خصها بالذكر تتسم بأن لها أجراسا موسيقية خاصة. فهى أصلح من غيرها لبيئة السجع[5] .

المعيار التاسع : الطلاوة : كذلك ارتفع أبو هلال فى النص المذكور بما يتضمنه القرآن من طلاوة وماء[6] .

المعيار العاشر : اجتماع محسِّنين : ذهب الرازى إلى أنه إذا جاء التجنيس مع الترصيع كان أحسن ، كقولهم : ما وراء الخَلْق الدميم إلا الخُلُق الذميم[7] .

---

(١) الطراز [٣/٢١] .

(٢) الطراز [٣/٢١] .

(٣) أسس [٦٠١] .

(٤) صور [٢/١٥٢] .

(٥) صور [٢/١٥٠] .

(٦) الصناعتين [٢٨٥] .

(٧) نهاية [١٤٤] ، وانظر أسس [٦٠٢] .

المعيار الحادى عشر : قصر القرائن : قال ابن الأثير : كلما قلت الألفاظ كان أحسن[1] . وذهب إلى أن أحسن أنماطه ما كان من لفظين لفظين[2] . وعلل حسن القصير بتقارب الفواصل على سمع السامع[3] .

وعلله أبو يعقوب المغربى – معتمدا على ابن الأثير – بصعوبة إدراكه ، وعزة اتفاقه ، وقرب سجعته من أختها [4] .

وشذ ابن النقيب فأعجب بالسجع طويل القرائن ، لأنه كلما طالت القرائن زاد بيانها وإفصاحها [5] .

وذهب القلقشندى إلى أن قصر القرائن يدل على قوة التمكن وإحكام الصنعة ، لا سيما القصير منها للغاية [6] .

وذكر القلقشندى أن صاحب « حسن التوسل » رأى أن السجع طويل القرائن ألَذّ فى السمع ، بتشوق السامع إلى ما يرد متزايدا على سمعه [7] .

المعيار الثانى عشر : حسن التركيب : كان ابن الأثير يرى أن اللفظة المفردة ، إذا صارت مركبة فى جملة ، كان لتركيبها حكم آخر. وذاك أنه يحدث عنه من فوائد التأليفات والامتزاجات ما يخيل للسامع أن هذه الألفاظ ليست تلك التى كانت مفردة . ومثال ذلك كمن أخذ لآلىء ليست من ذوات القيم الغالية ، فألفها ، وأحسن الوضع فى تأليفها. فخيل للناظر – بحسن تأليفه ، وإتقان صنعته – أنها ليست تلك التى كانت منثورة مبددة . وفى عكس ذلك من يأخذ لآلىء من

---

(١) المثل [١/٣٣٥-٦] .

(٢) المثل [١/٣٣٦] .

(٣) نفسه .

(٤) مواهب [٤/٤٤٩] .

(٥) مقدمة [٤٧٣] .

(٦) صبح [٢/٢٨٦] .

(٧) صبح [٢/٢٨٦] .

ذوات القيم الغالية ، فيفسد تأليفها ، فإنه يضع من حسنها. وكذلك يجرى حكم الألفاظ العالية مع فساد التأليف .

ولذلك جعل من حسن التركيب معيارا للجودة (١) .

المعيار الثالث عشر : الاعتدال : صرح ابن الأثير : اعلم أن الأصل فى السجع إنما هو الاعتدال فى مقاطع الكلام . والاعتدال مطلوب فى جميع الأشياء ، والنفس تميل إليه بالطبع(٢) .

ومر بنا أنه وصف الكلام المزدوج المتوازن بأن له طلاوة ورونقا ، بسبب الاعتدال ، وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان . وهذا لا مراء فيه لوضوحه (٣) . كما يأتى أنه علل شرف السجع المتساوى القرائن بالاعتدال الذى فيه (٤) .

كذلك قال العلوى ، وهو يتحدث عن الكلام المتوازن : متى كان الكلام فى المنظوم والمنثور خارجا على هذا المخرج ، كان متسق النظام ، رشيق الاعتدال (٥) .

وعلل د. أحمد أحمد بدوى علو درجة السجع بما فيه من الاعتدال الذى يقع فى النفس موقع الاستحسان(٦) .

وأفاض د. السيد محمد الحكيم فى الحديث عن الاعتدال فقال: الاعتدال فى السجع – عند العرب – يكون بأمرين :

أحدهما : أن تكون القرينتان متعادلتين ، وذلك بأن لا تزيد إحداهما على الأخرى زيادة كبيرة .

---

(١) المثل [٢٧٦،٢٧٠/١] ، وانظر العلوى [٢١/٣-٢] .

(٢) المثل [٢٧٥/١] ، الجندى [١٢٤/٢] ، عائشة [٢٤٤] ، ستيوارت [١٥] . وانظر العلوى [٢١/٣] .

(٣) المثل [٣٧٨/١] .

(٤) المثل [٣٣٣/١] ، وستيوارت [٢٣/١٥] .

(٥) الطراز [٣٨/٣] .

(٦) أسس [٦٠٠] .

والثانى : أن يكون كل منهما غير مفرط الطول[1] .

وطريق معرفة المفرط فى الطول من غيره أن ينظر فى السجع . فإن أمكن أن يوقف فيه على آخر كل قرينة من قرائنه بدون أن ينقطع النفس فى أثناء ذاك ، فهو من غير المفرط فى الطول . وهذا مما يظهر فيه الغرض المطلوب من السجع ، وهو حصول المزاوجة فيه بين القرائن. فإنه إذا وقف فيه على آخر القرينة الأولى ثم على آخر القرينة الثانية – وهى موافقة لها فى الروى – ظهر أمر المزاوجة بينهما بغير توقف . والوقوف هنا متعين لا يسوغ تركه .

وإذا لم يمكن أن يوقف على آخر كل قرينة بدون أن ينقطع النفس أثناء ذلك فهو من المفرط فى الطول. وهذا مما لا يظهر فيه الغرض المطلوب من السجع ، وهو حصول المزاوجة فيه بين القرينتين ، لأنه يُحتاج فيه إلى أن يوقف أثناء كل منهما للاضطرار إلى ذلك ، وفى آخرهما لتعين ذلك الوقوف . فإذا وصل إلى الفاصلة الثانية يكون السامع ربما ذهل عن أمر الفاصلة الأولى ، بسبب ما وقع من الفعل. فيخفى بذلك أمر المزاوجة ، والمطلوب أن يكون واضحا غير خفى .

والإشكال هنا إنما ورد بناء على عدّ ذلك من قبيل السجع ، لأنه يكون من قبيل السجع الذى أُخِلّ فيه بالغرض. فإن عُدّ من غير قبيل السجع بل من قبيل الكلام المجزأ إلى أجزاء ذات فواصل ، لم يرد فى ذلك إشكال ، لأنه لا تشترط فيه المزاوجة ، بل ينظر فيه إلى كل جزء على حدة ، بحيث يسوغ أن يفرد عما قبله وعما بعده إلا لمانع يمنع من ذلك[2] .

وقد مر بنا تعليق الحسناوى على هذا القول وأمثاله .

المعيار الرابع عشر: عدم الترادف : أعلن ابن الأثير أنه نبه على شرط لم ينبه عليه أحد غيره ، وعده سرا هو خلاصة السجع المطلوبة . فإن عرى الكلام المسجوع منه

(١) إعجاز [١١٢-٣] .

(٢) إعجاز [١١٣-٤] .

لا يعتدّ به أصلا ، وهو أن تكون كل واحدة من القرينتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذى اشتملت عليه أختها [1] .

فإن كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه ، لأن التطويل إنما هو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها . وجل كلام الناس المسجوع جار عليه . وإذا تأملت كتابة المفلقين ممن تقدم كالصابى وابن العميد وابن عباد وفلان وفلان ، فإنك ترى أكثر المسجوع منه كذلك ، والأقل على ما أشرت إليه [2] .

وقد انبرى عبد الحميد بن هبة الله المعروف بابن أبى الحديد لابن الأثير ، ورفض اشتراطه عدم الترادف ، وقال عن الترادف : هذه سنة الكتاب وعادتهم ، ما زالوا عليها قديما وحديثا. وهم يرون ذلك من باب سعة العبارة والاقتدار على الألفاظ ، ثم إن السجعة الثانية تؤكد معنى الأولى ، والتأكيد عمدة البيان والكتابة. ولذلك أحبوا فيها الإطالة ، وفى الشعر الاختصار. على أن القرآن – وهو على غاية الإيجاز والاختصار – قد تضمن ذلك فى كثير من المواضع ، نحو قوله : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾ فالرب والملك والإله بمعنى واحد ، فكل واحدة من هذه السجعات قد أعطت معنى الأخرى[3] .

وقال د. على الجندى : من الغريب أن نجد صدى لمذهب ابن الأثير فى عصرنا الحاضر . فقد سأل محمود أبو رية الرافعى عن رأيه فيما أخذه ابن الأثير على الصابى فكان جوابه أنه يراه فى موضعه من النقد ، معللا ذلك بأن السجع صناعة لا سجية ، والترادف قد يحسن فى الأسلوب المرسل لمتانة السياق وقوة السرد ،

---

(١) المثل [١/٢٧٨] ، الجندى [١/٢٢٠-٢٣١] ، وانظر الإشارات [٢٩٩] ، الإيضاح [٥٤٧] ، العلوى [٣/٢٣] ، السبكى [٤/٤٤٨] ، القلقشندى [٢/٢٩٠] ، أسس [١/٦٠-٢] ، عائشة [٢٤٧] .

(٢) المثل [١/٢٧٨] ، وانظر القلقشندى [٢/٢٩١] .

(٣) الفلك الدائر [١٦٩] ، الجندى [١/٢٢٢] .

كما تجده فى كتابة الجاحظ وغيره . ولكن الذى يسجع لا يضطر إليه ، لأن كل سجعة فاصلة ، فهو من باب الحشو لا غير[1] .

وعلق د. الجندى على هذا القول قائلا: فى هذا الكلام بعض الحق لا كل الحق. فصحيح أن السجع صناعة لا سجية غالبا .

وتساءل د. الجندى : هل حقيقة أن التكرار يقبح فى السجع - كما يرى ابن الأثير والرافعى - ويحسن فى المرسل ، كما يرى الأخير ؟

وأجاب : إن التكرار يأتى على قسمين :

تكرار لا يزيد الكلام بهجة ، ولا يمنح القارىء فائدة ، وهو مستقبح حيث وقع ، لأنه الحشو والفضول والتطويل الذى أوسعه البلغاء ذما ، وحذروا منه .

وتكرار يخلع على الكلام رونقا وجمالا ، ويضفى عليه بهاء وبشاشة ، ويضيف إليه ألوانا من الأنغام المحببة ، ويشتق منه صورا جديدة تحمل أطيافا جديدة من المعانى والأخيلة والعواطف ، وإن متّت إلى الأصل بنسب أكيد. وهذا الذى أسلفنا ، هو الفرق بين الإطناب والتطويل ، فالإطناب بلاغة ، والتطفيل والتطويل عى[2] .

وأجمل ابن الأثير معايير الجودة عنده فى أربع شرائط يحتاج إليها الكلام المسجوع : لابد منها : وهى :

الأولى : اختيار مفردات الألفاظ على الوجه الذى أشار إليه فيما تقدم .

الثانية : اختيار التراكيب على الوجه الذى أشار إليه .

الثالثة : أن يكون اللفظ تابعا للمعنى ، لا المعنى تابعا للفظ .

الرابعة : أن تكون كل واحدة من القرينتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذى دلت عليه أختها [3] .

---

(١) صور [١/٢٢٢] .

(٢) صور [١/٢٢٤-٣١] .

(٣) المثل [١/٢٧٨-٩] عائشة [٢٤٥] ، ستيوارت [١٠] ، وانظر الإيضاح [٥٤٧] ، العلوى [٣/٢٣] .

المعيار الخامس عشر : وقوع التحسين فى نفس الفواصل ، ومثل له القلقشندى بقولهم : إذا قَلَّت الأنصار ، كَلَّت الأبصار[1] .

المعيار السادس عشر : قرب التشاكل بين الفواصل : فقد جعل د. أحمد أحمد بدوى من علامات الجودة ألا تكون فاصلة القرينة الأولى بعيدة المشاكلة لفاصلة القرينة الثانية [2] .

المعيار السابع عشر : اقتضاء المقام له: قال د. على الجندى : لا يصلح السجع لكل موضع . وأصلح الموضوعات له هى التى يتجه فيها الخطاب إلى العاطفة ؛ لأنه باتزان كلماته ، وتعادل فواصله ، وائتلاف قوافيه ، يفعل ما يفعله الشعر فى النفوس من إثارة حماستها ، واستفزاز مشاعرها . ولابد أن يكون الكلام مطابقا لنفس صاحبه ، ولنفس قائله ، ولنفس الغرض الذى قيل فيه [3] .

○ ○ ○

---

(١) صبح [٢/٢٩١] .

(٢) أسس [٦٠٢] .

(٣) صور [٢/١٦١] ، وانظر سلام [٢٧٧] .

مراتب وموازنات

كان أبو هلال العسكرى أيضا أول من أبان مراتب أجناس الكلام ذى الصلة بالفواصل ، وعقد الموازنات بين بعضها والبعض الآخر .

وقد بان لنا - مما سبق - أنه كان يعجب بالسجع إعجابا شديدا ، حمله على أن يرى أنه - إذا سلم من التكلف والتعسف - لا يوجد فى جميع صنوف الكلام أحسن منه .

ولا يقل ابن الأثير عنه إعجابا ، إن لم يكن قد فاقه ، كما نحس فى قوله: أما إذا كان [السجع] محمولا على الطبع ، غير متكلف ، فإنه يجىء فى غاية الحسن ، وهو أعلى درجات الكلام. وإذا تهيأ للكاتب أن يأتى به فى كتابته كلها ، على هذه الشريطة ، فإنه يكون قد ملك رقاب الكلم ، يستعبد كرائمها ، ويستولد عقائمها [١] .

وجعل أبو هلال الترصيع ، أو ما سماه السجع فى السجع - إذا سلم من الاستكراه - أحسن وجوه السجع[٢] ، ووصفه بأنه من أعلى مراتبه [٣] .

وذهب ابن الأثير إلى النقيض ، وصرح بأنه ليس من الحسن فى شىء ، لأن التكلف عليه بادٍ ظاهر[٤] .

وسار القلقشندى فى ركاب أبى هلال ، وجعل الترصيع أحسن أنواع السجع وأعلاها ، غير أنه سماه التصريع[٥] .

---

(١) المثل [١/٢٧٧] ، أسس [٦٠٠] .

(٢) الصناعتين [٢٨٧-٨] ، وانظر محمد الجرجانى [٢٢٩-٣٠٠] .

(٣) الصناعتين [٢٨٨] ، ضيف [١٤٢] ، وانظر الإشارات [٢٩٩-٣٠٠] .

(٤) المثل [٣/٢١٦] .

(٥) صبح [٢/٢٨٢،٢٩١] .

واكتفى د. أحمد أحمد بدوى بجعله من شروط الجودة [1] .

ووضع أبو هلال السجع متساوى القرائن فى مرتبة الترصيع[2] .

وخلع عليه ابن الأثير أنه أشرف السجع منزلة ، بسبب الاعتدال الذى فيه[3] .

وأثنى عليه العلوى فوصفه بأنه أعدل الأسجاع قواما ، وأجودها أقساما ، وانتظاما ، وأعلاها مكانا ، وأوضحها بيانا . وأمثاله فى القرآن كثير[4] .

وعلل بهاء الدين السبكى علو درجته ، بشبهه بالشعر ، فإن أبياته متساوية كذلك[5] .

ويبدو أن أبا هلال كان يرى أن الإيغال إذا وقع فى السجع رفعه إلى منزلة لاتدانيها منزلة أخرى . روى عن أبى محمد عبد الله بن محمد التوزى (٢٣٣/ ٨٤٨) قال: قلت لأبى سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى (١٢٢-٢١٦/ ٧٤٠-٨٣١) : من أشعر الناس ؟ فقال : من ينقضى كلامه قبل القافية ، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى. قلت: نحو من ؟ قال : قول ذى الرمة حيث يقول :

قف العيس فى أطلال مية فاسأل   رسوما كأخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه بالرداء ، ثم قال (المسلسل) فزاد شيئا به[6] .

ووضع أبو هلال ما تعادلت أجزاؤه وتقاربت حروف رويه - أى الازدواج - دون الترصيع والسجع المتساوى القرائن[7] .

---

(١) أسس [٦٠٢] .

(٢) الصناعتين [٢٨٨] ، وانظر الرازى [١٤٣] ، الإشارات [٢٩٩] ، السبكى [٤/٤٤٩] ، التفتازانى [٤/٤٤٩] ، الزركشى [١/٧٧] ، معترك [١/٥٢] . الإتقان [٢/١٢٠] .

(٣) المثل [١/٣٣٣] ، الجندى [١/٢١٤] ، ستيوارت [٢٣] .

(٤) الطراز [٣/٢٥،٢٧] .

(٥) عروس [٤/٤٤٩] ، وانظر الزركشى [١/٧٧] .

(٦) الصناعتين [٤٢٢] .

(٧) الصناعتين [٢٨٨] .

وذهب فخر الدين الرازى إلى أن ما اتحد فيه اللفظان صورة لا معنى ، من باب رد الأعجاز على الصدور ، أحسن مما اتحد فيه اللفظان صورة ومعنى(1) .

وذهب محمد بن على الجرجانى (٧٢٩-١٣٢٨) إلى أن أحسن السجع ما تساوت قرائنه ، وبعده ما كانت قرينته التالية أطول من سابقتها كقوله : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ ﴾(2) [النجم] .

وذهب العلوى إلى أن السجع قصير القرائن هو أخفها على القلب ، وأطيبها على السمع ، لأن الألفاظ إذا كانت قليلة فهى أحسن وأرق ، لأنها إذا كانت أطرافها متقاربة لذت على الآذان لقرب فواصلها ولين معاطفها (3) . وكلما قلت كلماته وقرب من القصير كان أحسن(4) .

وعلل السيوطى ذلك بدلالته على قوة المنشىء(5) .

وعلق الحكيم على قول العلوى : هذا القول يلزمه أن يكون السجع الموجود فى غالب الآيات ليس من السجع الممتاز عند أهل البديع ، لما فيه من الطول ومخالفة أمر الاعتدال فى السجع عند العرب(6) .

وتحدث الزركشى عن المتوازى والمتوازن والمطرف ، فأعلن أن أشرفها المتوازى(7) .

وجعل القلشندى السجع ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : أن تكون ألفاظ القرينتين مستوية الأوزان متعادلة الأجزاء ويسمى التصريع .

---

(1) نهاية [١٣٧] .

(2) سورة النجم [١،٢] ، الإشارات [٢٢٩-٣٠٠] ، وانظر السبكى [٤/٤٤٩] ، التفتازانى [٤/٤٤٩] ، الزركشى [١/٧٧] ، معترك [١/٥٢] ، الإتقان [٢/١٢٠] .

(3) الطراز [٣/٢٣] .

(4) الطراز [٣/٢٣-٤] ، ستيوارت [٢٠] .

(5) معترك [١/٥٢] ، الإتقان [٢/١٢٠] ، الحكيم [١١٢] .

(6) إعجاز [١١٢] .

(7) البرهان [١/٧٥] ، وانظر ستيوارت [٢٧-٨] .

المرتبة الثانية : أن يختص التوازن بالكلمتين الأخيرتين من القرينة دون ما عداهما من سائر الألفاظ .

المرتبة الثالثة : أن يقع الاتفاق فى حرف الروى مع قطع النظر عن التوازن فى شىء من أجزاء القرينة فى آخر ولا غيره ، ويسمى المطرف[1] .

ورتب السجعات بعضها على بعض – فى التقديم والتأخير باعتبار القصر – إلى الحالتين التاليتين :

١ – **الحالة الأولى** : ألا يزيد السجع على قرينتين ، وله ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : أن تكون القرينتان متساويتين لا تزيد إحداهما على الأخرى .

المرتبة الثانية : أن تكون القرينة الثانية أطول من الأولى بقدر يسير .

المرتبة الثالثة : أن تكون القرينة الثانية أقصر من الأولى . وتلك معيبة .

٢ – **الحالة الثانية** : أن يزيد السجع على قرينتين ، ولها أربع مراتب :

المرتبة الأولى : أن يقع على حد واحد فى التساوى ، وهو مستحسن .

المرتبة الثانية : أن تكون الأولى أقصر ، والثانية والثالثة متساويتين .

المرتبة الثالثة : أن تكون الأولى والثانية متساويتين والثالثة زائدة عليهما .

المرتبة الرابعة : أن تكون الثانية زائدة على الأولى ، والثالثة زائدة على الثانية [2] .

ويحدونى السياق إلى ترجيح أنه لم يرد بكلمة المرتبة الدرجة ، وإنما أراد النوع فقط .

وذكر د. أحمد أحمد بدوى[3] أن أعلى مراتب السجع – عند المتعصبين له – أن تكون ألفاظ القرينتين مستوية الأوزان متعادلة الأجزاء ، كقول بعض الأعراب فى وصف سنة جدبة : « سنة جردت ، وحال جهدت ، وأيد جمدت » .

---

(١) صبح [٢/٢٨٢-٣] .

(٢) صبح [٢/٢٨٧ - ٩] .

(٣) أسس [٦٠٣] .

ويلى ذلك أن يختص التوازن بالكلمتين الأخيرتين من الفقرتين فقط دون ما عداهما ، كقول الحريرى فى مقاماته : أودى الناطق والصامت ، ورقى الحاسد والشامت فقد حدث التوازن بين الصامت والشامت فحسب .

أما المرتبة الثالثة فأن يقع الاتفاق فى حرف الروى مع قطع النظر عن التوازن فى شيء من أجزاء الفقرة فى آخر ولا غيره ، كقوله : « بيته محط الرحال ، ومخيم الآمال » ، فاللام وحدها هى التى جمعت بين الفقرتين .

☆

وتهدينا هذه الجولة إلى أن الاتفاق واقع على علو رتبة السجع المطبوع ، والمتساوي القرائن .

وكاد الاتفاق يقع على الترصيع لولا خروج الشخص المغرم بالسجع ابن الأثير. إذ رأى فيه علامات من التكلف .

كذلك اعترض د. الحكيم على إعلاء العلوى من شأن السجع قصير القرائن ، لأنه وجد فى القرآن سجعًا كثيرًا يخالفه .

وانفرد أبو هلال بالإعلاء من شأن الإيغال إلى الرتبة التى وضعه فيها ، على حين اكتفى غيره بالإعجاب به .

وعمد الرازى والزركشى إلى الموازنة بين الأنواع المختلفة من الفواصل. أما الجرجانى ود. بدوى فقد وضعا سلمًا بالمراتب .

عيوبها: التخميع

ذكر أبو هلال العسكرى[1] من عيوب الازدواج : التخميع ، وعرّفه بأن تكون فاصلة القرينة الأولى بعيدة المشاكلة لفاصلة القرينة الثانية .

---

(١) الصناعتين [٢٨٩] ، ضيف [١٤٢] ، [١٥٥] ، وانظر ابن سنان [١٧٠] ، القلقشندى [١٩١/٢] ، الجندى [٥٣/٢] ، وكثيرا ما تحرف هذا المصطلح إلى التجميع . والتخميع هو العرج .

وأعلن أنه ينقل مثالها عن قدامة بن جعفر ، وهو أن كاتبًا كتب : وصل كتابك فوصل به ما يستعبد الحر ، وإن كان قديم العبودية ، ويستغرق الشكر ، وإن كان سالف ودك لم يبق منه شيئًا ، فالعبودية بعيدة عن مشاكلة منه شيئًا .

وحقا ذكر قدامة التخميع من عيوب القوافى ، وأتى له بمثالين من الشعر ، ولكن نقد الشعر المطبوع لا يحتوى على المثال النثرى الذى أورده أبو هلال(١) .

التطويل

وجعل من عيوبه أيضًا التطويل . وعرفه بأن تجىء بالقرينة الأولى طويلة ، فتحتاج إلى إطالة الثانية ضرورة .

وقال أيضًا : مثل ما ذكر قدامة أن كاتبًا كتب فى تعزية : إذا كان للمحزون فى لقاء مثله أكبر الراحة فى العاجل .. فأطال هذا الجزء . وعلم أن الجزء الثانى ينبغى أن يكون طويلاً مثل الأول وأطول ، فقال : وكان الحزن راتبًا إذا رجع إلى الحقائق وغير زائل . فأتى باستكراه وتكلف عجيب(٢) .

تفاوت طول القرائن

وذهب ابن الأثير إلى أن السجع إذا خرج عن الاعتدال ، بأن طالت القرينة الثانية عن الأولى كثيرا ، فإنه يقبح عند ذلك ويستكره ويُعَدّ عيبًا (٣) .

ورأى قصر القرينة الثانية عن الأولى عيبًا فاحشا (٤) . وعلل ذلك بأن السجع يكون قد استوفى أمده من القرينة الأولى بحكم طولها ، ثم تجىء القرينة الثانية

---

(١) نقد الشعر [١٠٨] .

(٢) الصناعتين [٢٨٩] ، ضيف [١٤٢] ، وانظر القلقشندى [٢/٢٩١-٢] .

(٣) المثل [١/٣٣٣] . وانظر العلوى [٤/٢٥] ، القلقشندى [٢/٢٨٨] .

(٤) المثل [١/٣٣٥] ، القلقشندى [٢/٢٨٨] ، وانظر الإشارات [٣٠٠] ، التلخيص [٤٠٠] ، الإيضاح [٥٤٨] العلوى [٣/٧٢] .

قصيرة عن الأولى ، فتكون كالشيء المبتور ، فيبقى الإنسان عند سماعها كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها (١) .

وعلله شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبى بأنه يبعد دخول القافية على السامع فيقل الالتذاذ بسماعها. وصرح بأن المرجع فى قدر الزيادة والقصر إلى الذوق(٢) .

واعترض القلقشندى على ابن الأثير ، إذ وجد قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ... وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الأنفال : ٤٣و٤٤] تتألف الآية الأولى من عشرين كلمة ، والثانية من تسع عشرة ، وقال: بل قد اختار تحسين ذلك أبو هلال العسكرى ، محتجا بكثرة وروده فى كلام النبوة (٣) .

إعجازها

كان الباقلانى أول من تعرض صراحة للعلاقة بين الفواصل والإعجاز فأكد أن السجع لا يلتمس فيه الإعجاز ، لأنه أمر محدود وسبيل مورود. ومتى تدرّب الإنسان به واعتاده لم يستصعب أن يجعل جميع كلامه منه (٤) .

أما الفواصل فيصح أن يتعلق بها الإعجاز ، كما يصح فى المقاطع والمطالع والتلاؤم والاستعارة والإيجاز والبسط وحقائق الكلام(٥) .

ورفض أبو بكر عبدالقاهر بن عبد الرحمن الجرجانى أن يكون الإعجاز والتحدى فى الفواصل وحدها ومجردة ، فصرح : كذلك الحكم إن زعم زاعم أن الوصف الذى تحدوه إليه هو أن يأتوا بكلام يجعلون له مقاطع وفواصل ، كالذى تراه فى القرآن ، لأنه أيضا ليس بأكثر من التعويل على مراعاة وزن .

---

(١) المثل [١/٣٣٥] ، القلقشندى [٢/٢٨٨] ، وانظر الإشارات [٣٠٠] ، التلخيص [٤٠٠] ، الإيضاح [٥٤٨] ، العلوى [٣/٢٧] ، السبكى [٤/٤٥٠] ، التفتازانى [٤/٤٥٠] .

(٢) القلقشندى [٢/٢٨٨] .

(٣) صبح [٢/٢٨٨] .

(٤) إعجاز [٢٨٤] .

(٥) إعجاز [٢٨٤] .

فلو لم يكن التحدى إلا إلى فصول من الكلام يكون لها أواخر أشباه القوافى ، لم يُعوزهم ذلك ، ولم يتعذر عليهم. وقد خيل إلى بعضهم -إن كانت الحكاية صحيحة- شيء من هذا ، حتى وضع فصول كلام ، أواخرها كأواخر الآى. وجملة القول إنه لن يعرض هذا وشبهه من الظنون لمن يعرض له إلا من سوء المعرفة بهذا الشأن ، أو الخذلان ، أو لشهوة الإغراب فى القول(١) .

ومن هذا الذى يرضى من نفسه أن يزعم أن البرهان الذى بان لهم ، والأمر الذى بهرهم ، إنما كان لشيء راعهم من مواقع حركاته ، ومن ترتيب بينها وبين سكناته ، أم لفواصل فى أواخر آياته ؟ من أين تليق هذه الصفة(٢) ؟

وجعل القاضى عياض بن موسى اليحصبى [٤٧٦-١٠٨٣/٥٤٤-١١٤٩] . ثانى وجوه إعجازه : صورة نظمه العجيب ، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ، ومناهج نظمها ونثرها الذى جاء عليه ، ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه . بل حارت فيه عقولهم ، ولم يهتدوا إلى مثله فى جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر(٣) .

والرأى السديد فى وجه الإعجاز - عند يحيى بن حمزة العلوى(٤) - هو : ما تضمنه من المزايا الظاهرة والبدائع الرائقة ، فى الفواتح والمقاصد والخواتيم ، فى كل سورة ، وفى مبادئ الآيات وفواصلها .

---

(١) دلائل [٣٨٧-٨] ، ثلاث [١٨٢-٣] .

(٢) دلائل [٣٨٨-٩] .

(٣) الشفا [٥١١/١] ، معترك [٢٧/١] ، صالحة [٧٦] ، وانظر المنار [١٩٨/١] . الحمصى [١٢٥] . شبهات [٢٢،١٠٠] . مدخل شعبان [٣٢٧-٨] إيجاز قمحاوى [١٧٤/٢] .

(٤) الطراز [٢٨/٣،٣٨٨،٤٠٣-٤] .

وعقب الآلوسى على رأى القاضى عياض - الذى ظنه رأيًا للمعتزلة وحدهم - بأنه ردٌّ بوجهين :

الأول : أنا لا نسلم المخالفة ، فإن كثيرًا من الآيات على وزن أبيات العرب نحو ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ﴾[1] . ومثلها كثير .

الثانى : أنا لو سلمنا المخالفة لكن لا نسلم أنه لمجردها يكون معجزًا ؛ وإلا لكانت حماقات مسيلمة - إذ هى على وزنه - كذلك[2] .

وعلل د. محسن عبدالحميد عدم اهتمام الفخر الرازى بالفواصل بأن الأشعرية - ومنهم الرازى - لم يعدوا الفواصل ووزن كلمات القرآن من الإعجاز[3] .

وقال مصطفى صادق الرافعى : ما هذه الفواصل التى تنتهى بها آيات القرآن إلا صورا تامة للأبعاد التى تنتهى بها جمل الموسيقا. وهى متفقة مع آياتها فى قرار الصوت اتفاقًا عجيبًا يلائم نوع الصوت والوجه الذى يساق عليه بما ليس وراءه فى العجب مذهب[4] .

وذكر أن أثر ما سماه طريقة الاستهواء الصوتى فى اللغة طبيعى فى كل نفس. فهى تشبه فى القرآن أن تكون صوت إعجازه الذى يخاطب به كل نفس تفهمه ، وكل نفس لا تفهمه. ثم لا يجد من النفوس - على أى حال - إلا الإقرار والاستجابة .

ولو نزل القرآن بغيرها لكان ضربًا من الكلام البليغ الذى يُطمَع فيه أو فى أكثره ، ولما وجد فيه أثر يتعدى أهل هذه اللغة العربية إلى أهل اللغات الأخرى ، ولكنه انفرد بهذا الوجه المعجز[5] .

---

(١) سورة فاطر [٨١] .

(٢) روح [٢٧/١] ، وواضح أن هذا الوجه هو ما سبق أن ذكره عبد القاهر الجرجانى .

(٣) الرازى [٢٤٧] .

(٤) إعجاز [٢٤٦] ، الجندى [١٨٥/٢] ، الزفزاف [١٢٤] ، أبو زهرة [٣٠٣] ، زرزور [٢١٠] .

(٥) إعجاز [٢٤٧] ، أبو زهرة [٣٠٣] ، السلامى [٢٢٤] ، الحسناوى [٦٤] . وانظر الزفزاف [١٢٤-٥] .

ونقل محمد الغزالى عن هبة الدين الحسينى : من إعجاز القرآن :

- طلاوة أساليبه الفطرية ، ومقاطعه المبهجة ، وأوزانه المتنوعة ،

- فواصله الحسنى ، وأسجاعه المطبوعة [1] .

وقال : أولا ترى القرآن فى معمعة براهينه وأحكامه ، لا ينسى حظ القلب من تشويق وترقيق ، وتحذير وتنفير .. يبث ذلك فى مطالع آياته ومقاطعها وتضاعيفها [2] .

وقال عبد الكريم الخطيب : الفاصلة ظاهرة قرآنية واضحة المعالم فى الصورة التى جاء بها القرآن ، والتى بها انفرد عن أن يكون نثرا ، أو أن يكون شعرا على نحو ما كان عليه الأدب العربى .

إن الفاصلة قد جعلت القرآن نحوا جديدا من أنحاء الكلام العربى . فإذا كان الكلام العربى - قبل نزول القرآن - هو الشعر والنثر ، فإنه - بعد نزوله - أصبح الكلام العربى : شعرا ونثرا وقرآنا .

ويعتبر العلماء هذا الأسلوب الذى جاء به القرآن ، إعجازا قائما بذاته ، لأنه نقض العادة ، وخرج عن المألوف ، وهذا شأن المعجزة [3] .

وقد تصرف القرآن فى الفاصلة تصرفا معجزا ، لا يتسع له جهد البشر ولو اجتمعوا له [4] .

والفاصلة فى القرآن ألوان وطعوم ، تكاد تتعدد ألوانها وطعومها بعدد آي القرآن. فكل فاصلة مقطع من البيان ، ونغم من الألحان ، وآية من آيات الإعجاز ، فى اتصالها بالآية ، وفى انفرادها عنها ، وفى توازنها مع غيرها ، أو استقلالها بذاتها.

---

(١) نظرات [١٥٨] ، وانظر مدخل شعبان [٣٣١] .

(٢) نظرات [١٥٢] .

(٣) إعجاز [٢/٢١٥] . الحسناوي [٨٢] .

(٤) إعجاز [٢/٢١٦،٢٢٦] .

وهكذا تختلف صور الفواصل فى القرآن ، وتتشكل ألوانا وأنغاما ، فلا تجد منها الأذن إلا حسنا مجددا ، ولا يطعم اللسان منها إلا طيبات متنوعة [1] .

والذى يُنظر إليه أن تقع الفاصلة موقعها الذي يقتضيه المعنى أتم اقتضاء . وهذا في القرآن على أتم صورة وأكملها . فلم يكن فى إقامة ا لفاصلة على الوجه الذى تتوازن أو تتوازى فيه مع غيرها جور على المعنى من بعيد أو قريب! وكيف وقدرة اللّه هى القائمة على هذا ؟ وما كان الله ليعجز عن شيء فى السماوات ولا فى الأرض[2] .

وخلص محمد الصادق عرجون إلي أن القرآن كلام من جنس منثور العرب فى ألفاظه وعباراته ، ولكنه مباين فى علو طبقته وسمو درجته لجميع كلام الخلق فى نظمه وأسلوبه . فهو من المنثور الجامع لخصائص أبلغ فنونه ، وأعلى طبقات أنواعه . فيه سجع يقتضيه المقام ، وفيه ترسل يبلغ غاية المرام. وهو فى كليهما معجز خارج عن طوق البشر[3] .

وأعلن محمد أبو زهرة : وجدنا للقرآن حلاوة في الألفاظ والأسلوب والفواصل وغير الفواصل ليست لغيره . ونؤكد أن جرس المقاطع والحروف والكلمات والجمل والفواصل وأبعادها ، كل هذا فيه إعجاز للعرب عن أن يأتوا بمثله [4] .

وصرح د. حسن ضياء الدين عتر : فإذا وقفت على تماثل أنغام الفواصل أحيانا وتقاربها أحيانا أخرى ، وعلى انسجام كل منها مع جرس الكلمات وإيقاع المقاطع فى آيها ، أدركت أن ها هنا سرا عظيما من أسرار الإعجاز البيانى ، يأسر قلوب البشر ، ويستعصى على عبقرياتهم[5] .

---

(١) إعجاز [٢/٢١٦-٧] . (٢) إعجاز [٢/٢١٧] .

(٣) القرآن [١٧٨-٩] .

(٤) المعجزة [٢٨٠] .

(٥) بينات [٢٥٩-٦٠] .

وقال د. السيد محمد الحكيم: إن جرينا على ما وضعت من قواعد ، أمكن أن يقال: إن أسلوب القرآن منقسم إلى ما هو سجع ، وما ليس بسجع . فما كان سجعا كان موافقا لعاداتهم فى التسجيع ، ولكنه خارق للعادة من حيث السلاسة والعذوبة والوصول إلى الذروة العليا من البلاغة ، فيكون معجزا من هذه الناحية .

وما ليس بسجع يكون خارقا للعادة من حيث إنه جاء على طريق مفرد ، ونهج مبتكر ، وأسلوب جديد خالف الأساليب المعهودة فى أقسام الكلام. فيكون معجزا من هذه الناحية ، وهى مخالفة أسلوبه سائر الأساليب . فضلا عن اشتراكه مع القسم الأول فى إعجازه بالناحية الأخرى ، وهى البلاغة . فيكون الإعجاز بالأسلوب ثابتا على كل تقدير[1] .

وختم عدنان زرزور الفصل الذي عقده للفواصل والسجع بأن قال : كل هذه الألوان المونقة الزاهية ، والألحان المنوعة المتناغمة ، يجب أن تعود إلى تأملها وسماعها مرة أخرى ، فى ضوء سائر ضروب الالتزام التى حدثناك عن بعضها فى مبحث الإعجاز ، لتشهد بنفسك مرة أخرى لونا آخر أو فنا آخر من فنون الإعجاز البيانى فى هذا النشيد الخالد[2] .

وسار محمد الحسناوي فى ركاب الباقلانى . ولذلك ذهب إلى أن الفاصلة ليست معجزة وحدها ، بل هى جزء يسهم فى الإعجاز ، وأى جزء .

لقد رأيناها مشحونة بالإيقاع لفظا ومعنى ، ومحورا للعلاقات القريبة والبعيدة : مع القرينة والمقطع والسورة بأسرها ، ورأيناها ميزة تفوق التقفية فى الشعر والنثر على حد سواء ، ومؤشرا يوحى بالإعجاز[3] .

ورأى د. فؤاد على رضا الفواصل من قبيل الإعجاز لحكمتها [4] .

---

(١) إعجاز [١١٦].

(٢) القرآن [٢٥٩] .

(٣) الفاصلة [٣١٩] . وانظر [٣٠٣] ، [٣١٧-٩] .

(٤) من علوم [١٣٢] .

والرأى ـ عند د. محيى الدين رمضان ـ أن فواصل القرآن ومقاطعه إنما هى من أبرز مصادر الموسيقا ، وأبلغها إعجازا موسيقيا ، وأن ذلك وجه لا شك فيه [1] .

ورأى د. أحمد جمال العمرى أن هذا الأسلوب الذي جاء به القرآن إعجاز قائم بذاته ، وآية من آيات العلى القدير ، لأنه نقض العادة ، وخرج عن المألوف . وهذا شأن الإعجاز[2] .

وأعلن د. السيد عبدالغفار : لا شك أن كتاب اللّه – من هذه الوجهة يباين سائر الكلام . ففى آخر كل آية تأتى الفاصلة فى أسلوب فريد ، خرج عن العادة المألوفة فى النظم تقع بها موقعا جميلا ، وهو النظم الذى اختص القرآن به . وهو وجه من وجوه الإعجاز فيه .

☆

يتبين لنا أن الباقلانى وعبد القاهر الجرجانى والرازى والآلوسى رفضوا الإعجاز .
أما الباقلانى ومن تبعه من الأشاعرة وغيرهم فكان رفضهم منصبا على أن يكون ما فى القرآن سجعا معجزا ، وينبع هذا الموقف من نفيهم للسجع عن القرآن .
ولكنهم – فى الوقت نفسه – عدوا ما فى القرآن فواصل معجزة .

وأما الجرجانى فانصب إنكاره على أن الإعجاز ليس فى هذه الحلية أو تلك وإنما فى نظم القرآن كله .

ويتبين لنا أن من العلماء من عدوا الفواصل منفردة وجها من وجوه الإعجاز ، وهم الأكثرية ، ومنهم من جعله جزءا من أحد وجوه الإعجاز ، مثل القاضى عياض والعلوى وأبى زهرة .

---

(١) وجوه [٤٩] .

(٢) مباحث [١٧٦] .

ويتبين أن د. فؤاد على رضا أجمل الأمر ، فلم يحدد مكمن الإعجاز . أما الأكثرية فحددت إعجاز الفواصل فيما تحدثه من موسيقا ، وجعله الحكيم والعمرى وعبدالغفار فى الخروج على المألوف ، والحسينى فيما تثيره من أحاسيس ، وعرجون فى اقتضاء المقام إياها ، والحسناوى فى وثاقه الروابط بينها وبين السياق الذى هى فيه ، وهو ما يتفق مع رأى عرجون .

تذييل

تثير هذه الدراسة عدة قضايا يحسن أن أصرح برأيي فيها وأحتج له ، ليتبين موقفي .

وأولى هذه القضايا تتصل بالكتاب العزيز ، وأعتمد عليه فيما أقول عنه .

يكشف القرآن أن من الأمور التي حيرت البشر أن يمتاز عنهم أفراد منهم ، ولا يختلفون عنهم في شيء يرونه ، فيزعمون لهم أن الله اصطفاهم فأرسلهم إليهم لهدايتهم إلى مجموعة من المبادئ تصحح عبادتهم ، وتقوّم سلوكهم ، وتجرى معاملاتهم على العدالة والتراحم والتسامح .

أجمل هذه الحيرة التي ساقت أكثر البشر إلى العناد والرفض في الآية [٩٤] من سورة الإسراء ، التي قال فيها : ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ . وقال في الآيتين [٩،١٠] من سورة إبراهيم يخاطب قوم محمد بن عبد الله : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠ ﴾[1] .

وفصّلها فأبان أنها حدثت مع رسول بعد رسول . حدثت مع نوح كما قال في الآيتين [٢٤،٢٥] من سورة المؤمنون : ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ

(١) وانظر الآية [٣٤] من السورة نفسها ، يس [١٥] ، التغابن [٥،٦] .

إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾(١) .

وحكى أن آل فرعون قالوا عن موسى وهارون : ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾(٢) [المؤمنون : ٤٧] .

وقالت ثمود لصالح فى الآية [١٥٤] من سورة الشعراء : ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ .

وقال أصحاب الأيكة - أهل مدين - لشعيب فى الآية [١٨٦] من سورة الشعراء : ﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ .

وهكذا بدا جليا أن كون الرسل من البشر كان واحدا من الأسباب الرئيسة لتكذيبهم .

وعلى الرغم من ذلك ، يصر القرآن على أن الله انتقى رسله من البشر. فقال فى الآية [٣] من سورة النحل يخاطب قوم محمد : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم ﴾(٣) [يوسف : ١٠٩] .

ولم يكتف بهذا بل عمد إلى التأكيد ، وصرح بأن محمدا من البشر الذين أُرسل إليهم ، فقال فى الآية [٢] ، من سورة الجمعة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ .

وزاد فى التأكيد فقال يخاطب قوم محمد فى الآية [١٢٨] من سورة التوبة : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾(٤) .

ولم يقف عند هذا بل مضى إلى أن هؤلاء الرسل البشر يزاولون - مثل بقية البشر - الحياة البشرية اليومية ﴿ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٢٠،٧]

(١) وانظر سورة هود [٢٧] .
(٢) وانظر سورة القمر [٢٤ ، ٢٥] .
(٣) وانظر سورة الأنبياء [٧] .
(٤) وانظر سورة آل عمران [١٦٤] .

بل والحياة البشرية الجنسية ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد : ٣٨] .

ويصور القرآن الرسل على وعى تام ببشريتهم ، ويطلب إليهم الاعتراف بها وتأكيدها من حين إلى آخر ، أمام من أرسلهم إليهم من أقوام ، تقول الآية (١١) من سورة إبراهيم : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ وتقول الآية [١١٠] من سورة الكهف : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ .

وأخيرا يكشف القرآن عن السبب الذى تجاهل الله – من أجله – ما تسببه بشرية الرسل من مشاكل. فيبين أن الرسول الذى يُبعث إلى قوم لابد أن يكون منهم ، ومثلهم فى الجنس. فلو كان غريبا عنهم لم يكتفوا بتكذيبه ، وكانوا أشد إنكارا لدعوته ، وعمدوا إلى إيذائه أشد الأذى أو نفوه أو قتلوه. قال فى الآية [٩٥] من سورة الإسراء : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ .

وقال فى الآية [٩] من سورة الأنعام : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ .

وهكذا يبدو جليا أن القرآن يصور الرسل بشرا مثل بقية البشر فى حياتهم ومماتهم ، لا يختلفون عنهم إلا كما يختلف أحدهم عن الآخر ، وإلا فى قدر صفاء البصيرة ، وخلوص الصلة بالله ، وفى حسن التعامل ، وفى القدر الذى يذهب إليه هذا الاختلاف ، وفى اصطفاء الله إياهم للدعوة .

وإذن فمن الشروط الأساسية أن يكون الرسول واحدا من البشر ، بل واحدا من قومه .

ومن الشروط التى يضعها القرآن أيضا أن يتحدث هذا الرسول بلغة قومه. أعلن ذلك فى الآية [٤] من سورة إبراهيم وأعلن سببه ، فقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ .

والنتيجة الطبيعية لهذا القول أن يمارس محمد بن عبد الله الدعوة ﴿ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَـرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠٣ و ١٩٥] ، وأن يكون المنزّل عليه لإبانة معالم الدعوة ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف : ٢ ، الرعد : ٣٧ ، طه : ١١٣ ، الزمر : ٢٨ ، فصلت : ٣ ، الشورى :٧ ، الزخرف : ٣] .

قد تتعدد التصورات التى يستنبطها من يسعون إلى فهم القرآن ، ولكنه يزيل بنفسه كل وهم ، ويحدد المراد بالوصف بالعروبة تحديدا لا لبس فيه ، فيقول فى الآية [١٢] من سورة الأحقاف : ﴿ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ .

أى أن القرآن نزل بلسان العرب .

ولا يكتفى القرآن بهذا القول الواضح . فيلجأ إلى إبانة السبب فى ذلك ، فيقول : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٣] و ﴿ لعلهم يتقون ﴾ [البقرة : ١٨٧] و ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٠] ، أى أنه استخدم هذه اللغة ليكون مفهوما من القوم الذين أنزل فيهم ، فيسعون إلى معرفة ما جاء به ، مما قد يؤدى إلى الإيمان والتقوى .

وما معنى نزول القرآن باللغة العربية ؟

معناه أنه التزم هذه اللغة فى مفرداته وتراكيبه .

فالألفاظ التى استخدمها القرآن ألفاظ كان العرب يستخدمونها وقت نزوله ، وفى المعانى التى استخدمها فيها نفسها . لم يخرج عن ذلك إلا فى ألفاظ قلائل ، قيل إنه استعارها من لغات بعض الشعوب المتاخمة للعرب. وليس لدينا – الآن – الوسائل للتحقق من صحة هذا الزعم ، لأن العرب أدخلوا كثيرا من ألفاظ الشعوب المجاورة قبل القرآن ، وفى أثناء نزوله ، وبعده . ولو كان الأمر أمر استعارة من اللغات الأجنبية لفاق شعر أمية بن أبى الصلت – المعاصر للنبى ﷺ ومنافسه فى النبوة – فاق القرآن فى كثرة ما استعار وغرابته .

أما المعانى التى وهبها القرآن لعدد من الألفاظ الأصيلة العروبة ، فلم تكن مفقودة الصلة بالمعانى الأصيلة ، وإنما وهبها ذاك عن طريق التوسع والمجاز وغيرهما من الطرق المباحة لكل من يستخدم اللغات ، ولاسيما الفصحاء .

والتراكيب التى استخدمها القرآن سارت على الطرق التى شقها العرب ووسعوها ومهدوها ، حتى وصلوا بلغتهم إلى مستوى بلاغى رفيع ، اعترف به القرآن ، والمسلمون الأولون والمتأخرون ، بل والمستشرقون أيضا .

ومعنى ذلك أن القرآن لم يبتدع نهجا جديدا ، أو يضع قواعد مبتكرة ، لاستخدام الألفاظ ، ولا لتركيب هذه الألفاظ فى جمل مفيدة ، تتسم بالسلامة النحوية والجمال اللغوى على حد سواء .

وإنما سار القرآن على القواعد النحوية التى اصطلح عليها المتحدثون (لا النحاة) العرب ، ليكفلوا لتعبيرهم السلامة التركيبية ، والقواعد البلاغية التى اصطلح عليها الفصحاء (لا البلاغيون) من العرب .

فما رآه هؤلاء الفصحاء خطأ تجنبه القرآن كما حاولوا أن يتجنبوه هم ، وما رأوه نقصا ابتعد عنه كما سعوا إلى ذلك هم ، وما تصوروه جمالا التزم به كما فعلوا هم .

وهنا تأتى الظاهرة التى كانت موضع درسنا بشقيها : الفواصل ذوات الروى المتماثل ، وذوات الأواخر المتقاربة. فلا شك أن المتحدثين بالعربية ذهبوا إلى أن هذه الظاهرة واحد من معايير الجمال اللغوى الذى كان يدعى بالفصاحة أو البلاغة. ولما ظهر علماء البلاغة أطلق بعضهم على الشقين معا اسم السجع ، وقصر بعضهم هذا الاسم على ما انتهى بروى واحد .

ومن هنا استخدمها القرآن استخدامه لبقية المعايير .

أما التسمية التى أطلق أنا على هذه الظاهرة فى القرآن فلا تستحق كل هذا العناء الذى كابده الناس فيها . فالتسمية بالسجع أو بالفواصل صحيحة . وإنما الخطأ أن

ينكر منكر أن الشق ذا الروى الواحد فى القرآن سجع . ويؤيدنى فى ذلك أن النقاد أطلقوا أسماء واحدة على بقية الظواهر البلاغية التى وجدت فى القرآن والنثر والشعر ، ولم يخصوا القرآن بأسماء مستقلة لها .

وإنما الذى أنكره تطبيق القواعد التى استخلصها علماء البلاغة من الأعمال الأدبية المسجوعة ، وبخاصة أعمال السجاعين الذين غلب عليهم عشق السجع وشرع يستبد بهم منذ القرن الرابع إن لم نقل الثالث ، ويفتن بهم فى التقسيم والتشعيب ، تطبيق هذه القواعد على النص القرآني ، الذى له ما يفصله عنها بعض الانفصال . وإنما يجب أن تستخلص القواعد منه ، وهو النص الذى أجمع الفصحاء على درجته السامية .

أيؤدى هذا التصور - الذى يحرم القرآن من ابتداع الألفاظ والقواعد النحوية والبلاغية - إلى إنكار الإعجاز البيانى للقرآن ؟

لا . فالإجماع واقع على أن إعجاز القرآن فى طريقة استخدامه لهذه القواعد المألوفة من العرب ، أو إن شئنا التعبير الحديث قلنا تفجير الطاقات الكامنة فى طرق التعبير العربية للوصول إلى صور جمالية لم يستطع غير القرآن من الأعمال الأدبية الوصول إليها. فالإعجاز فى المستوى البلاغى وليس فى ابتداع القواعد سواء النحوية أو البلاغية .

وثانى هذه القضايا يتصل بالفن .

فإنى ممن يرون أن العمل الفنى لا يأتى إلا عن (قصد) ، لا يأتى إلا أن يعقد صاحب هذا العمل النية على إنتاج عمل يتحلى بالجمال الذى يمتع المتلقين ، إضافة إلى ما يبثه فيهم من آثار أخرى ، فإذا لم يسع صاحب العمل إلى توفير الجمال فقد العمل المقومات التى تجعله جديرا بدخول مملكة الفن .

ليس مهما أن يكون هذا الجمال على هذا الشكل أو ذاك ، أو أن يخضع لهذا المبدأ أو ذاك ، وإنما المهم أن يكون له أثره فى عين المتلقى أو أذنه أو فى نفسه .

وأعتقد أنى لست فى حاجة إلى أن أقول إن القرآن أراد أن يكون عملا أدبيا ، بل عملا أدبيا ممتازا ، بل عملا أدبيا ممتازا لا يستطيع غيره من الأعمال أن يفوقه أو أن يساويه بل أن يدانيه .

وعلى هذا الأساس قام التحدى ، عند الأغلبية العظمى من علماء المسلمين وأدبائهم وفصحائهم ، أى قامت نظرية الإعجاز .

والمعنى الواضح لهذا أن القرآن أراد أن يكون عملا أدبيا فائقا فى كل كلمة من كلماته ، وجملة من جمله ، وصورة من صوره الفنية ، والتفاتة بلاغية من التفاتاته ، وظاهرة أسلوبية من ظواهره .

أى أن القرآن سعى إلى ظاهرة الفواصل أو السجع عن قصد ووعى بما تحدثه من جمال أدبى ، وما تثيره من أثر شعورى .

وثالث هذه القضايا فنى أيضا .

فإن الفن عندى : لما كان لا يأتى إلا عن قصد ، فإنه – نتيجة لذلك – لا يأتى إلا عن (صناعة) . أعنى بذلك أن صاحب العمل الذى يريد أن يدخل عمله مملكة الفنون لابد أن يبذل الجهد بل الجهود ليوفر لعمله الشكل الجميل الممتع المثير ، مهما كان تصوره وتصور مجتمعه لهذا الجمال .

اختلف المتحدثون فى تسمية هذا الجهد ، ولست ممن تهمنى التسميات ، وإنما تهمنى الظواهر والوقائع .

وقد سماه بعضهم التكلف. وهنا أود أن أفرق بين جهدين: جهد يسعى إلى حسن استثمار التفكير المتروى الذى لا يقنع بالقشور الظاهرة ، ويمعن فى الأعماق وراء الأفكار الباطنة واستثمار الوجدان الفائر ، وما يتيحه التعبير اللغوى من طاقات

كامنة ، أى جهد يسعى لاستخراج ما يمكن أن يعطيه من مضمون قيم ، وصور تعبيرية جميلة مناسبة لهذا المضمون. هذا الجهد أسميه (الصناعة الفنية) .

والجهد الآخر ينكب على زخارف التعبير الظاهرة غالبا بالإغراق فيها ، أو على المشاعر الفجة بالمبالغة الممقوتة ، أو على الأفكار المبتسرة أحيانا. وذلك ما أسميه التكلف .

ففرق كبير بين الصناعة الفنية ، وهى أمر محتوم فى الفن ، وبين التكلف ، وهو أمر ممقوت فيه .

ومن ثم فالقول بأن هناك إنتاجا عفويا فى الفن قول يجدر الوقوف عنده وسبره للوقوف على حقيقته . فإذا كان صاحب هذا القول يريد أنه إنتاج لم يتروَّ فيه صاحبه ، ولم يجوده ولا حبّره ، فإنى أقول - دون توقف - إذن هو ليس بفن أو هو فن متدنّ .

وإنما الفرق بين الإنتاج المطبوع والمصنوع يكمن - عندى - فى أمور أذكر منها :

قدر الجهد الذى بذله الأديب فى إنتاج عمله. فإذا زاد هذا الجهد عن مستوى معين اجتاز العمل مستوى الطبع إلى مستوى الصنعة .

المجال الذى وجه الأديب إليه جهده. فإذا كان هذا المجال هو الزخرف اللفظى لم يعد العمل جديرا بالاتصاف بالمطبوع .

المدى الذى وصل إليه الأديب فى الظواهر الفنية التى أتى بها. فإذا أكثر أو أطال عن حد معين حكمنا عليه بالتكلف .

ولذلك لا أتردد فى وصف القرآن - وهو فى موقف التحدى الذى رأيناه - بأنه سعى إلى أن يتحلى بكل مجالى الجمال التعبيرى عند العرب ، وأحدها السجع ، عن قصد وعمد ، ليكشف عجزهم جليا جلاء الشمس .

ورابع هذه القضايا القول بأن الساجع يقصد - لا محالة - إلى السجعة أولا ثم يصوغ تعبيره ليحققها .

وأبدأ بأن أقول إن هذا القول – على الرغم من شيوعه وبقائه إلى اليوم – قول من لم يمارس فن القول ، ولا فهمه فهما صحيحا .

ففن القول – بل كل الفنون – عناء يكابده الأديب من أجل المواءمة بين أفكاره والتعبير عنها تعبيرا يتصف بالسلامة ، وبالوفاء بأداء الأفكار ، وبالجمال الفنى .

وهناك نتيجة بدهية ، لو سلمنا بقول الرمانى ومن لف لفه تسليما مطلقا لهدمنا الشعر العربى القديم ، ونفيناه عن ملكوت الفن ، لأن الشاعر يبذل من الجهود للوصول إلى القافية ، والمواءمة بينها وبين أفكاره ، أكثر مما يبذل الساجع للوصول إلى سجعته .

ولو سلمنا أيضا بما قال لا ضطررنا إلى أن نسمى السجع الجيد الذى أتى به كبار الكتاب من أمثال ابن العميد وابن عباد والبديع الهمذانى وأمثالهم: فواصل ، لأنه تتحقق فيه تبعية الألفاظ للمعانى . ولم يقل أحد بذلك ، لاتفاق الجميع على اختصاص سجع القرآن بهذا الاسم .

وخامس هذه القضايا الفنية الموازنة والمفاضلة بين الازدواج والسجع. فهى – فى رأيى – مفاضلة لا أساس لها. فكل منهما ظاهرة فنية مستقلة عن الأخرى بعض الاستقلال. فلا وجه لتفضيل هذه على تلك أو تلك على هذه وإنما يفاضل بين صور التعبير المنتمية إلى واحدة منهما .

بل لو لجأ أحد الكتاب إلى جعل أحد أعماله الطويلة سجعا كله أو ازدواجا كله ، لوقع فى التصنع والتكلف ، وكسب ملل قرائه وصدودهم .

وسادس القضايا عيب أكثر الأدباء سجع الكهان دون روية. فإذا آمنا بقول علماء البلاغة بأنها مطابقة المقال للمقام ، لكان واجبا علينا أن نقر بأن ما وصل إلينا صحيحا من هذا السجع كان بليغا. فلم يكن مقام الكهان مقام الوضوح ، وإنما كانوا يقصدون عمدا إلى الغموض ، وتحميل الكلام الفهوم المختلفة ، وإثارة الموسيقا اللفظية التى تشتت الانتباه ، وتبعث الروع. وقد أفلح أكثرهم فى ذلك إلى حد بعيد . ولذلك كانت أقوالهم حميدة فنيا ، ذميمة إنسانيا ودينيا .

ملاحــق
الأسماء الحسنى فى الفواصل

قام محمد الحسناوى بإحصاء أسماء اللّٰه الحسنى الواردة فى الفواصل فخرج بالنتائج التالية :

١ – وردت هذه الأسماء مرة أو أكثر فى ٥٠ سورة مكية و ٢١ مدنية .

٢ – خلت ٤٣ سورة من هذه الأسماء: ٣٨ مكية و٥ مدنية .

٣ – لم يرد ٦٣ اسما من هذه الأسماء فى الفواصل. منها ٢٧ لم ترد فى النص القرآنى كله ، ٢٤ وردت فيه ولم ترد فى الفواصل .

٤ – ورد من هذه الأسماء ٣٦ اسما ٣٦٥ مرة فى الفواصل على النحو التالى :

الرحيم ١١٣	العليم ٨٦	الحكيم ٧٩	البصير ٣٥	الخبير ٢٩
الحميد ١٤	الوكيل ١٣	الشهيد ١٢	الحليم ١١	الغفور ١١
العزيز ٧	العظيم ٦	القهار ٦	الكبير ٥	الغفار ٤
الحسيب ٣	الشكور ٣	الوهاب ٣	الكريم ٢	الرقيب ٢
المجيد ٢	القيوم ٢	الحفيظ ٢	ذو الجلال والإكرام ٢	
المقتدر ٢	المجيب ١	المتين ١	المُقيت ١	الودود ١
التواب ١	الرحمن ١	المتعال ١	القادر ١	الواحد ١
الأحد ١	الصمد ١			

٥ – نسبة الفواصل التى وردت فيها هذه الأسماء إلى الفواصل كلها ٧,٥٪ على وجه التقريب .

٦ – قلما يرد اسم من الأسماء الحسنى فى الفواصل غير مقترن باسم آخر فالرحيم الذى تكرر ١١ مرة فى سورة النساء : جاء منفردا مرة واحدة ، وعشر مرات مقترنا بالتواب أو الغفور .

وإلى جانب الدلالات التى تخص كل اسم من هذه الأسماء على حدة ، خرج بالدلالات العامة التالية :

١- إثراء هذه الأسماء الفواصل بدلالات لا تحصى من ظلالها التى لها طابع القداسة والأهمية .

٢- إنزال الفواصل هذه الأسماء حسنا فى ختام الآيات ، وبذل النصيب الأوفى من النفوس والأسماع لها ، لأنها آخر ما يتناهى إلى القارىء والسامع .

٣- الانتفاع من الإيقاع الموسيقى لهذه الأسماء . فمعظمها - إن لم نقل كلها - مردف بأحد حروف المد ، مما يترك صداه الآسر فى موقعه من الفاصلة ، وفى تناغمه مع الطابع العام للفواصل[١] .

---

(١) الفاصلة [٩-٣٠٩-١٥] .

إحصائية عن الفواصل

السورة	رقمها	عدد الآيات	عدد الفواصل	السورة	رقمها	عدد الآيات	عدد الفواصل
الفاتحة	١	٧	٧	الحج	٢٢	٧٨	٣٦
البقرة	٢	٢٨٦	٢٦٤	المؤمنون	٢٣	١١٨	١١٨
آل عمران	٣	٢٠٠	١٨٣	النور	٢٤	٦٤	٥٩
النساء	٤	١٧٦	١٤٣	الفرقان	٢٥	٧٧	٧٧
المائدة	٥	١٢٣	١٠٨	الشعراء	٢٦	٢٢٧	٢٢٣
الأنعام	٦	١٦٥	١٥٩	النمل	٢٧	٩٣	٩٣
الأعراف	٧	٢٠٦	٢٠٣	القصص	٢٨	٨٨	٨٧
الأنفال	٨	٧٥	٦٤	العنكبوت	٢٩	٦٩	٦٨
التوبة	٩	١٢٩	١٢٤	الروم	٣٠	٦٠	٥٨
يونس	١٠	١٠٩	١٠٧	لقمان	٣١	٣٤	٣٠
هود	١١	١٢٣	١٠١	السجدة	٣٢	٣٠	٢٩
يوسف	١٢	١١١	١٠٧	الأحزاب	٣٣	٧٣	٦٠
الرعد	١٣	٤٣	٣٧	سبأ	٣٤	٥٤	٥٢
إبراهيم	١٤	٥٢	٢٨	فاطر	٣٥	٤٥	٤٢
الحجر	١٥	٩٩	٩٧	يس	٣٦	٨٣	٨٣
النحل	١٦	١٢٨	١٢٦	الصافات	٣٧	١٨٢	١٨٠
الإسراء	١٧	١١١	٩٩	ص	٣٨	٨٨	٨٣
الكهف	١٨	١١٠	١١٠	الزمر	٣٩	٧٥	٧٠
مريم	١٩	٩٨	٨٩	غافر	٤٠	٨٥	٧٦
طه	٢٠	١٣٥	١٣٤	فصّلت	٤١	٥٤	٤٦
الأنبياء	٢١	١١٢	١١١	الشورى	٤٢	٥٣	٤٧

السورة	رقمها	عدد الآيات	عدد الفواصل	السورة	رقمها	عدد الآيات	عدد الفواصل
الزخرف	٤٣	٨٩	٨٨	التحريم	٦٦	١٢	١١
الدخان	٤٤	٥٩	٥٩	الملك	٦٧	٣٠	٣٠
الجاثية	٤٥	٣٠	٣	القلم	٦٨	٥٢	٥٢
الأحقاف	٤٦	٣٥	٣٥	الحاقة	٦٩	٥٢	٤٩
محمد	٤٧	٣٨	٣٥	المعارج	٧٠	٤٤	٣٦
الفتح	٤٨	٢٩	٢٨	نوح	٧١	٢٨	٢٢
الحجرات	٤٩	١٨	١٧	الجن	٧٢	٢٨	١٧
ق	٥٠	٤٥	٣٨	المزمل	٧٣	٢٠	١٧
الذاريات	٥١	٦٠	٥٥	المدثر	٧٤	٥٦	٥٤
الطور	٥٢	٤٩	٤٧	القيامة	٧٥	٤٠	٣٩
النجم	٥٣	٦٢	٦١	الإنسان	٧٦	٣١	٣٠
القمر	٥٤	٥٥	٥٥	المرسلات	٧٧	٥٠	٤٦
الرحمن	٥٥	٧٨	٧٨	النبأ	٧٨	٤٠	٣١
الواقعة	٥٦	٩٦	٩٠	النازعات	٧٩	٤٦	٣٨
الحديد	٥٧	٢٩	١٩	عبس	٨٠	٤٢	٣٥
المجادلة	٥٨	٢٢	١٦	التكوير	٨١	٢٩	٢٥
الحشر	٥٩	٢٤	١٧	الانفطار	٨٢	١٩	١٧
الممتحنة	٦٠	١٣	٨	المطففين	٨٣	٣٦	٣٦
الصف	٦١	١٤	١٣	الانشقاق	٨٤	٢٥	٢٣
الجمعة	٦٢	١١	١١	البروج	٨٥	٢٢	١٧
المنافقون	٦٣	١١	١١	الطارق	٨٦	١٧	١٤
التغابن	٦٤	١٨	١٣	الأعلى	٨٧	١٩	١٩
الطلاق	٦٥	١٢	١٠	الغاشية	٨٨	٢٦	٢١

السورة	رقمها	عدد الآيات	عدد الفواصل
الفجر	٨٩	٢٦	٢١
البلد	٩٠	٢٠	٢٠
الشمس	٩١	١٥	١٥
الليل	٩٢	٢١	٢١
الضحى	٩٣	١١	١٠
الشرح	٩٤	٨	٨
التين	٩٥	٨	٨
العلق	٩٦	١٩	١٨
القدر	٩٧	٥	٥
البينة	٩٨	٨	٦
الزلزلة	٩٩	٨	٦
العاديات	١٠٠	١١	١١
القارعة	١٠١	١١	٦
التكاثر	١٠٢	٨	٨
العصر	١٠٣	٣	٣
الفيل	١٠٥	٥	٥
قريش	١٠٦	٤	لايوجد
الماعون	١٠٧	٧	٧
الكوثر	١٠٨	٣	٣
الكافرون	١٠٩	٦	٢
النصر	١١٠	٣	لايوجد
المسد	١١١	٥	٥
الإخلاص	١١٢	٤	٤
الفلق	١١٣	٥	٥
الناس	١١٤	٦	٦

مجموع الآيات = ٦٢٣٦

الآيات المقفاة = ٥٣٥٥

النسبة المئوية = ٩ر٨٥٪

المراجـــع

- الآلوسى ، شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى – بيروت – دار الفكر – ١٩٧٨/١٣٩٨ .
- ابن أبى الإصبع ، عبد العظيم بن عبد الواحد : بديع القرآن – ط ١ – مصر – القاهرة – مطبعة الرسالة – ١٩٥٧/١٣٧٧ .

: تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن – لجنة إحياء التراث الإسلامى – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – د. ت.

- ابن أبى الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله : شرح نهج البلاغة – مصر – دار إحياء الكتب العربية – ١٩٥٩/١٣٧٨ .

: الفلك الدائر على المثل السائر – مصر – مطبعة الرسالة – د.ت.

- ابن الأثير ، نصر الله بن محمد : المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر – ط ١ – مصر – مطبعة نهضة مصر – ١٩٩٥٩/١٣٧٩ .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : مقدمته – ط ٢ – مصر – لجنة البيان العربى – ١٩٦٥/١٣٨٤ .
- ابن سنان الخفاجى ، عبد الله بن محمد : سر الفصاحة – مصر – مطبعة محمد على صبيح وأولاده – ١٩٦٩؛١٣٨٩ .
- ابن سيده ، على بن إسماعيل : المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة – ط ١ – مصر – مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحـلبى وأولاده – ١٩٥٨/١٣٧٧ وما بعدها .
- ابن عطية الأندلسى ، أبو محمد عبد الحق : المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز – ط ١ – الدوحة – المحرم ١٣٩٨/ديسمبر ١٩٧٧ .
- ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم : تفسير غريب القرآن – مصر – دار إحياء الكتب العربية – ١٩٥٨/١٣٧٨ .

- ابن المعتز ، عبد الله : البديع - سوريا - دمشق - منشورات دار الحكمة - د.ت.
- ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم : لسان العرب .
- ابن النقيب ، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان : مقدمة تفسيره فى علم البيان والمعانى والبديع وإعجاز القرآن - ط ١ - مصر - مكتبة ومطبعة الخانجى - ١٩٩٥/١٤١٥ .
- ابن وكيع التنيسى ، الحسن بن على : المنصف فى نقد الشعر وبيان سرقات المتنبى ومشكل شعره - سوريا - دمشق - دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع - ١٩٨٢/١٤٠٢ .
- أبو حمدة ، محمد على : من أساليب البيان فى القرآن الكريم - ط ١ - الأردن - عمان - جمعية عمال المطابع التعاونية - ١٩٧٨/١٣٩٨ .
- أبو حيان ، محمد بن يوسف : البحر المحيط - المملكة العربية السعودية - الرياض - نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة - د.ت.
- أبو زهرة ، محمد : المعجزة الكبرى القرآن - مصر - دار غريب للطباعة - ١٩٧٣ .
- أبو زيد ، نصر حامد : مفهوم النص - مصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٠ .
- أبو عبيدة ، معمر بن المثنى : مجاز القرآن - ط ١ - نشر محمد سامى أمين الخانجى - ١٩٥٤/١٣٧٤ .
- د. أبو على ، محمد بركات حمدى : فى إعجاز القرآن الكريم - ط ١ - مؤسسة الخافقين ومكتبتها - ١٩٨٣/١٤٠٣ .
- د. أبو فرحة ، الحسينى : مأدبة الله - ط ٣ - مصر - الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - ١٩٨٤/١٤٠٤ .

- الإسكافى ، أبو جعفر محمد بن عبد الله الخطيب : درة التنزيل وغرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز - ط ٣ - بيروت - دار الآفاق الجديدة - ١٩٧٩ .
- د. إسماعيل ، شعبان محمد : المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الاجتماعية - ط ١ - مصر - مطبعة التقدم - ١٩٨٠/١٤٠٠ .
- د. أمين ، بكري شيخ : التعبير الفنى فى القرآن - ط ٢ - بيروت - القاهرة - دار الشروق- ١٩٧٦/١٣٩٦ .
- د. أنيس ، إبراهيم : موسيقا الشعر - ط ٦ - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٧٧.
- الباقلانى ، أبو بكر محمد بن الطيب : إعجاز القرآن - ط ٤ - مصر - دار المعارف - ١٩٧٧ .
- د. بدوى ، أحمد أحمد : أسس النقد الأدبى عند العرب - ط ٣ - مطبعة لجنة البيان العربى - ١٩٦٤.
: من بلاغة القرآن - ط ٣ - مكتبة نهضة مصر بالفجالة - د.ت.
- د. البوطى ، محمد سعيد رمضان : من روائع القرآن - ط ٣ - مكتبة الفارابى - شعبان ١٣٩٢/أيلول ١٩٧٢ .
- د. البيومى ، محمد رجب : البيان القرآنى - مصر - مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - ربيع الثانى ١٣٩١/مايو ١٩٧١ .
- التفتازانى ، سعد الدين مسعود بن عمر : مختصره على تلخيص المفتاح - مصر - بولاق - المطبعة الأميرية ١٣١٨ .
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : البيان والتبيين - ط ٥ - مصر- مطبعة المدنى - ١٩٨٥/١٤٠٥ .
- الجرجانى ، عبد القاهر بن عبد الرحمن : دلائل الإعجاز - مصر - مطبعة المدنى - ١٩٨٤ .

- الجرجانى ، محمد بن على : الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة - مصر - مطبعة نهضة مصر - ١٩٨٢ .
- د. الجندى ، على : صور البديع - فن الأسجاع - مصر - مطبعة الاعتماد - د. ت.
- د. الجوينى ، مصطفى الصاوى : جماليات المضمون والشكل فى الإعجاز القرآنى - الإسكندرية - منشأة المعارف - ١٩٨٢ .
- الحسناوى ، محمد : الفاصلة فى القرآن - المكتب الإسلامى ببيروت - دار عمان بعمّان .
- د. حسين ، طه : من بعيد ، ط ١ ، لبنان - بيروت - دار الكتاب اللبنانى - د. ت.
- د. الحكيم ، السيد محمد : إعجاز القرآن - مصر - مطبعة دار التأليف - ١٣٩٨/١٩٧٨ .
- الحمصى ، نعيم : فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر ، مع نقد وتعليق - ط ٢ - لبنان - بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٤٠٠/١٩٨٠ .
- حمودة ، عبد الوهاب : موسيقا القرآن - مصر - مجلة الأزهر - لسنة ٣٩ - رجب ١٣٨٧/أكتوبر ١٩٦٧ .
- الخطيب ، عبد الكريم : إعجاز القرآن - ط ١ - مصر - مطابع دار الكتاب العربى - رمضان ١٣٨٣/فبراير ١٩٦٤ .
- الدباغ ، مصطفى : وجوه من الإعجاز القرآنى - ط ١ - الأردن - عمان - مطابع الدستور التجارية - ١٩٨٢ .
- الدبل ، محمد سعد : النظم القرآنى فى سورة الرعد - مصر - دار النصر للطباعة الإسلامية - ١٩٨١ .
- الرازى ، فخر الدين محمد بن عمر : التفسير الكبير - ط ٣ - بيروت - دار إحياء التراث العربى .

: نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز – ط ١ – بيروت – دار العلم للملايين – تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٥ .
– الرافعى ، مصطفى صادق : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – ط ٤ . مصر – مطبعة الاستقامة – ١٩٤٠/١٣٥٩ .
– د. رضا ، فؤاد على : من علوم القرآن – ط ١ – مكتبة مدبولى بالقاهرة – دار اقرأ ببيروت – ١٤٠٢/١٩٨٢ .
– رضا ، محمد رشيد : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار .
– الرمانى ، على بن عيسى ، النكت فى إعجاز القرآن – ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن – مصر – دار المعارف – د. ت.
– د. زرزور ، عدنان : القرآن ونصوصه – دمشق – مطبعة خالد بن الوليد – ١٣٩٩ – ١٩٧٩/١٤٠٠ – ١٩٨٠ .
– الزركشى ، بدر الدين محمد بن عبد اللّٰه : البرهان فى علوم القرآن – ط ١ – مصر – دار إحياء الكتب العربية – ١٩٥٧/١٣٧٦ .
– الزفزاف ، محمد : التعريف بالقرآن والحديث – ط ٢ – نشر عباس أحمد الباز – مكة المكرمة ١٩٨٠/١٤٠٠ .
– السبكى ، بهاء الدين أحمد بن على : عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح – مصر – بولاق – ١٣١٨ .
– ستيوارت ، ديفين : السجع فى القرآن : بنيته وقواعده – مجلة فصول – المجلد ١٢ – العدد ٣ – خريف ١٩٩٣ .
– السكاكى ، يوسف بن أبى بكر : مفتاح العلوم – ط ١ – لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية – ١٩٨٣/١٤٠٣ .
– السلامى ، عمر : الإعجاز الفنى فى القرآن – تونس – نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد اللّٰه – ١٩٨٠ .

- د. سلطان ، منير : إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة .
- د. سلام ، محمد زغلول : أثر القرآن فى تطور النقد العربى إلى آخر القرن الرابع الهجرى - مصر - دار المعارف - ١٩٦١ .
: ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن - مصر - دار المعارف .
- السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر : الإتقان فى علوم القرآن - مصر - المطبعة الموسوية - ٢٢ شعبان ١٢٨٧ .
: معترك الأقران فى إعجاز القرآن - مصر - دار الثقافة العربية للطباعة - ١٩٦٩.
- د. شحاتة ، عبد اللّه محمود : علوم القرآن والتفسير - مصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب - سلسلة المكتبة الثقافية - العدد ٣١٦ - السنة ١٩٧٥ .
- شرشر ، محمد حسن : دراسات بلاغية فى القرآن الكريم والحديث الشريف - ط ١ - مصر - دار الطباعة المحمدية - ١٩٧٨/١٣٩٩ .
- د. شرف الدين ، صالحة عبد الحكيم : القرآن الحكيم - الكويت - مطابع كويت تايمز - رجب ١٩٨٤/١٤٠٤ .
- شوقى ، أحمد : أسواق الذهب - مصر - مطبعة الهلال - ١٩٣٢ .
- شيخون ، محمود السيد : أسرار التكرار فى لغة القرآن - ط ١ - القاهرة - مكتبة الكليات الأزهرية - ١٩٨٣ .
- د. الصالح ، صبحى : مباحث فى علوم القرآن - ط ٨ - لبنان - بيروت - دار العلم للملايين - كانون الثانى (يناير) ١٩٧٤ .
- صقر ، السيد أحمد : مقدمة إعجاز القرآن للباقلانى .
- د. ضيف ، شوقى : البلاغة تطور وتاريخ - مصر-دار المعارف - ١٩٦٥ .
- د. الطيب ، عبد اللّه : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها - مصر - مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده - د. ت.

- د. عائشة عبد الرحمن ، الإعجاز البيانى للقرآن ومسائل ابن الأزرق - مصر - دار المعارف - ١٩٧١ .
- العانى ، عبد القهار داود : دراسات فى علوم القرآن - ط ١ - العراق - بغداد - مطبعة المعارف - ١٩٧٢ .
- عبد الحميد ، محسن : الآلوسى مفسرا - العراق - بغداد - مطبعة المعارف - ١٣٨٨/١٩٦٩ .
- د. عبد العزيز ، أمير : دراسات فى علوم القرآن = ط ١ - لبنان - بيروت - دار الفرقان - مؤسسة الرسالة -١٠٤٣/١٩٨٣ .
- د. عبد الغفار ، السيد أحمد : قضايا فى علوم القرآن تعين على فهمه - مصر - الإسكندرية - دار المعرفة الجامعية - رجب ١٤٠٠/يونيو ١٩٨٠ .
- د. عتر ، حسن ضياء الدين : بينات المعجزة الخالدة - ط ١ - سورية - حلب - دار النصر - ١٣٩٥/١٩٧٥ .
- عرجون ، محمد الصادق : القرآن العظيم : هدايته وإعجازه فى أقوال المفسرين - مصر - دار الاتحاد العربى للطباعة - ١٣٨٦/١٩٦٦ .
- العسكرى ، أبو هلال الحسن بن عبد الله : الصناعتين - طبع عيسى البابى الحلبى وشركاه .
- العكبرى ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن - ط ١ - مصر - مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده - ١٣٨٠/١٩٦١ .
- العلوى ، يحيى بن حمزة : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - لبنان - بيروت - دار الكتب العلمية - د. ت.
- العمرى ، أحمد جمال : مباحث فى إعجاز القرآن - مصر - مكتبة الشباب - ١٩٨٠ .

- د. الغمراوى ، محمد أحمد : قضية السجع ونظم القرآن - مجلة الأزهر - الجزء ٩ - السنة ٣٩ - ذو القعدة ١٣٨٧/فبراير ١٩٦٨ ، والجزء ١٠ - السنة ٣٩ - ذو الحجة ١٣٨٧/ مارس ١٩٦٨ .
- الفراء ، يحيى بن زياد : معانى القرآن - مصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٠ .
- فقيهى ، محمد حنيف : نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجانى عن كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز - ط ١ - قطر - طبع الشؤون الدينية - ١٩٨١/١٤٠١ .
- القاضى ، عبد الفتاح عبد الغنى : نفائس البيان شرح الفرائد الحسان فى عدّ آى القرآن - مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه .
- قدامة بن جعفر : نقد الشعر - هولندا - ليدن - مطبعة بريل - ١٩٥٦ .
- القرطاجنى ، حازم : منهاج البلغاء وسراج الأدباء - تونس - المطبعة الرسمية - ديسمبر ١٩٦٦ .
- القزوينى ، محمد بن عبد الرحمن : الإيضاح فى علوم البلاغة - مصر - بولاق - المطبعة الأميرية - ١٣١٨ .
: التلخيص فى علوم البلاغة - ط ٢ - مصر - المكتبة التجارية الكبرى - ١٣٥٠/ ١٩٣٢ .
- قطب ، سيد : التصوير الفنى فى القرآن - ط ٨ - مصر - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٥ .
: فى ظلال القرآن ط ١٢ - بيروت - القاهرة - دار الشروق - ١٤٠٦/١٩٨٦.
- القلقشندى ، أحمد بن على : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا - مصر - تصوير المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - وزارة الثقافة والإرشاد القومى - مطابع كوستاتسوماس .

– قمحاوى ، محمد الصادق : الإيجاز والبيان فى علوم القرآن – القاهرة – مكتبة عالم الفكر – ١٩٨٠ .
: شبهات مزعومة حول القرآن الكريم وردها – ط ١ – ١٩٧٨/١٣٨٩ .
– الكرمانى ، محمود بن حمزة : أسرار التكرار فى القرآن – ط ٢ دار الاعتصام – ١٩٧٦/١٣٩٦ .
– المبارك ، محمد : دراسة أدبية لنصوص القرآن – دار الفكر – ١٩٧٣/١٣٩٢.
– مخلوف ، عبد الرءوف : السجع والقرآن والباقلانى – مجلة الأزهر – الجزء الأول – السنة ٣٨ – المحرم ١٣٨٦ – أبريل ١٩٦٦ – والجزء الثانى – السنة ٣٩ – جمادى الأولى ١٣٨٧ – أغسطس ١٩٦٧ – والجزء الخامس – السنة ٣٩ – رجب ١٣٨٧ – أكتوبر ١٩٦٧ .
– المغربى ، أبو يعقوب : مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح – مصر – بولاق – المطبعة الأميرية – ١٣١٨ .
– المقدسى ، أنيس : تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى – ط ١ – بيروت – دار العلم للملايين – تشرين الثانى ١٩٦٠ .
– موسى ، أحمد إبراهيم : الصبغ البديعى فى اللغة – مصر – القاهرة – دار الكاتب العربية للطباعة – ١٩٦٩/١٣٨٨ .
– النيسابورى : الحسن بن محمد : غرائب القرآن ورغائب الفرقان – بيروت – دار الفكر – ١٩٧٨/١٣٩٨ .

المحتـــويات

الصفحة

الصفحة

رقم الإيداع : ٣٤٠٥ ـ ٩٩
الترقيم الدولى : .I.S.B.N
977 - 11 - 1253 - 8